شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers

تُرجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم
مبادرة ترجم
Tarjim Initiative
Translation funded by the Tarjim Initiative

T2862

رواية



تعريب: زينة إدريس

بيع منها أكثر من 2 مليون نسخة على لائحة جريدة التايمز للأكثر مبيعًا ورشحتها جريدة الاندبندنت لجائزة أفضل رواية

قبل أن تبرد القهوة مكتبة

قبل أن ننسى الطّيبة

Before we forget kindness

توشيكازو كواغوشي

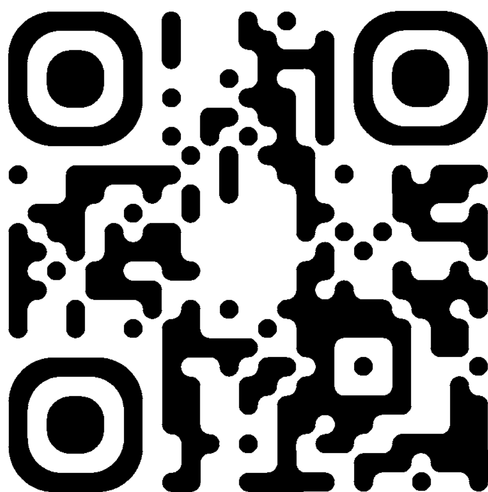
Toshikazu Kawaguchi

5

قبل أن
تبرد القهوة

قبل أن ننسى الطّيبة

Before we forget kindness



سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

ⓒ الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر، 1446هـ

كواغوشي، توشيكازو

قبل أن تبرد القهوة - قبل أن ننسى الطّيبة. /توشيكازو

كواغوشي - ط1. - الرياض، 1446هـ

232 ص؛ 14 × 21 سم

رقم الإيداع: 1446/18001

ردمك: 9-6-93789-603-978



T2862

قبل أن تبرد القهوة

قبل أن ننسى الطّيبة

Before we forget kindness

توشيكازو كواغوشي

Toshikazu Kawaguchi

ترجمها من اليابانية: **جيفري تروسيلوت**

تعريب

زينة إدريس

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر

Arab Scientific Publishers

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
BEFORE WE FORGET KINDNESS
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من
Sunmark Publishing, Inc. as represented by Gudovitz & Company
Literary Agency LLC, Brooklyn, New York 11211, USA
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر - الرياض

Originally Published in Japan as Itoshisa Ni Kizukanu Uchi Ni
by Sunmark Publishing, Inc., Japan

الطبعة الأولى: أيار/مايو 2025 م - 1446 هـ



شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers
السجل التجاري 1010921463
www.asp.sa

---

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

المحتويات

لو تسنَّت لك العودة إلى الماضي، فبِمَن تتمنَّى أن تلتقي؟

1

الابـن

يقع المقهى الذي يُعيد زائريه إلى الماضي في جيمبوتشو؛ أحد أحياء منطقة كاندا في مدينة تشيودا، في طوكيو. كان المقهى بعيدًا بعض الشيء عن أقرب محطّة، لافِتَتُهُ مُثبَّتَة في الخارج في إحدى زوايا زُقاق ضيِّق وهادئ.

فونيكولي فونيكولا هو اسم المقهى الّذي سُمِّي باسم الأغنية الشّعبيّة الإيطاليّة الشّهيرة من منطقة نابولي، والّتي تمّ تأليفها إحياءً لذكرى افتتاح خطّ سكّة حديد مدفوع بالكابلات.

نحو ألسنة اللّهب الحمراء لجبل فيزوف
فلنرتقِ المنحدر...

هذا ما تعنيه كلمات الأغنية بالعربيّة، والّتي سمع معظم النّاس لَحْنَها مرة واحدة على الأقل. يتعرَّف الأطفال في اليابان على اللّحن لكونه لحن أغنية "The Imps' Trousers"؛ وهي محاكاة ساخرة لأغنية "فونيكولي فونيكولا". أمّا سبب تسمية هذا المقهى - الذي يسافر

زائروه عبر الزّمن - على اسم أغنية شعبيّة إيطاليّة، فلم يكن معروفًا، ولا حتّى لمالكه.

يُدعى المالك - الذي يرتدي على الدّوام زيّ الطّاهي - ناغاري توكيتا. وناغاري رجل ضخم الجثّة، يزيد طوله على مترين، هادئ الطّباع، عيناه حادّتان ورفيعتان كخيط تقريبًا. كان يقف بثبات وهدوء، مثل تمثال قويّ يحرس معبدًا. وقد عَمِلَت زوجته، كي توكيتا، في المقهى كنادلة. كانت امرأة دائمة الابتسام، مرحة وبريئة، ذات عينين كبيرتين لامعتين وشخصيّة ودودة ومِضيافَة. لكن مع الأسف، أصابها مرض في القلب، فرحلت عن هذا العالم قبل عامَين، تاركةً وراءها ابنتهما ميكي، ذات العينين الكبيرتَين والمشرقتين؛ تمامًا كعينَي أمّها.

كانت النّادلة كازو توكيتا قريبة ناغاري. وهي فتاة ذات بشرة فاتحة، وعينين ضيّقتَيْن على شكل لوزة، مع أنف مستقيم، وشفتَين ورديّتين فاتحتَين. سيوافق مَن يراها على أنّها جميلة؛ إذا قيل له ذلك. لكن، لم يكن فيها ما يترك انطباعًا دائمًا. ولو أغمضتَ عينيك، فإنّك ستكافح لتذكّر شكلها؛ إذ يمكن عدُّها فتاة شابّة وامرأة هادئة وناضجة في آنٍ واحد. كانت قليلة الكلام بطبيعتها، حتّى إنّ بعض الزّبائن قالوا إنّه من المستحيل تقريبًا فتح حديث معها. وثمّة شائعة عن أنّها تبدو بلا حضور، مثل شبح.

مع ذلك، في الوقت الحاضر، إنّ كازو هي الوحيدة الّتي يمكنها صبّ القهوة الّتي تعيد الزّائر إلى الماضي.

كان ناغاري يشاركها اسم عائلة توكيتا. لكن بصفته رجلًا، لم يكن بمقدوره صبُّ القهوة. فوحدهنّ نساء سلالة توكيتا يمتلكْنَ تلك القدرة.

غالبًا ما يقول أحد الزّبائن: "إذًا، صبّي القهوة من فضلك"، ما إن يعلم من كازو أنّ بإمكانه العودة إلى الماضي إذا ما فعلت ذلك.

لكن من أجل ذلك... أي لكي يتمكّن الزّائر من العودة إلى الماضي في هذا المقهى، ثمّة قواعد أخرى مزعجة، لا... بل مزعجة للغاية.

أوّلها - الوقت المحدود.

في الواقع، يبدأ الوقت الذي يمكن للزّائر أن يقضيه في الماضي في اللّحظة الّتي تصبّ فيها كازو القهوة، وينتهي قبل أن تبرد.

ومعرفة ذلك تثير استياءَ الجميع عمومًا، فيحتجّون قائلين: "ماذا؟ هل الوقت قصيرٌ إلى هذا الحدّ حقًّا؟".

قد تتساءل عمّا يستطيع الإنسان إنجازه في الوقت الذي يستغرقه فنجان قهوة حتّى يبرد؛ فهذه المدّة لا تتجاوز عشر دقائق. ربّما تكون مدّة كافية لتناول طبق من المعكرونة سريعة التّحضير. فقد يستغرق غلْيُ الماء خمس دقائق، بالإضافة إلى ثلاث دقائق أخرى من الانتظار بعد صبّه، فلا يتبقّى لديك سوى دقيقتين لتناول الطّعام. أمّا إذا كنت تمضي ليلتك خارج المنزل، فمن غير المرجّح أن تكفيك عشر دقائق لاستلام أيّ طبق طلبْتَهُ.

قد تظنّ أنّ مِن شأن ذلك أن يُثني الجميع عن المُضِيّ قدمًا، لكن على العكس، يقول بعضهم: "حسنًا... لكن مع ذلك، إذا تسنّت لي العودة بالزمن إلى الوراء...".

غير أنّه عند سماع القاعدة التّالية، يتوصّل جميع الزّبائن تقريبًا إلى الاستنتاج الآتي: "إذا كان الحال كذلك، فلا أرى أيّ جدوى من العودة إلى الماضي".

والسّبب وراء استسلامهم هو القاعدةُ الّتي تفيد بأنّ أيًّا يكن ما تفعله في الماضي، فلن يغيّر شيئًا من الحاضر.

في الواقع، يأتي النّدم على شكلَين: أفعال منفّذة، وفرص ضائعة.

ينبع النّدم على فعل شيء ما؛ إمّا من عدم القدرة على التّراجع عنه، وإمّا من نتيجته المروّعة؛ مثل إيذاء شخص ما بتعليق غير لَبِق، أو الشّعور بالبؤس بعد الاعتراف بالحبّ.

في المقابل، فإنّ النّدم على عدم فعل شيء ما يتعلّق بالأشياء الّتي لم يُصرَّح بها، أو بالحبّ الذي لم يُعلَن عنه قطّ.

عمومًا، يرغب الزّائرون في العودة إلى الماضي للقيام بأمر ما بطريقة مختلفة. لكن، بما أنّ ما تفعله وأنت في الماضي لن يغيّر الحاضر، فإنّ النّاس يسألون تلقائيًّا: "إذًا، ما الغاية من العودة؟".

تجدُر الإشارة إلى أنّ شروط العودة إلى الماضي لا تقتصر على هذه القواعد.

فلِلْقيام بهذه الرحلة، يجب أن تجلس على كرسيّ معيّن في المقهى. غير أنّ هذا الكرسيّ سيكون مشغولًا من قِبَل زبونة أخرى، وسيتحتّم عليك انتظار مغادرتها إلى الحمّام لتتمكّن من الجلوس عليه.

أمّا إذا حالفك الحظّ وتمكّنتَ من الجلوس على الكرسيّ والعودة بالزّمن إلى الوراء، فلا ينبغي أن تنهض عنه مطلقًا وأنت في الماضي.

كذلك، تقتصر هويّة الأشخاص الّذين يمكنك العودة لمقابلتهم على أولئك الّذين زاروا المقهى سابقًا.

بعد سماع كلّ هذه القواعد المرهقة، يهتف بعض الزّبائن المتشكّكين: "يبدو أنّكم تُخفون الحقيقة، وأنّه من المستحيل العودة إلى الماضي".

في أوقات كهذه، بدلًا من الانخراط في جدال، تحافظ كازو على هدوئها مجيبة: "كما تشاء". فقرار العودة إلى الماضي يرجع في نهاية المطاف إلى الزّائر، وهي لا ترى جدوى من الجدال.



كان يوكي كيرياما يبلغ من العمر سبع سنوات عندما دخل المقهى، حاملًا حقيبة مدرسيّة من الجِلد الأسود اللّامع على ظهره.

"المعذرة، أيمكنني أن أطرح عليكِ سؤالًا؟" لم يكن من المعتاد سماع مثل هذه العبارات المهذّبة الّتي تنمّ عن الاحترام من طفل في هذا العمر.

كشف قميص المدرسة الابتدائيّة الخاصّة المرموقة ذو الكمّين القصيرين عن ذراعيه الشّاحبتين. وكانت وقفته المستقيمة وعموده الفقريّ المشدود دليلًا على حُسن تربيته. في أواخر يونيو، كان الوقت لا يزال مبكرًا جدًّا على غناء زِيز الحصاد. غير أنّ الجوّ في الخارج كان حارًّا؛ مثل يوم في عزّ الصّيف. وعلى النّقيض من تعبيره الهادئ، عكس العرق الذي يسيل على وجهه بشكل أفضل السّحر الطّفوليّ لطالب في الابتدائيّة.

أجابت كازو توكيتا: "بالتّأكيد، تفضّل". ثمّ توقّفت عمّا تقوم به، واقتربت من الصّبي. فسواء أكانت تتحدّث مع كبار أم صغار، تستخدم كازو أسلوب الكلام نفسه.

"سمعتُ شائعة مفادها أنّني إذا زرتُ هذا المقهى، فسأتمكّن من العودة إلى الماضي. هل هذا صحيح؟".

نظر يوكي إلى كازو دون أن يمسح العرق المتصبّب على وجهه.

عندما سمعَتْه فوميكو كيوكاوا - وهي واحدة من روّاد المقهى، سبق لها أن عادت إلى الماضي قبل ثلاث سنوات - لم تتمالك نفسها، بل تدخّلت قائلة: "أنتَ طالب في الابتدائيّة، أليس كذلك؟ من أين سمعت بهذه الشّائعة يا تُرى؟" كانت نبرتُها تشبه إلى حدّ كبير نبرة شخص بالغ يتحدّث إلى طفل. وبدَت وكأنّها تسأل: أنت حتمًا لا تفكّر في العودة إلى الماضي، أليس كذلك؟

في الحقيقة، لم يسبق أن جاء إلى المقهى فتًى صغير طالبًا أمرًا كهذا. وإن كان هذا بالفعل السّببَ الحقيقيّ وراء مجيئه، فسيكون أصغر زائر يسافر عبر الزّمن. لكن سيتحتّم عليه أن يشرب فنجان القهوة الذي ستصبّه له كازو بالكامل، وقد عدَّت فوميكو أنّ فتًى في سنّه ما زال صغيرًا جدًّا على شُرب القهوة.

"عندما كان والداي لا يزالان يعيشان معًا، سمعتُ حكايات عن هذا المقهى من جدي".

"يا إلهي".

أظلم وجه فوميكو، ونظرَت إلى كازو. هل والداه مطلّقان؟

غير أنّ كازو تجاهلت هذا الاستفسار الضّمني، ومن دون أن تغيّر تعابير وجهها على الإطلاق، أجابت: "نعم، يمكنك العودة".



خلافات عصيّة على الحلّ!

إنّه السّبب الأكثر شيوعًا للطّلاق في الوقت الحاضر. ترتبط الأسباب الشّائعة الأخرى بالصّعوبات الماليّة، والعنف الأسريّ، والخيانة الزّوجيّة. في الطّلاق النّموذجيّ، من المنطقيّ الافتراض أنّ الأسباب متعدّدة. وعلى نحو مماثل، لا تشير عبارة "خلافات عصيّة على الحلّ" إلى سبب واحد لعدم التّوافق، بل تُستخدَم لوصف مزيج متنوّع من السّلوكيّات غير المقبولة، أو مشاعر السّخط المستمرّة الّتي يصعب تجاوزها أو التّغلب عليها في العلاقة.

ووفقًا للإحصائيّات، فإنّ واحدًا أو اثنين من كلّ ألفٍ من السّكان مطلّقان في اليابان. واليوم، أصبحت إمكانيّة الحصول على الطّلاق أقلّ صعوبة؛ وهذا أحد الأسباب.

تشهد القيم المتعلّقة بالأسرة والمجتمع تغيّرًا ملحوظًا. ففي هذه الأيّام، يتكبّد عدد أقلّ من الأُسَر عناء التعرّف إلى الأشخاص الّذين يعيشون بجوارهم عندما ينتقلون إلى منازل جديدة؛ ومن ثم لم يعد مُستغرَبًا ألّا يعرف قاطنو المباني السكنيّة في المناطق الحضريّة وجوه جيرانهم.

كذلك، مع انتشار الهواتف الذكيّة وكاميرات الويب، أصبح بإمكاننا التواصل وجهًا لوجه مع الأصدقاء والأحبّاء، حتّى لو كانوا

يعيشون في أقصى بقاع الأرض؛ ونتيجةً لذلك، بات بإمكان النّاس الاستغناء عن إقامة علاقات جديدة في أحيائهم أو المباني الّتي يقطنون فيها، وقد يكون هذا أحدَ الأسباب وراء العدد المتعاظم من الأُسر النوويّة. مع ذلك، إنّ الوحدة النوويّة تتفكّك على نحو متعاظم، وينصبّ التّركيز في الوقت الحاضر على الفرد. كما يزداد هذا التوجّه داخل الأسرة، بحيث يعيش الأزواج والزّوجات كأفراد بشكل متزايد.

ينشأ قدر كبير من الضّغوط الّتي يتعرّض لها النّاس في حياتهم من علاقاتهم بالأشخاص المحيطين بهم مباشرة، مثل أحد الوالدين أو أحد الأولاد أو الأخوة أو الأصدقاء أو الزّملاء أو - بالطبع - الزّوج أو الزّوجة.

فعندما يتزوّج شخصان عاش كلّ منهما بناءً على نمط حياته وروتينه الفريد، ويبدآن بالعيش تحت سقف واحد، سيتحتّم عليهما أن يُمضيا وقتًا طويلًا معًا، وأن يتشاركا حياتيْهما.

بطبيعة الحال، وبما أنّ كلًّا من الشّريكين اتّخذ الآخر رفيقًا مدى الحياة، وبدآ الحياة الزّوجيّة المشتركة، يصبح من الضّروري أن يعدّل كلّ منهما نمط حياته وروتينه ليتمكّنا من استيعاب بعضهما بعضًا بشكل أفضل. وما دام الحبّ يسود علاقتهما، يمكن عدُّ هذه التّعديلات مصدرًا للسّعادة والتّجديد في علاقتهما. أمّا إذا بدأ الحبّ يتلاشى، وتمّ التّركيز على الفرديّة، فقد تنشأ المشكلات، ويصبح من الصّعب احتمال الأمور الّتي تمّ التّساهل معها في السّابق بفضل الحبّ. وليس من الضّروريّ أن ينتج هذا النّوع من التّدهور في العلاقة عن أسباب يمكن تحديدها بسهولة؛ مثل الوضع الماليّ، أو العنف المنزليّ، أو الخيانة الزّوجيّة.

ومـن هنـا، فـإنّ السّـلوكيّات الّتـي كـان يسـهل التّسـامح معهـا بـين الأصدقاء قد تصبح لا تطاق في وقت لاحق. ومن شأن نقطة التحوّل هذه أن تحدث عندما تتطوّر العلاقـة إلـى علاقـة رومانسـيّة، أو عنـدما يبـدأ الشّريكان بالعيش معًا عندما يتزوجان...

وفي هذه الحالات، لا يمكن اختصار الخلافات العصيّة على الحلّ بأسباب واضحة؛ إذْ ببساطة يشعر الشّريكان بأنّ الأمور لا تسير على ما يرام، وتسوء العلاقة بينهما إلى حدّ يفوق الاحتمال. وعلى الرّغم من ذلك، فهذا لا يعني أنّ الطّرفين باتا يكرهان بعضهما بعضًا.

لو لم نكن متزوّجَيْن، لتمكّنّا من التّعايش على نحو أفضل.

ويُنظَر إلى فكرة العودة إلى علاقة سابقة أكثر ودّية على أنّها وسيلة لتخفيف التوتّر الناجم عن الاضطرار إلى التّعامل مع الطّرف الآخر بحذر دائم.

كانت علاقتنا أفضل قبل الزّواج. فلْنَعُد كما كنّا.

فيشعر الطّرفان أنّ ثمة خيارًا واحدًا فقط لتخفيف التوتّر، وتجنّب الكراهية في الأسرة.

فلنبدأ من جديد، ونمنح أنفسنا فرصة ثانية.

وهكذا، يتمّ اللّجوء إلى الطّلاق.

هذا بالطبع مجرّد مثال فقط، ولا ينطبق على جميع حالات الطّلاق.

لكن، ثمّة صبيّ وجد نفسه وسط أزمة فرديّة بين والدَيه، وكان يعاني من هذا الوضع.



كان يوكي آسفًا على تلك المرّة الّتي انفجر فيها باكيًا في هذا المقهى.

بدأ كلّ شيء خلال الفطور في صباح عشيّة الميلاد في العام الماضي.

إذْ فاجأه والدُه كينجي حين اقترح عليه قائلًا: "يوكي، ما رأيك في الذّهاب إلى ديزني لاند؟".

عندها، بدا على يوكي الاستغراب التّامّ؛ فغالبًا ما ادّعى كينجي أنّه مشغول في العمل، ونادرًا ما كان يوجَد في المنزل.

"أليس لديك عمل؟".

"ما الأمر؟ ألم تعجبك الفكرة؟".

"كلّا، لم أقصد ذلك".

ألقى يوكي نظرة من فوق الطّاولة إلى والدته آووي الّتي كانت تأكل قطعة من الخبز المحمّص. كلّما استشارت آووي زوجها في أمر ما، كان يجيبها دائمًا: "أنا مشغول في العمل؛ لذا سأترك لك إدارة المنزل". لهذا السّبب، اعتقد يوكي أنّ عليه الرّجوع إلى أمّه قبل الردّ على دعوة أبيه.

قالت آووي: "يبدو لي هذا لطيفًا. ففي النّهاية، نحن في عطلة الميلاد، أليس كذلك؟".

ووافق كينجي قائلًا: "بالتّأكيد".

كان قد مرّ وقت طويل منذ أن رأى يوكي أمّه تبتسم أمام كينجي؛ لذلك صاح بفرح: "حسنًا، فلنذهب!".

توجّهوا إلى ديزني لاند بالسّيّارة. جلست آووي أمام عجلة القيادة، واحتلّ يوكي مقعد الرّاكب الأماميّ. كانت القيادة سلسة في البداية،

واستغرقت أقلّ من عشرين دقيقة من منزلهم في كاندا، في وسط طوكيو، عبر طريق متروبوليتان السّريع رقم 4 إلى تقاطع كاساي، وهو المخرج المقرّر عبوره على طريق بيشور. لكن، نظرًا إلى كونهم في عطلة الميلاد، فقد كان الازدحام شديدًا.

"قلتُ لكِ إنّه كان علينا الخروج عند تقاطع أوراياسو".

"حسنًا، إذًا كان يجدر بك أن تقود السّيّارة بنفسك".

"ماذا؟ لكن أنتِ مَن عرضتِ القيادة".

"هذا لأنّكَ قلت إنّكَ تريد إنجاز عمل في الطّريق. والآن، تريد القيادة من المقعد الخلفي!".

كان كينجي وآووي يتشاجران على هذا النحو منذ أن غادرا المنزل، ولم يكن ذلك اليوم مختلفًا عن معظم الأيّام؛ إذْ بدأ الاثنان يتشاجران حول أمور تافهة قبل بضع سنوات، والسّبب هو اختلاف قيَمِهما ومعتقداتهما بشأن العمل وتربية طفلهما.

فبَعد ولادة يوكي، أرادت آووي أن تعهد به نهارًا إلى دارٍ لرعاية الأطفال، وتستأنفَ عملها في وكالة إعلانات، غير أنّ كينجي اعترض قائلًا: "أريدكِ أن تُكرِّسي طاقاتك لتكوني أمًّا ليوكي؛ لأنّ سنواته الأولى حتّى بلوغه سيكون لها تأثير كبير على تكوين شخصيّته".

عندها، ردّت آووي متفهّمة وجهة نظر كينجي: "نعم، أنتَ على حقّ. حسنًا، أعتقد أنّني أستطيع أن أحتمل تعليق مسيرتي المهنيّة حتّى يبلغ يوكي الثّالثة من عمره".

فلم يجبها كينجي، ولكنْ لم تعجبه كلمة "أحتمل".

لماذا تجعلُ الأمر يبدو كأنّني أطلب الكثير؟! ألا ينبغي أن تكون غريزة الأمّ الأولى إعطاءها طفلها الأولويّة؟

لم يكن ثمّة شيء سلبي في طريقة تفكير آووي، بل كانت ببساطة تعبّر عن اضطرارها إلى تحمّل فترة انتظار قبل أن تتمكّن من العودة إلى الوظيفة الّتي تحبّها. وعلى الرّغم من أنّها كانت مقتنعة بالفعل بأنّ تربية يوكي أكثر أهمّيّة بالنّسبة إليها من عملها، إلّا أنّها لم تصرّح بذلك لكينجي.

منذ تلك المحادثة، قال كينجي عند كلّ نقاش بينهما: "سأترك لك شؤون المنزل". وكانت إجابته تستند عن غير وعيٍ منه إلى اعتقاده أنّ الأمومة وظيفةٌ بدوام كامل.

الأمر الذي أزعج آووي. لماذا تدفعني بهذه القوّة للتّركيز طوال وقتي على يوكي؟ يبدو أنّك تتجنّب مسؤوليّاتك كأب باستخدام عملك كذريعة. أمّا إذا قلتُ أنا شيئًا، فينتهي بنا الأمر بالشّجار.

تمامًا مثلما شعر كينجي بعدم الرّضا تجاهها، كانت آووي تقمع استياءها منه، وأبقت مشاعرها حبيسة في نفسها حتّى بلغ يوكي الثّالثة من عمره. لكن بحلول هذا الوقت، وجدت نفسها مشغولة جدًّا بالعناية به، بحيث تضاءلت رغبتها في استئناف حياتها المهنيّة تدريجيًّا.

"أمَا كنتِ تخطّطين للعودة إلى الوكالة؟".

"ربّما إذا ساعدتَني أكثر في رعاية يوكي، وإنجاز الأعمال المنزليّة".

"ليس لديّ وقت لذلك، وأنتِ تعرفين مدى انشغالي؛ حتّى إنّني مضطر إلى العمل في عُطَل نهاية الأسبوع".

"إذا استأنفتُ العمل، فسيكون هذا حالي أيضًا. إذًا، من سيعتني بيوكي؟".

"يمكننا وضعه في حضانة أطفال".

"الأمر ليس بهذه البساطة".

"ماذا تعنين؟ اتّفقنا منذ البداية على أن تتركي العمل حتّى يبلغ يوكي الثّالثة من عمره".

"أنتَ من قال هذا الكلام، أليس كذلك؟".

"لكن، ألم توافقي؟".

"إذًا، ما الذي تعنيه؟ هل تريد مني أن أوازن بين العمل والأعباء المنزليّة؟".

"عندما قلت إنّك تريدين العودة إلى العمل، كنتِ تعلمين ذلك".

"كان هذا منذ ثلاث سنوات. ولم أكن أعلم حينذاك أنّ تربية الأطفال بهذه الصعوبة، أيضًا...".

"ماذا؟".

"لم أتوقّع ألّا تهتم بتربية طفلكَ إلى هذا الحد".

"ليس الأمر أنّني غير مهتم، بل كنت أعمل بجد لأتمكّن من الإنفاق على أُسرتنا. والآن، حان دوركِ للعودة إلى العمل ومنحي استراحة".

"ماذا؟! أنتَ تتكلّم كما لو أنّني كنتُ ألعب طوال السّنوات الثّلاث الماضية".

"أوه، كفى. رعاية الطّفل تختلف قليلًا عن العمل".

"أعتقد أنّه عليك أن تجرِّب ذلك بنفسك لتعرف مدى صعوبته".

"لكن، كيف لي أن أفعل ذلك؟ فأنا أعمل".

كان شجارهما عبارة عن تبادل للرّدود المدفوعة بمشاعر حادة؛ ونتيجة لذلك، أتى مقصدهما الحقيقي مشوّهًا، ولم يفهم كلٌّ منهما الآخر.

وبحلول الوقت الذي بلغ فيه يوكي السنّ الكافية لفهم ما يجري من حوله، كان والداه يتشاجران كل يوم، وكان يتدخل دائمًا للتوسّط بينهما.

حتّى وهُم في السّيّارة، في الطريق إلى ديزني لاند في ليلة الميلاد، قاطعهما قائلًا: "ليتني كنتُ أستطيع القيادة بنفسي. أنا آسف يا أمّي". لم يكن يوكي يكذب، بل تمنّى بصدق لو كان بإمكانه الجلوس خلف المِقْود مكان أمّه. عندها، فهمَت آووي مشاعره تمامًا، فيما شعر كينجي بالفخر إزاء اللّطف البالغ الذي أبداه ابنه.

"لا بأس يا يوكي، الذّنب ذنب بابا وماما. نحن ذاهبون اليوم إلى ديزني لاند؛ لذا فلنكن لطيفين معًا. أليس كذلك يا بابا؟".

ونظرت آووي إلى كينجي بإصرار عبر مرآة الرّؤية الخلفيّة.

"أوه، صحيح". تغيّر تعبير كينجي كمن تذكّر شيئًا في الحال، فأغلق جهازه المحمول، ووضعه في حقيبته.

"آسف يا يوكي، لن يقوم بابا بأيّ عمل آخر اليوم". وخفض كينجي رأسه معتذرًا مِن يوكي، من حيث يجلس على المقعد الخلفيّ.

فأجاب يوكي بابتسامة عريضة: "حسنًا".

نظرًا إلى وصولهم إلى ديزني لاند متأخّرين، اضطُروا إلى ركن السّيّارة على مسافة بعيدة قليلًا. وعند البوّابات المؤدية إلى الحديقة، بعد مرورهم عبر نقطة فحص الحقائب، انضمّوا إلى طابور طويل عند مكتب التّذاكر. بحلول هذا الوقت، كانت قد مرت ساعتان ونصف منذ مغادرتهم المنزل.

تفرض ديزني لاند أحيانًا قيودًا على الدّخول في عُطَل نهاية الأسبوع والمناسبات ويوم الميلاد. وحتى عندما يتمكّن الزّوّار أخيرًا من دخول المتنزه، يتعين عليهم الانتظار عدة ساعات أخرى لاستخدام المعالم السياحيّة الشّهيرة.

قبل مدّة من الزّمن، انتشرت أسطورة حضرية عن أن المتزوجين يذهبون إلى ديزني لاند لينفصلوا. ربما تمّ نشرها بنوايا خبيثة من قبل المتنزّهات الترفيهيّة المنافِسة، ولكن إذا كان ثَمَّة قدْر من الحقيقة في هذا الادّعاء، فمن المؤكد أن السبب يرجع إلى مدة الانتظار الطويلة.

كانت أوقات الانتظار أطول بكثير قبل طرح بطاقة Standby Pass، بحيث تتجاوز أحيانًا ساعة ونصفًا، وهذا يعني أنّه إذا كان للزوجين اللّذين يملكان بطاقات سنويّة مَعْلم سياحي مفضَّل يرغبان في زيارته، فلن يكون وقت الانتظار طويلًا للغاية. مع ذلك، بالنّسبة إلى الأزواج الّذين ليسوا من عشّاق ديزني لاند ولا يمتلكون بطاقة، فقد يكون الانتظار لوقت أطول بكثير من المتوقّع؛ ممّا يستنفد مواضيع المحادثة ويؤدّي إلى صمت محرج، أو حتّى مشاحنات. ومع تراكُم حكايات الأزواج الّذين انفصلوا بعد الذّهاب إلى ديزني لاند، وُلِدت تلك الأسطورة.

سواء أسمع يوكي عن ذلك أم لا، فإنّ أسباب رغبته في الذّهاب إلى ديزني لاند كانت مختلفة. فثمّة أيضًا خرافات إيجابيّة مرتبطة بديزني لاند، تَعِد مَن يزورها بالسّعادة. على سبيل المثال، إذا أمسكتَ بيد ميكي أو ميني فستجد الحبّ، وإذا ذهبتِ إلى ديزني لاند فستُنجبين طفلًا. وهذه الخرافات لا أساس لها من الصّحّة. لكنْ بما أن ديزني لاند تُعرَف بمملكة الأحلام، فإنّها تُعدُّ المكان المثالي للزوار الّذين يبحثون عن السّعادة من خلال كل ما يجلب الحظ. ومن تلك الخرافات الّتي تُبَشّر بالخير أنّك إذا تمنّيت أمنية عند البوّابة الأخيرة الّتي تحمل عنوان: "إنّه عالم صغير"، فسوف تتحقّق.

"إنّه عالم صغير" مَعْلَم سياحي يأخذ الزوار في جولة حول العالم على متن جندول يطفو على الماء. وكان يوكي ينوي أن يتمنّى أمنية عند تلك البوابة.

لِحُسْنِ الحظّ، على الرغم من الجدال الذي حدث في السّيّارة، إلّا أنّ الابتسامة لم تفارق وجهَي كينجي وآووي خلال الانتظار لوقت طويل. وصحيح أنّهم لم يتمكّنوا إلّا من تجربة مَعْلَم جذب شهير واحد، لكنّ يوكي شعر بالرّضا؛ فقد تمكّن من تمنّي أمنية عندما مرَّ الجندول الذي يركبونه عبر البوابة الأخيرة في "إنّه عالم صغير".

قاد كينجي السّيّارة إلى المنزل، فنام يوكي على المقعد الخلفي، ورأسه في حضن آووي. ولأول مرة منذ سنوات، قضى أفراد الأسرة الثّلاثة إجازتهم معًا. وهذه الفكرة وحدها أنهكت يوكي من شدة الحماسة.

قالت آووي: "يوكي، لقد وصلنا، استيقظ".

انتهى بهم المطاف عند مقهى يقع بالقرب من منزلهم.

توقّفوا أمام محطّة جيمبوتشو بِنِيَّة تناول العشاء، لكن بما أنّها ليلة الميلاد، كانت جميع المطاعم محجوزة بالكامل. وهكذا، اتّجهوا بعيدًا عن المحطّة، ومشوا في زُقاق هادئ إلى أن عثروا على لافتة مقهى. دخل كينجي ليرى إذا ما كانت ثمَّة طاولة خالية، وفوجئ عندما لم يجد في المقهى سوى زبونة واحدة فقط، مع أنّها ليلة الميلاد. أخبرته النّادلة الّتي تعمل هناك أنّهم يقدمون بالإضافة إلى القهوة وجباتٍ خفيفة وحلوى.

كان يوكي سعيدًا؛ لأنّهم هم الثّلاثة تمكّنوا من الاحتفال بالميلاد بطريقة جميلة للغاية.

عندما دخل كينجي، لاحظ أنّ لكلّ طاولة كرسيّين فقط. غير أنّ النّادلة الصّامتة، كازو توكيتا، كانت قد أعدّت كرسيًّا ليوكي.

"أهلًا وسهلًا، ماذا تحبّون أن تشربوا؟".

"لقد أتينا بالسّيّارة؛ لذا سأتناول شرابًا خفيفًا. أمّا زوجتي فستأخذ كأسَ شراب، وعصير برتقال لابني من فضلك".

عندها، صاح ناغاري توكيتا الذي أطلّ بزيّ الطّاهي كعادته: "ستصل طلباتكم حالًا". كان يحمل بين ذراعيه فتاةً صغيرة تبلغ من العمر نحو عامين، ذات عينين كبيرتين مستديرتين تُدعى ميكي. كان ناغاري ضخمًا، بحيث بدت الطّفلة صغيرةً مثل سنجاب وهي تلتصق بصدره.

كانت في المقهى شجرة مزيّنة، ولكن لم تُعزَف أيّ أغانٍ احتفالية. فلم يُسمَع سوى تمتمة ميكي الناعمة الّتي تشبه التّهويدة وهي تغنّي "ليلة عيد، ليلة عيد" في المطبخ.

لا شكّ في أنّ الزبون العادي سيجد أمسية الميلاد دون موسيقا بغير رونق وغريبة. لكن، لم يَبْدُ أي انزعاج على كينجي وآووي، بل كان الثّلاثة يستمتعون بتذكّر يومهم في ديزني لاند أثناء تناولهم الوجبة الّتي أحضرتها لهم كازو بهدوء.

ومع أنّها ليلة الميلاد، إلّا أنّ المقهى لم يشهد توافد مزيد من الزّبائن. كانت الزبونة الأخرى الوحيدة امرأةً ترتدي فستانًا أبيض قصير الكُمَّين غير مناسب للموسم، وتجلس في أقصى ركن من المقهى.

كانت لحظة حميمية حقًا بين طفل ووالديه. وبالنّسبة إلى يوكي، كان من المفترض أن يكون ذلك وقتًا لا يُنسى، غمره بسعادة لم يختبرها منذ سنوات. غير أنّ خبرًا حزينًا كان بانتظاره.

فعندما تناول يوكي القضمة الأولى من كعكة الميلاد، تكلّم كينجي.

"يوكي".

"ماذا؟".

تحتلّ الهدايا جزءًا كبيرًا من الاحتفال بالميلاد، لكنّها لم تكن تشغل بال يوكي على الإطلاق. فقضاء اليوم مع عائلته في ديزني لاند؛ ومِن ثمّ تناول الطعام اللّذيذ وكعكة الميلاد، كانا أعظم هديّة بالنّسبة إليه. حتّى إنّه عند البوابة الأخيرة لـ "إنّه عالم صغير"، لم يتمنَّ الحصول على أيٍّ من الألعاب الّتي يرغب في امتلاكها طالب عاديّ في الابتدائيّة.

شعر يوكي أنّه يعيش أسعد أوقات حياته.

طن

دقّ جرس إحدى السّاعات الكبيرة في المقهى، مُعلنًا السّاعة 7:30 مساءً. في تلك اللّحظة، مدّت آووي يدها، ووضعتها على رأس يوكي الصّغير.

"ثمّة أمر مهمّ نودّ إخبارك به يا يوكي. لقد قرّرنا أنا ووالدك ألّا نعيش معًا بعد اليوم".

"ماذا؟!".

أضاف كينجي: "ستكون هذه هي اللّيلةَ الأخيرةَ الّتي نمضيها معًا نحن الثّلاثة".

لم يعرف يوكي ما ينبغي له قوله عند سماعه اعتراف آووي وكينجي المفاجئ.

آخر ليلة ميلاد.

كلّ ما يذكره يوكي أنّ بكاءه أغضب كينجي، ودفع آووي إلى البكاء، في حين تناهى إليه صوت ميكي وهي مستغرِقة في إنشاد أغنية "ليلة عيد" من الجزء الخلفي من المطبخ. ولا يتذكّر كيف عاد إلى المنزل.

في المقابل، لم يستطع أن ينسى صباح اليوم التّالي، عندما استيقظَ ووجد هدِيَّتين بجانب وسادته، وكيف بكى بصمت.



بعد الاستماع إلى قصّة يوكي بعينين دامعتين، قالت فوميكو: "في الحقيقة، أنا أفهم شعورك تمامًا. صدّقني، ولكن، كيف سأشرح لك ذلك... حتّى لو عُدتَ إلى الماضي، فأنت تعرف القواعد، أليس كذلك؟".

ثمّ التفتَت فوميكو إلى كازو الّتي كانت تصغي إلى الحديث الدّائر بينهما، وناشدَتْها الدّعم. فقد ظنّت فوميكو أنّ يوكي يرغب في السّفر عبر الزّمن لمنع طلاق والديه. وكانت تعلم أنّ هذا المقهى محكوم بقاعدة قاسية من شأنها أن تحطّم أمنية الصبيّ البريئة.

تُرى، هل سيبكي مجدّدًا عندما يعرف بأمر هذه القاعدة؟

وبينما كانت فوميكو متردّدة في الإجابة، تقدّمت كازو ووقفت أمام يوكي. ومن دون أن تغيّر تعابير وجهها، قالت له: "إذا عُدْتَ إلى الماضي، فما من شيء يمكنك فِعْلُه لتغيير حقيقة انفصال والديك".

ماذا؟! إنّه في السابعة من عمره فقط! كان بإمكانك تلطيف الأمر قليلًا!

لكن على عكس توقّعات فوميكو، لم ييتَئِس يوكي من كلام كازو، بل ردّ بنظرة حازمة بدَت أكبر من عُمْرِه: "حسنًا، لا بأس".

"أحقًّا؟ إذًا، لماذا تريد العودة إلى الماضي؟".

وانحَنَت فوميكو إلى الأمام، وهي تتأمّل تعبير يوكي.

"لم يكن ينبغي لي أن أبكي في ذلك اليوم".

"ماذا تقصد؟".

لم تكن قصّة يوكي قد انتهت بعد.



منذ ذلك اليوم في ديزني لاند، ويوكي يعيش مع أمّه. انتهت إجراءات طلاق والديه بعد العام الجديد، واعتقد يوكي أنّه سيستمرّ في العيش مع آووي.

وفي يوم من الأيّام، أعلنت آووي ليوكي أنّها تودّ أن تعرّفه بأحد الأشخاص؛ لذلك خطّطوا لتناول العشاء في مطعم في المدينة. عندما وصلا، استقبلهم رجل بدا أكبر سنًّا من كينجي. كان يتمتّع بسلوك لطيف وبِنْيَة متوسّطة.

"مساء الخير يا يوكي، تشرّفتُ بلقائك. اسمي ماكوتو نيشيغاكي".

عندما خلع نيشيغاكي معطفه، انحنى بأدب ليوكي الذي كان واقفًا بجانب آووي.

"مساء الخير. أنا يوكي كيرياما، الشّرف لي".

ردّ يوكي التّحيّة باللباقة نفسها، فأومأ له نيشيجاكي باستحسان.

"أنت مهذّب للغاية في ما يتعلّق بالتّحيّة، وهذا مثير للإعجاب. أنا متأكّد من أنّك ستحقّق إنجازات عظيمة في المستقبل".

"شكرًا لك".

أرشدهم نادل إلى طاولتهم. مرّت الوجبة بسلاسة، ولمعت عينا يوكي حماسةً عندما سمع عن اصطياد نيشيجاكي سمكة تريفالي عملاقة تزِن أكثر من ثلاثين كيلوغرامًا خلال رحلة إلى جزيرتَي أوكيناوا ومياكو.

"سأصطحبك معي في المرّة القادمة".

"أحقًّا؟".

"نعم، أعدك".

فهتف يوكي تلقائيًّا: "مرحى!".

عندها، قاطعته آووي الّتي كانت تصغي بهدوء إلى المحادثة: "في الواقع يا يوكي، أمّك تواعد السيّد نيشيجاكي".

وما إن أعلَنَت آووي ذلك حتّى اعتدل نيشيجاكي في جلسته، أما يوكي - الذي لم يستطع أن يستوعب تمامًا معنى ما قالته - فراح يُنقّل نظره بينهما.

"هل هذا يعني...؟" أوّلًا، استحضر عقل يوكي صورة والده. وفي مُخَيّلتِه تم استبدال نيشيجاكي بكينجي الواقف بجانب آووي. فعبَّر عن الاستنتاج الذي توصّل إليه من تلك الصّورة قائلًا: "هل ستتزوجان؟".

"نريد أن نمضي بقيّة حياتنا معًا".

وعلى الفور، تراءت صورةٌ في ذهن يوكي؛ كان هو وآووي ونيشيجاكي يدخلون فيها منزلًا واحدًا، بينما تُرِك كينجي واقفًا بمفرده في الخارج.

"وماذا سيحلّ بأبي؟".

"بخصوص ذلك..." بدأت آووي تشرح ليوكي. لم تكن أسباب انفصال كينجي وآووي تقتصر على تصادم شخصيّتيهما، بل أيضًا لأنّ كلًّا منهما كان مهتمًّا بشخص آخر. وبعد أن ناقشا الأمر من جوانبه كافّة، قرّرا الانفصال لمصلحة كلّ منهما. مع ذلك، أراد كِلاهما العيش مع يوكي؛ لذا، وبعد أن يعيش يوكي مع أبيه الجديد مدة شهر، أرادا منه أن يعيش مع أمّه الجديدة مدة شهر. بعد ذلك، يتعيّن عليه أن يقرّر إذا ما كان يريد العيش مع كينجي أم آووي.

قال يوكي: "حسنًا، فهمت". ووافق على قضاء شهر مع آووي ونيشيجاكي.

في اليوم التّالي، تمّ الاتّفاق على أن يلتقي يوكي صديقة كينجي، وهي امرأة لا يعرفها. كان يومَ أحد حين اصطحبه كينجي بسيّارته الجديدة، ثم توجّها إلى متجر صغير للكعك يعرِض في واجهته أنواع الكعك الملوّن كافّة. عرّف كينجي ابنَه بالمرأة الّتي تواعده، مُوضّحًا أنّها صديقته الحاليّة.

كان اسمها كايدي كيمورا، وكانت أقصر طولًا من آووي. ومع أنّها من جيل كينجي، إلّا أنّها كانت لا تزال تشعّ شبابًا مثل مراهِقة. حتّى إنّ كينجي ضحك قائلًا إنّه إذا سار يوكي معها، فقد يظنّهما النّاس أخًا وأختًا.



قالت فوميكو غاضبة: "من قال إنّه ما كان يجدُر بك البكاء؟ لقد قدّم والداك راحتهما على مشاعرك. ومن الطّبيعي أن تبكي، أنتَ لست مخطئًا. فلماذا تندم على البكاء؟" كانت عيناها حمراوين ودامعتين بعد استماعها إلى قصّة يوكي.

فقال يوكي مبتسمًا أمام نظرات فوميكو الدّامعة: "شكرًا لكِ يا آنسة، ولكنّني تمنّيتُ أمنية في ديزني لاند. تمنّيت أن يكون والداي سعيدَيْن".

"ماذا؟".

"بعد أن عشتُ مع السّيد نيشيجاكي، ومن ثمّ مع كايدي، أدركت أمرًا ما".

"وما كان ذلك؟" كشف حاجِبا فوميكو المعقودان مدى فضولها.

"عندما كانت أمّي مع السّيد نيشيجاكي كانت دائمة الابتسام. وكذلك الأمر بالنّسبة إلى أبي. فعندما تناول العشاء مع كايدي، كان

دائمًا في مزاج جيّد، وعبّر عن استمتاعه بالطّعام. عندئذٍ، أدركت أنّ الأمنية الّتي تمنّيتها في ديزني لاند قد تحقّقت؛ لذا، أريد أن أعيش ذلك اليوم مجدّدًا. فكلّ من أبي وأمّي أصبح سعيدًا في النّهاية؛ لذا، بدلًا من البكاء، أريد أن أمنحهما ابتسامة".

"لكن، مع ذلك...".

عبست فوميكو، غير قادرة على تقبّل منطق يوكي، لكنّها لم تستطع التّعبير عن اعتراضها؛ إذ ليس لديها الحقّ في رفض قرار الصّبيّ.

"لذا، من فضلكِ، دعيني أعُد. أريد العودة إلى ليلة الميلاد من العام الماضي؛ اليوم الذي بكيتُ فيه كثيرًا". قال يوكي ذلك، وهو يخفض رأسه لكازو.

"إذًا، حسنًا".

عندها، اعترضت فوميكو قائلة: "كازو، هل أنتِ جادّة؟" وألقَت نظرة متشكّكة على كازو وهي تتحدَّث. "أعلم أنّهُ ليس من حقّي الاعتراض، لكن لا يمكنني أن ألزم الصّمت. لماذا يتعيّن على هذا الطّفل الصّغير أن يعيش كل هذه المعاناة من أجل راحة الكبار؟ أنا ببساطة لا أرى كيف يمكن أن يؤدي سفر هذا الصّبي عبر الزّمن إلى مَنْحه السّعادة! لو سمع والداه كلامه الآن، لربّما..." ولكن عندما نظرَت فوميكو إلى عينَي يوكي وهي تتحدّث، أمسكت الكلمات الّتي كانت ستتبع - فكَّرا في إعادة النّظر في مسألة الطّلاق - ولم تنطق بها.

أنا أقول ما أعتقد أنّه صحيح فحسبُ، وليس ما يتمنّاه هذا الصبي.

بدلًا من أن يطلب يوكي شيئًا لنفسه، تمنّى السّعادة لوالديه. ولدى رؤية فوميكو كل هذا النقاء في عينَيه، أدركت أنّها هي المخطئة.

في هذا العالم، ثمّة ما لا يُحصى من المواقف الّتي لا يؤدي فيها التّفكير السّليم بالضّرورة إلى الإجابة الصّحيحة. عضّت فوميكو على شَفَتها، وتراجعت بضع خطوات إلى الوراء، ثم اتّكأت قليلًا على الكرسيّ المرتفع.

فجأة، تردّد في أرجاء المقهى الهادئ صدى صوت إغلاق كتاب من جانب المرأة ذات الفستان الأبيض، الّتي كانت جالسة على الكرسيِّ الذي يسمح بالسّفر عبر الزمن.

صاحت فوميكو: "آه!".

بات كلّ شيء جاهزًا لكي يسافر عبر الزّمن. كيف يمكنني إيقافه الآن في حين أنّه ليس من حقّي الاعتراض؟

حوّلت فوميكو نظرها نحو المرأة ذات الفستان الأبيض وهي تمر بصمت من أمامها.

"تعالَ، يمكنك الجلوس الآن".

أرشدت كازو يوكي إلى الكرسيّ الذي يتيح له السّفر عبر الزمن. وبمجرد جلوسه، منحَ فوميكو ابتسامةً دافئة، فغمرتها موجة من العواطف.

هذا ليس من شأني حقًّا، ولكن هل يعرف والداه هذا الجانب منه؟ أودّ حقًّا لو أُريهما إيّاه!

وشبكت فوميكو يديها أمام صدرها في أمنيةٍ صامتة. لم يمضِ وقت طويل حتّى عادت كازو من المطبخ حاملة رَكْوة فضِّيَّة، وفنجان قهوة ناصع البياض على صينيّة.

"هل تعرف القواعد؟".

"أعتقد ذلك. لكن، هلّا تخبرينني بها تَحَسُّبًا".

أومأت فوميكو برأسها بقوّة، لم تكن تشكُّ فيه، لكن الوقاية أفضل من العلاج.

شرحت كازو القواعد بعناية، واحدة تِلْوَ الأخرى؛ وهو أمر سبق أن قامت به عشرات - إن لم يكن مئات - المرّات من قبل. وعلى كلّ منها، رد يوكي: "فهمتُ، لا بأس". لكن بالنّسبة إلى القاعدة الّتي تنصّ على ضرورة شُربِ القهوة قبل أن تبرد، ردّ بشكل أكثر جِدّيّة: "سأشرب القهوة قبل أن تبرد... سأشربها قبل أن تبرد... قبل أن تبرد".

"هل أنت مستعدّ؟".

"نعم".

كان كلّ شيء جاهزًا. وما كان على كازو سوى صب القهوة في الفنجان؛ ليتمكّن يوكي من السّفر عبر الزّمن.

قالت كازو وهي تمدّ يدها إلى الركوة الفضّيّة: "حسنًا إذًا".

"آه! مهلًا!".

علا صوت فوميكو فجأة. لكنّ كازو لم تتأثر، بل أبقَت يدها على الركوة، والتفتت إلى فوميكو، بانتظار ما ستقوله بعد.

"كازو، ألا يجب أن تضعي ذاك الشّيء في الفنجان؟ أنت تعرفين... المنبّه"، وكانت فوميكو تقرص بأصابعها كإشارة وهي تتكلّم.

كان المقهى يحتوي على جهاز يصدر إنذارًا لإخطار الشّخص أثناء رحلته إلى الماضي عندما تصبح القهوة على وشك أن تبرد تمامًا. وكانت فوميكو تقترح أن تحضره ليوكي، ابن السنوات السّبع. غير أنّ كازو ردّت ببساطة: "أنا متأكّدة من أنّه سيكون على ما يرام". ثم حوَّلت نظرها إلى يوكي.

"لكن...".

وقبل أن تحاول فوميكو إيقاف العمليّة مرّة أخرى، همست كازو: "قبل أن تبرد القهوة". ثمّ رفعت الرّكوة الفضّيّة، وأمالتها نحو الفنجان الموضوع أمام يوكي.

تصاعدت هبّة من البخار من فنجان القهوة الممتلئ، وفي الوقت نفسه، تحوّل جسد يوكي أيضًا إلى بخار.

لماذا؟

مع شعور مستمرّ بالقلق، شاهدت فوميكو يوكي وهو يتبخّر ويمتصّه السّقف.



كنت أحبّ رؤية أمّي وأبي يبتسمان. وكانت أجمل ابتساماتهما وهما معًا. وعندما كنت أراهما يبتسمان، لم يكن يسعني إلّا أن أبتسم معهما.

لا يصدّقني والداي، ولكنّني أتذكّر وجهَيْهما في اللّحظة الّتي فتحتُ فيها عيني على الحياة. كان أبي ينظر إليّ بتردّد، ويميل ليتأمّلني من كثَب، فيما كانت أمّي تُقبِّل خدّي، وتضغط جبينها على جبيني. كما أتذكّر أنّ الرّائحة الّتي كانت تفوح من أمّي طيّبة.

أوّل كلمة لفظتُها على الإطلاق كانت "ماما". كانت مجرد كلمة خرجت من فمي، وأنا أحاول إخبارها أنّني جائع، لكن سرعان ما أدركتُ أنّني كلّما قلتها فرِحت أمّي؛ لذلك واصلت قول: "ماما" لمجرد رؤية وجهها السّعيد.

غير أنّ الكلمة كان لها هذا التأثير على أمي فقط. أما أبي، فكان يبدو حزينًا لسبب ما، وكان يردُّ: "بابا، بابا". لاحقًا، عندما أدركت أن "ماما" تعني أمي، و"بابا" تعني أبي، شعرت بتأنيب الضمير خشية أن أكون قد آذيتُ مشاعر أبي؛ أنا آسف يا أبي.

في الواقع، لديَّ الكثير من الذكريات السعيدة مع أمي وأبي. فقد احتفلا عندما ظهرت أسناني، وتعانقا، وفرِحا عندما خطوتُ خطواتي الأولى. وكلما ابتسم أبي وأمي، كنت أشعر بالسعادة أنا أيضًا.

كذلك، أعتقد أن أبي لا يعرف، لكن أمي بذلت قلبها وروحها في الطهي لإسعاده. فعندما كان أبي يتناول الوجبات التي تعدها، ويعلن أنها "لذيذة"، كانت ابتسامة جميلة جدًّا ترتسم على وجه أمي. فكلمة "لذيذة" حين ينطق بها أبي كانت مَصْدر سعادة لأمي؛ أنا متأكد من ذلك.

ثَمَّة أشياء لا تعرفها أمي أيضًا. فعندما يعود أبي من عمله إلى المنزل متأخرًا، وتكون أمي قد نامت، كان يقبِّل جبينها دائمًا. وعندما يراني أشاهدهما، كان يقول: "هذا سِرُّنا!" كان أبي يحب أمي حقًّا؛ ولهذا، عندما علِمتُ من خلال برنامج تلفزيوني عن الشائعة التي تفيد بأن من يتمنى أمنية عند البوابة الأخيرة "إنه عالم صغير" فإنها تتحقق، قررت - إذا ذهبت إلى ديزني لاند يومًا ما - أن أتمنّى لأمي وأبي السعادة.

لكن مع مرور الوقت، أصبح أبي أكثر انشغالًا في العمل. وذات يوم، قالت له أمي إنها لا تستطيع العودة إلى العمل بسببي، فبدآ بالشجار. ومع أنني قلت لأمي مرارًا وتكرارًا: "أمي، لقد أصبحتُ كبيرًا بما فيه الكفاية الآن للبقاء في المنزل بمفردي"، لكنّها بدَت حزينة فحسْب.

نتيجة لذلك، افترضت أن سبب مشكلاتهما هو أنّني ما زلتُ طفلًا، فقررتُ أن أكبر. وبذلتُ قُصارى جهدي لأصبح مُستقِلًّا، وأقضي كل احتياجاتي بنفسي، إذ أردت أن أصبح كبيرًا بأسرع وقت ممكن لمساعدة أبي في عمله، ولكي لا تقلق أمي بشأني. فبهذه الطريقة، سيبتسمان بالتأكيد كما كانا يفعلان من قبل.

هذا ما ظننته!

غير أن الواقع كان مختلفًا؛ إذ لم يكن منزلنا المكان الوحيد الذي يمكن لأمي وأبي أن يجدا فيه السعادة، بل ثَمَّة أماكن أخرى يمكنهما فيها الابتسام.

وأنا سعيد من أجلهما، سعيد حقًّا!



"متى جلستَ هناك؟".

بعد سماع سؤال كينجي المحيّر، فتح يوكي عينيه: "آه، اممم...".

في الواقع، في الميلاد الماضي، جلسوا كعائلة إلى طاولة لشخصين في وسط المقهى. وتذكّر أنّه تمّ إحضار كرسيّ إضافيّ.

جلسَت آووي إلى الطّرف الآخر من الطّاولة، أمام نظرات يوكي وكينجي، وراحت تتأمّل يوكي باستغراب.

"حسنًا، لا يهمّ. سنتناول الحلوى قريبًا؛ لذا عُد واجلس معنا".

أمّا كينجي، فلم يستفسر عن كيفيّة تغيير يوكي لكرسيّه؛ الأمر الّذي حدث بشكل مفاجئ، كما لو أنّه انتقل بطريقة خفيّة. ومع أنّ ذلك

مستحيل، إلّا أنّ عدم تفاعل كينجي يرجع إلى قوّة المقهى الغامضة. وهي القوّة نفسُها الّتي تضمن أنّه بغض النّظر عن المحاولات الّتي يبذلها المرء أثناء وجوده في الماضي، فإنّ واقع زمنه الأصليّ لن يتغيّر.

هذه القوّة جعلت روّادَ المقهى غير المنتبهين يتقبّلون بسهولة ظهور أيّ شخص فجأة على ذلك الكرسيّ المعيّن، مُردّدين لأنفسهم: "ماذا؟! أوه، أعتقد أنّ كلّ شيء على ما يرام". والسّبب كان بسيطًا. فلو انشغل الجميع بغرابة الموقف، فإنّ القهوة ستبرد قبل أن يحظى ذاك الشّخص بوقت كافٍ لإنجاز ما أتى من أجله.

شعر يوكي بالارتياح لأنّ كينجي لم يطرح أيّ أسئلة، لكن على الرّغم من طلب والده منه العودة إلى طاولة العائلة، إلّا أنّه كان مقيَّدًا بالقاعدة الّتي تمنعه من مبارحة الكرسيّ الذي يجلس عليه، وإذا فعل، فسيرجع إلى زمنه الأصلي مجدّدًا؛ لذا، بما أنّه لم يكن يرغب في حدوث ذلك، بقي في مكانه، حائرًا في أمره.

في تلك اللّحظة، خرج ناغاري توكيتا من المطبخ وقال: "بما أنّ الطّاولة صغيرة جدًّا، هل تودّان أن أقدّم الحلوى هنا؟".

فنظر كينجي وآووي كل منهما إلى الآخر؛ ومِن ثَم إلى طاولتهما. ونظرًا إلى وجود وجبات لثلاثة أشخاص على طاولة مخصّصة لشخصين، فقد كانت الطّاولة مزدحمة بالفعل، ولا تتّسع للكعكة. كان بإمكانهما الانتظار حتّى يتمّ تنظيف الطّاولة، ولكن بما أنّ صاحب المقهى سمح بتغيير المقاعد، فسيكون الأمر أسرع بهذه الطّريقة. وهكذا، وافقا على اقتراح ناغاري، وانتقلا إلى الطّاولة الأخرى.

قال يوكي لناغاري: "شكرًا لك". فردّ عليه هذا الأخير: "على الرّحب والسّعة". وأشار تعبير وجهه إلى أنّه فهم الموقف وتصرّف بما يمليه المنطق ببساطة.

كان يوكي جالِسًا هو الآخَر إلى طاولة لشخصَين؛ لذا أحضر كينجي كرسيّه معه. جلست آووي أمام يوكي، وكينجي بينهما.

بينما كانت آووي تجلس، لاحظت وجود القهوة أمام يوكي. فمدّت يدها إلى الفنجان قائلة: "المعذرة، هلّا تأخذ هذا الفنجان من هنا".

"كلّا، لا بأس، هذه قهوتي". وتشبّث يوكي بالفنجان بسرعة، ممّا دفع كينجي وآووي إلى تبادل النّظرات.

"ولكن، لا يمكنك شُرب القهوة".

"هذا صحيح، ماذا دهاك؟".

فسارع يوكي إلى اختلاق عذر لإزالة شكوك والديه. "هذا هو اليوم الذي ينبغي أن أصبح فيه ناضِجًا؛ لذا أردتُ أن أشرب القهوة".

عند سماعهما كلامه، حوّل الاثنان نظرهما عنه بارتباك.

قالت آووي بقلق: "لكن لا تُجبر نفسك على شُربها. إذا لم تستطع، فماما ستشربها بدلًا عنك".

عندها، تدخّلت كازو توكيتا قائلة وهي تضع إبريقًا صغيرًا بجانب فنجان يوكي: "إذا أردتَ، استخدم هذا من فضلك". كان الإبريق مليئًا بالحليب. عادة، من شأن إضافة الحليب والسّكر إلى القهوة أن تجعل شربها أسهل، غير أنّ هذا الفنجان لم يكن فنجان قهوة عاديًّا. نظر يوكي إلى الإبريق بقلق؛ إذ خشي أن تبرد القهوة عند إضافة الحليب، فقالت كازو بسرعة: "لا

تقلق، مهما أضفت منه، فلن يؤثّر ذلك على درجة حرارة القهوة".

أمال كينجي وآووي رأسَيْهما بحيرة؛ فقد كان يوكي هو الوحيد الذي يفهم كلام كازو.

وقال وهو يحني رأسه بأدب: "شكرًا لك".

ليس الحليب وحده، بل ما من شيء يمكنه أن يسبّب أيّ تغيير؛ حتّى إنّ محاولة تسخين الفنجان لن تغيّر من درجة حرارة القهوة. فتمامًا مثل القاعدة الّتي تنصّ على أنّ واقع زمنك الأصلي لا يمكن أن يتغيّر مهما فعلتَ في الماضي، كذلك فإنّ درجة حرارة القهوة لا يمكن تغييرها اصطناعيًّا مهما يكُن. هنا أيضًا، يرجع السّبب إلى القوّة الغامضة للمقهى.

"أنا آسف على التأخير".

بينما كان يوكي يصبّ الحليب في فنجانه، ويضيف السّكر أيضًا؛ إذْ خرج ناغاري من المطبخ حاملًا كعكة الميلاد. كانت على الكعكة بطاقة كُتب عليها بالشّوكولاتة البيضاء: "ميلاد سعيد".

في ليلة الميلاد من العام الماضي، وبينما كان يوكي يضع قطعة من الكعكة في فمه، دقّت ساعة الحائط. بعد ذلك، استهلّت آووي، وهي تداعب رأس يوكي، حديثها قائلة: "ثَمَّة أمر مهمّ نودّ إخبارك به يا يوكي".

ما زال يتذكّر يدها الدّافئة. وعندما تذكّر كيف انفجر باكيًا في الميلاد الماضي، فكّر في سرّه:

مع أنّ أمّي وأبي ينفصلان، إلّا أنّهما سيصبحان سعيدين مع كايدي والسيد نيشيجاك؛ لذا، ما عليَّ سوى أن أبتسم وأقول: "أنا أفهم"، ثمّ أشرب القهوة.

كانت آووي قد قطّعت الكعكة وقدّمت له قطعة. الآن، أصبح كل شيء جاهزًا، وما عليه سوى أن يتناول لقمة منها.

مع ذلك، وعلى الرّغم من مرور الوقت، لم يستطع يوكي أن يحمل نفسه على غرْز شوكته في الكعكة.

"هاه؟".

"ما الأمر؟".

حدّقت آووي إلى وجه يوكي الذي بقِيت يده معلَّقة في الهواء بلا حراك، فيما تردَّد صدى دقّات السّاعة في أرجاء المقهى.

طن

تأمّل كينجي تعبير وجه ابنه.

"يوكي، لماذا تبكي؟".

فقال يوكي: "ماذا؟!" وأسقط شوكته، ثمّ رفع يديه إلى وجهه: "هذا مستحيل!".

ولكن، كانت وجنتاه مبلّلتَين بالفعل، والدّموع تنهمر على خديه.

"لست أبكي، أنا لا أبكي".

حاول يوكي جاهدًا أن يمسح دموعه الخائنة، ولكنّه لم يستطع إيقافها؛ وهذا ما دفع آووي إلى البكاء هي الأخرى. وسألته وهي تمسح دموعه بإصبعها: "ما الذي أحزنك إلى هذه الدرجة؟".

كان كينجي يحدّق باهتمام إلى قطعة الحلوى والحيرة بادية من نظراته.

أمّا يوكي، فواصل البكاء بصوت تردّد صداه في أرجاء المقهى، حتّى إنّه كان أعلى من صوت بكائه في الميلاد الماضي.

في تلك الأثناء، كانت أغنية "ليلة عيد" بصوت ميكي تتناهى إليهم من المطبخ.

أخيرًا، ما كان من يوكي إلّا أن أنهى قهوته مكرّرًا: "أنا آسف، أنا آسف".



"قُم من فضلك".

لدى سماع صوت المرأة ذات الفستان الأبيض، أدرك يوكي أنّه عاد إلى الحاضر. فبدّل كرسيّه بسرعة، وتمتم قائلًا: "لقد بكيت مجدّدًا".

احتضنتْه فوميكو بلُطف لمواساته.

"لا تقلق، لم يقل أحد إنّه لا ينبغي لك ذلك؛ فانفصال الوالدين أمر صعب، ولا بأس بالبكاء".

فارتفع صوت بكاء يوكي أكثر.

لم يكن واضحًا إذا ما كان كينجي وآووي قد تحدَّثا في الماضي عن طلاقهما أمام يوكي الباكي. ربّما عندما بكى يوكي، امتنعا عن ذِكر الأمر في ذلك اليوم، لكنّ ذلك لن يغيّر من الحاضر شيئًا. ففي وقتٍ ما، سيخبرانه بقرارهما بالانفصال؛ فقوانين هذا المقهى هي السّارية.

لاحقًا، بعد أن ذرف يوكي دموعه الأخيرة، غطَّ في النوم.

"ذلك الفتى يهتمّ حقًّا لأمر والديه".

كان كوزو موريتا، والد آووي، قد جاء لاصطحاب يوكي. ويعيش موريتا بمفرده في شقّة غير بعيدة عن المقهى. توفّيت زوجته قبل عامين، وكان يعتني بيوكي بانتظار أن يقرّر الصّغير إذا كان سيعيش مع كينجي أم مع آووي.

"أنا من أخبرَه عن هذا المقهى".

فردّت كازو من خلف المنضدة: "أحقًّا؟".

"مع أنّه لا يتجاوز السّابعة من عمره، إلّا أنّه دائم القلق على ابنتي وكينجي. فقد ندِم على بكائه هنا العام الماضي. وعندما رأيته يواجه الموقف بشجاعة، اقترحتُ عليه أن يحاول العودة إلى ذلك اليوم، لكن..." ألقى موريتا نظرة حزينة على يوكي النائم وهو يحمله على ظهره.

كانت فوميكو قد نهضت لتوديعهما، فنادَت موريتا وهو يتوجّه إلى باب المقهى متسائلة: "إذا سمحت لي بالسّؤال: هل قرّر مع مَن يريد أن يعيش؟".

"وهل يهمّك ذلك؟".

"نعم، فهو يبدو لطيفًا، وشديد الاهتمام بمن حوله. لا شكّ في أنّه يعاني من صراع داخليّ؛ لاضطراره إلى الاختيار بين أبيه وأمّه".

عند سماعه كلامها، ضغط موريتا على الزّاوية الداخلية لعينه، ثمّ قال دفعة واحدة: "إنّه يعاني مع هذا القرار منذ مدّة، وأنا واثق من أنّه لا يزال في حيرة من أمره. انتابتني رغبة في تأنيب ابنتي لطلبها الطّلاق، على الرّغم من علمها بما يشعر به، لكن لو قلتُ شيئًا، لانْزعجَ فحسب. وأنا لا أريد رؤيته حزينًا".

وتابع قائلًا: "من المثير للإعجاب أن يفكّر في والديه بهذا التّفاني، لكنّ هذا الصّغير لم يتجاوز السّابعة بعد. أعلم أنّه أراد العودة لمنحهما ابتسامة عريضة، ولكنّه عاد باكِيًا، فعسى أن يكون ذلك خيرًا له".

عندها، قالت فوميكو: "نعم، هذا ما أظنّه أنا أيضًا". وعندما قالت ذلك، لاحت ابتسامة عابرة على وجه موريتا قبل أن يغادر المقهى بانحناءة.

طن - طن

عادت فوميكو إلى المقهى بعد ذهاب موريتا حاملًا يوكِي على ظهره، وأطلقَت تنهيدة عميقة.

فقالت كازو: "هل ثمّة خطب ما؟".

لم يكن من المعتاد أن تطرح مثل هذه الأسئلة، بل إنّها تميل إلى تجنّب التّفاعل مع النّاس، لكن بعد مرور ثلاث سنوات على سفر فوميكو إلى الماضي، أصبحت فوميكو ترتاد المقهى يوميًّا تقريبًا، كلّما سمح لها جدولها بذلك؛ لذلك أصبحت كازو أكثر ارتياحًا معها. ولم تكن فوميكو من النّوع الذي يلاحظ مثل هذا التّراجع الطّفيف في المسافة العاطفيّة.

جلست فوميكو إلى المنضدة.

"لو كان لديّ ابن طيّب القلب ولطيف مثله، وانهار بالبكاء أمامي، لا أتخيّل كيف لي أن أُقْدم على الطّلاق...".

"أنا أفهمك".

"ماذا كنتِ ستفعلين في تلك الحالة يا كازو؟ هل ستصمّمين على الطّلاق؟".

فتمتمَت كازو: "أنا، امم... ونظرَت إلى المرأة ذات الفستان الأبيض. "ليس لديّ الحقّ في أن أكون سعيدة".

"ماذا؟ لِمَ تقولين...".

طن - طن

بينما كانت فوميكو تحاول فهم كلام كازو الغامض، رنّ الجرس، ودخل ناغاري حاملًا ميكي بإحدى ذراعيه، كما أحضر معه كيسًا مملوءًا بالخضار.

أعلنت ميكي: "ها قد عدنا".

ردّت فوميكو: "أوه، امم، مرحبًا". وكانت مشتّتة الذّهن قليلًا بسبب كازو الّتي اختفت في المطبخ.

"فوميكو! أليس لديكِ عمل؟".

فقال ناغاري بجدية ردًّا على كلام ميكي البغيض: "ميكي، من الوقاحة التحدّث على هذا النحو".

"أوه، ناغاري، لا بأس؛ لقد اعتدتُ عليها".

"أنا آسف، لكنّها تكرّر كلّ ما تسمعه على التلفاز".

"آه، voilà! أنا Parisienne حقيقيّة، أليس كذلك؟".

"أنتِ لا تفهمين حقًّا ما يعنيه ذلك، أليس كذلك؟".

"ما قصدكِ cherie؟".

"كفى!".

"فوميكو، اذهبي إلى عملكِ، s'il vous plait".

ردَّ ناغاري: "كفى!".

فانفجرَت فوميكو بالضّحك وهي تسمع الحوار الدّائر بين الاثنين.

"أنا آسف يا فوميكو. ميكي، ألن يبدأ برنامج بين بون مان قريبًا؟ لماذا لا تذهبين لمشاهدة التلفاز؟".

"حسنًا، إلى اللّقاء يا فوميكو".

"إلى اللّقاء يا ميكي".

هتفت ميكي وهي تنزل عن ذراع ناغاري: "أنا الرّجل الجرثومي! ها هي هو هو!" وركضَت إلى الجزء الخلفيّ من المقهى الذي يضمّ غرفة معيشة.

"أنا آسف حقًّا يا فوميكو".

"آه، لا داعي للأسف. أليس جميلًا أن تكون مليئة بهذا القدر من الطّاقة؟ تتمتّع ميكي بإشراقة لا تملكانها لا أنت ولا كازو؛ لذا أجدها رائعة".

"أهذا ما تظنّينه؟".

"لو كانت كي على قيد الحياة لكان هذا المقهى أكثر بهجة بكثير، ألا تظنّ ذلك؟".

"هذا مؤكّد".

"مرّت سنتان الآن. الوقت ينقضي بسرعة كبيرة".

"صحيح".

نظرت فوميكو وناغاري إلى إطار صورة موضوع على آلة تسجيل المدفوعات. كان الإطار يحتوي على صورة كي وهي تبتسم.

كانت كي زوجة ناغاري الّتي توفّيت بعد مدة وجيزة من ولادة ميكي، تميّزت تلك المرأة العفويّة، ذات العينَين البرّاقتين، بطبيعتها الحرّة البريئة، ممّا سهّل عليها تكوين الصّداقات مع أيّ شخص كان.

لكن بينما كانت فوميكو تتأمّل الصّورة بإعجاب، إذْ تذكرت ما قالته كازو في وقت سابق.

ربّما ما ينبغي لي أن أخبر ناغاري بذلك، وأسبّب له القلق. قد يكون من الأفضل أن أتظاهر حاليًّا بأنّني لم أسمع شيئًا.

أومأت فوميكو برأسها، وكأنّها تحاول إقناع نفسها.

"آه، صحيح! ماذا كنتَ ستفعل يا ناغاري؟".

"المعذرة، بشأن ماذا؟".

"هذا افتراضيّ تمامًا بالطّبع، لكن لنفرض أنّكَ وكي قرّرتما الانفصال، وعندما تحدّثتما عن الأمر مع ميكي، بكت بشدّة. مع ذلك، أرادت ميكي أن تكونا - أنت وكي - سعيدَين؛ لذا لم تعترف بأنّها لا تريدكما أن تنفصلا. هل كنتما ستنفصلان أنت وكي على الرّغم من ذلك؟".

عندها، وقف ناغاري شابِكًا ذراعيه، وهو يصغي إلى فوميكو تسرد السّيناريو بالكامل دفعة واحدة. أخيرًا، رفع أحد حاجبيه وتمتم قائلًا: "يا إلهي! فوميكو، لم أفهم شيئًا مما قلتِه"، ثم حدَّق إليها وهو يهزُّ رأسه بحيرة.

"ماذا؟ أوه، وكيف ذلك؟".

"سأقول مع ذلك، إنّني حتّى لو طلبتُ من كي الطّلاق، فسترفض. وسواء أَبَكَت ميكي أم لم تبكِ، فلن يغيّر ذلك شيئًا".

فجأة، أصبحَت تعابير فوميكو أكثر جدّية.

"ماذا؟ الآن أنت تتباهى فحسب".

"أنا لا أقول ذلك من باب التباهي، بل أخبرك بما كان سيحدث".

"بلى، أنت تتباهى".

"آه، كفى... أنتِ مَن سألتِني".

واحمرَّ وجه ناغاري حرجًا. لكن من على آلة المدفوعات، ظلّ وجه كي يشعّ فرحًا.

كان الصّيفُ الثالث - منذ أن قامت كي برحلتها إلى المستقبل - على وشك أن يبدأ.



بعد بضعة أيّام، زار موريتا المقهى بمفرده. لكن لم تكن فوميكو هناك لتسمع الخبر، فما كان منه إلّا أن أخبر كازو الّتي كانت مشغولة خلف المنضدة بإحدى مهامّها الرّوتينيّة.

"لقد قرّر حفيدي أن يعيش معي. فبصرف النّظر عن قلقه على أمّه وأبيه، اتّضح أنّه قلق عليّ أنا أيضًا؛ ربّما لأنّني فقدت زوجتي قبل عامين".

"يا له من فتًى طيّب القلب!".

"نعم، إنّه كذلك بالفعل".

بعد ذلك، غادر موريتا المقهى. أتى ورحل قبل أن يجفّ العرق على جبينه.

2

طفلة بلا اسم

تيرا نو آسون أودا كازوسانوسوكي سابورو نوبوناغا.

صدق أو لا تصدق، إنّه الاسم الكامل للشّخصيّة التّاريخيّة البارزة أودا نوبوناغا، الدايميو[1] القويّ الذي حقّق العديد من الانتصارات العسكريّة في سعيه إلى توحيد اليابان. ويتضمّن هذا الاسمُ الكامل اسمَ عشيرته، وشهرته، واسمه الشّخصيّ، ولقبه الرسميّ، واسم سنّ الرّشد.

كانت الأسماء معقّدة بشكل خاصّ في زمن أودا نوبوناغا. فقد كان الأفراد يستخدمون أسماء الطّفولة قبل تلقّيهم أسماءهم كبالغين، وكان الكثير من أمراء الحرب يغيّرون أسماءهم عبر مراحل حياتهم. على سبيل المثال، كان الدايميو الذي حمل رؤية أودا نوبوناغا لتوحيد اليابان يُدعى تويوتومي هيديوشي. وكان في فترة معيّنة من حياته يُعرَف أيضًا

(1) الدّايميو: التّسمية الّتي كانت تُطلق على كبار الزّعماء الإقطاعيّين في اليابان منذ القرن الثّاني عشر الميلادي، وحتّى إصلاحات فترة مييجي. (المحرّر)

باسم مختلف تمامًا، كينوشيتا توكيتشيرو. أمّا اسمه الكامل فكان تويوتومي نو آسون هاشيبا هيديوشي.

ومع مرور الزّمن، لم يعد النّاس في اليابان اليوم يستعملون سوى الشّهرة والاسم الأوّل. وتُمثّل الشّهرة اسم العائلة، في حين أنّ الاسم الأوّل تطوّر من اسم سنّ الرشد - الذي كان يُعرَف أيضًا بالاسم السرّي - لأنّ النّاس كانوا يتجنّبون مناداة بعضهم بعضًا بأسماء سنّ الرشد. فكانت تلك الأسماء تُستَخدم فقط من قِبَل الأشخاص الّذين يتمتّعون بالسلطة على صاحب الاسم. وفي زمن أودا نوبوناغا، كان بإمكان الوالدَيْن أو الأسياد فقط مناداة شخص ما باسم سنّ الرّشد. والآن، عندما يتمّ تصوير أودا نوبوناغا في المسلسلات التلفزيونيّة أو الروايات، يُشار إليه باسم السيّد نوبوناغا. وهو اسم سهل ومناسب للمشاهدين أو القرّاء، ولكن من المستبعد أنّه كان يُدعى على هذا النّحو في أيّامه.

عندما يولَد طفل في اليابان اليوم، يتعيّن تسجيل الولادة في غضون أربعة عشر يومًا. وبمجرّد التّسجيل، لا يعود من الممكن تغيير الاسم إلّا لسبب وجيه. وعادةً، يُستخدَم الاسم من الولادة وحتّى الوفاة.

من هنا، يُنصَح الآباء بالتّفكير بعناية في هذه المسألة المهمّة مُسبقًا. لكن إن لم يفعلوا، فقد يجد بعضهم أنّ أربعة عشر يومًا مدّة غير كافية على الإطلاق؛ لا سيّما إذا كان الزّوج الذي يُفترَض اختيار الاسم معه قد توفّي نتيجة حادث.



قالت ميغومي ساكورا بهدوء وهي تنظر إلى طفلتها النائمة في عَرَبة الأطفال: "إذًا، إذا عدتُ بالزّمن إلى الوراء، يمكنني أخذ طفلتي معي... هذا مثير للاهتمام".

كان في المقهى، بالإضافة إلى ميغومي، كلٌّ من ناغاري توكيتا - خلف المنضدة - مُرتديًا زيّ الطّهاة الأبيض، وفوميكو كيوكاوا، جالسةً إلى الطّاولة الوسطى.

أضافت نانا كوتاكي الواقفة بجانب ميغومي: "إنّها تصرُّ على أن يُسمِّي زوجُها الرّاحل الطّفلة؛ ولذلك فكّرتُ في مرافقتها لمراقبة الأمور من كَثَب".

كانت كوتاكي من روّاد المقهى المعتادين، وتعمل ممرّضة في مستشفى يقع في الجوار. وقد سبق لها أن جرّبت السّفر عبر الزّمن، إذ قامت بتلك الرحلة صيفًا منذ ثلاث سنوات لِلِقاء زوجها قبل أن يفقد ذاكرته بسبب مرض ألزهايمر.

تعيش ميغومي في شقّة بالقرب من المقهى، وقد ولدَت طفلتها في المستشفى الذي تعمل فيه كوتاكي، غير أنّ زوجها، ريوجي ساكورا، قُتِل في اعتداء تعرّض له قبل ولادة طفلتهما مباشرة.

وأضافت كوتاكي للتّأكيد على مدى إلحاح وضع ميغومي: "عليها تسجيلُ الولادة غدًا، واليوم فرصتها الأخيرة".

بعد الولادة، يُقال إنّ جسم الأمّ يكون قد تعرّض لضرر يشبه ذاك الذي يسبّبه حادث سير. ويعاني الرّحم بشكل خاصّ؛ إذ تترك المشيمة عند انفصالها جرحًا دائريًّا يبلغ قُطْره نحو ثلاثين سنتيمترًا؛ ولهذا،

تحتاج الأمّهات إلى ما يتراوح بين ستّة إلى ثمانية أسابيع تقريبًا لاستعادة حالتهنّ الصحّية السابقة للحمل. ومع أنّ الأمر يختلف بين امرأة وأخرى، إلّا أنّ بعضهنّ يحتجن إلى مسكّناتٍ للألم خلال الأسبوعين أو الأسابيع الثّلاثة الأولى لمجرّد التمكّن من الحركة.

بالنّسبة إلى ميغومي، كانت الولادة سلسة نسبيًا؛ هذا إن كان بالإمكان عدُّ مخاض استمرّ ثماني ساعات كذلك. وبعد الولادة مباشرة، أعلنت قائلة: "أريد العودة إلى الماضي". غير أنّ والدَيها لم يأخذا كلامها على محمل الجدّ في ذلك الوقت.

لاحقًا، وجدت ميغومي حليفًا لها في كوتاكي الّتي سبق لها أن عادت بالفعل إلى الماضي. وبعد الاستماع إلى ما قالته كوتاكي، بدا والدا ميغومي متساهليْنِ مع الفكرة، لا سيّما وأنّ ميغومي كانت شديدة الإصرار. فوافقا بشرط واحد؛ أن ترافقها كوتاكي إلى المقهى.

كانت ميغومي لا تزال تشعر بالألم وغير قادرة على الجلوس بشكل مريح بدون مسكّنات، لكنّ إصرارها على العودة إلى الماضي لكي يُسمِّي زوجها الطّفلة بنفسه كان يفوق إحساسها بالانزعاج. فبما أنّها من محبّي الأساطير الحضريّة، زارت هي وزوجها المقهى عدّة مرّات، وكانت على دراية جيّدة بقواعد السّفر عبر الزّمن. لكن لدى وصولها إلى المقهى اليوم، كان أوّل ما أرادَت معرفته هو ما إذا كان بإمكانها اصطحاب طفلتها معها إلى الماضي. في الواقع، كان ثمّة كرسيّ واحد فقط يسمح بالسّفر عبر الزّمن. وما من كرسيّ آخر يتيح ذلك، ولا حتّى الكرسيّ المقابل. لهذا السّبب، لم يكن بالإمكان سوى لشخص

واحد القيام بالرّحلة إلى الماضي. غير أنّ ميغومي كانت ترغب بشدّة في أن تُري ريوجي طفلته، حتّى ولو للحظة واحدة.

ردّ ناغاري على سؤالها ببساطة: "أعتقد أنّك قد تتمكّنين من ذلك". ثمّ ما لبث أن أضاف وهو يفرك صدغه: "مع أنّني لست متأكّدًا، فما من أحد قام بذلك من قبل".

عندها، أومأت ميغومي بهدوء، وكأنّها كانت تتوقّع إجابة ناغاري: "حسنًا، فهمت".

كانت تلك ثغرة، فأيّ حالة غير مغطّاة صراحةً بالقواعد كانت عبارة عن ثغرة محتملة. وفي هذه الحالة، ما من قاعدة تنصّ على أنّ شخصًا واحدًا فقط يمكنه العودة إلى الماضي. وعندما يُسأَل ناغاري عن سيناريو غير مذكور في القواعد، لا يمكنه سوى الإجابة بأنّ الأمر قد يكون ممكنًا.

ربّما، لو لم يكن المعنيّ بالموضوع طفلًا، بل شخصين بالغين، وجلس كلٌّ منهما على نصف الكرسيّ، فقد يتمكّن كلاهما من العودة بالزّمن إلى الوراء. في الواقع، لم يكن بمقدور ناغاري إعطاء ردٍّ قاطع بشأن أمر لم يجرّبه أحد من قبل.

كانت فوميكو تُصغي إلى الحديث، فتدخّلت قائلة: "لكن، هل فكّرت في ذلك جيّدًا؟ إذا وضعتُ نفسي مكان زوجكِ، أعتقد أنّني سأشكّ في أنّ مكروهًا سيحلّ بي".

غير أنّ ميغومي لم تجبها، بل اكتفت بالنّظر إلى طفلتها النائمة في العربة.

تابعت فوميكو: "مثلًا، لماذا لا تعودين بمفردكِ، فتسألين زوجك عن الاسم الذي يودّ أن يطلقه على الطّفلة؟ فبهذه الطّريقة، ستحقّقين رغبتك من دون أن تخبريه أنّه سيفارق الحياة، ما رأيك؟".

كانت فوميكو تحاول إخبار ميغومي أنّها إذا ظهرت هناك مع طفلتهما وطلبَت من ريوجي تسميتها، فإنّه سيتساءل على الفور: "لِمَ لستُ موجودًا لأسمّيها؟ هل هذا يعني أنّني سأموت؟" وبما أنّه كان يشارك زوجته حبّها للأساطير الحضريّة، فإنّ معرفته الوثيقة بالمقهى، وقدراته على تجاوز الزّمن تزيد من احتمالات حدوث أمر كهذا.

بعبارة أخرى، إذا عادت ميغومي بالزّمن إلى الوراء مع الطّفلة، فسيكون الأمر أشبه بالإعلان عن وفاة ريوجي.

تبادلت ميغومي النّظرات مع كوتاكي.

"أنتِ على حقّ، ربّما كنتُ أفكّر في نفسي فقط. لكن مع ذلك...".

"مع ذلك؟".

"أريده أن يرى طفلتنا، حتّى ولو لمرّة واحدة، ولو لعناق عابر. فكيف يُعقَل ألّا يرغب زوجي في ذلك؟ أنا متأكّدة من أنّه سيفرح برؤيتها". قالت كلامها، ثم مسحت على رأس طفلتها النّائمة برفق، فارتعشت الطّفلة إثر لمستها، لكنّها أبقت عينَيها مغمضتَين.

عندها، شعرت فوميكو بالخجل من سؤالها السّطحيّ، فتمتمت وهي تنكمش على كرسيّها: "أنا آسفة".

بينما أخفضت فوميكو رأسها بحزن، اقتربت منها كوتاكي قائلة: "أتعلمين؟ قلتُ لها الكلام نفسه، وحصلتُ على الردِّ نفسه؛ الأمر الذي

جعلني أتوقّف وأفكّر، مثلك تمامًا. يبدو أنّ منطِقَنا لا يصيب الهدف. ولو كنت مكانها، لربّما فعلتُ الشّيء نفسه. ففي النّهاية، الطّفلة جميلة على نحو لا يُقاوَم. ولو عرفتُ أنّني أستطيع أن أريه إيّاها، لرغبت حتمًا في اغتنام الفرصة".

"أنتِ محقّة. أنا أيضًا سأرغب في ذلك". أومأَت فوميكو برأسها بامتنان للدّعم الذي قدّمته لها كوتاكي، ونظرَت إلى الطّفلة المستلقية في العربة مضيفة: "إنّها جميلة للغاية".

في تلك اللّحظة، بدأت الطّفلة تتحرّك وتبكي، فأجفلت فوميكو ظنًّا منها أنّها أزعجتها. "آه، أنا آسفة!".

وعلى الفور، نظرت ميغومي الّتي كانت جديدة على الأمومة إلى كوتاكي طلبًا للمساعدة، من دون أن تعرف ما عليها فعله.

فقالت كوتاكي لطمأنة ميغومي: "لا تقلقي، كلّ شيء على ما يرام". ثمّ حملت الطّفلة بمهارة بدلًا من أمّها، وقالت وهي تربّت على ظهرها برفق: "كفى، كفى".

"لا تحتاج إلى تغيير".

"آسفة، كوتاكي، فأنا مَن عليّ فعل ذلك".

وعلى الرّغم من اعتذارها، إلّا أنّ تعبيرها أظهر بوضوح ارتياحها لمرافقة كوتاكي لها. فقد احمرَّ وجه الطّفلة بسرعة وهي تبكي بشكل متواصل.

عندها، قالت كوتاكي وهي تلتفت إلى ناغاري: "قد تكون الصّغيرة جائعة بعض الشيء".

"هل أُعِد لها بعض الحليب؟ هل لـديكما بعـض الحليـب المركّـب وزجاجة؟".

"آه! لكن...".

ارتبكت ميغـومي مـن سـؤال ناغـاري، ونظـرت إلـى كوتـاكي طالبًـا للمشورة.

فردّت كوتاكي مُطمئِنَة: "آه، لا تقلقي، لن تتسبّبي بأيّ إزعـاج". ثـمّ أجابت عن السؤال بدلًا مـن ميغـومي: "شـكرًا لـك يـا ناغـاري، سيكون ذلك عظيمًا".

ثمّ فكّت عقدة كيس قماشيّ موضوع في العربة، وقدّمته لناغـاري. كان يحتوي على بعض الحليب الصناعي وزجاجة، وكانت ميغـومي قـد حضّرته بناءً على اقتراحها.

عنـدها، قالـت ميغـومي وهـي تـومئ برأسـها تقـديرًا: "آسـفة علـى الإزعاج".

فردَّ ناغاري قبل أن يختفي في المطبخ: "من فضلك، انتظري لحظة، سأعدّها على الفور".

"أنـا آسـفة حقًّـا". تمتمـت ميغـومي بـذلك، وحـدّقت إلـى مـدخل المطبخ مطولًا بعد أن اختفى ناغاري عن الأنظار.

عرفـت فوميكـو وكوتـاكي - نظـرًا لكونهمـا زبـونتَين دائمتَين - أنّ ناغـاري ببسـاطة كـان يتصـرّف بـدافع اللّطـف. مـع ذلـك، كـان مفهومًـا بالنّسـبة إليهمـا شـعور ميغـومي بعـدم الارتيـاح بشـأن مـا إذا كـان مـن المناسب أن تطلب من موظّفي المقهى مزج الحليب لطفلتها؟

لذا، حاولت فوميكو طمأنتها قائلة: "لا داعي للقلق بشأن ذلك، فتحضير زجاجات الأطفال أمر سهل بالنّسبة إلى ناغاري".

ردت ميغومي: "أحقًّا؟" لكنّها فكّرت في سرّها، وقد ارتسمت ابتسامة مريرة على ثغرها: ليس هذا ما يشغل بالي!



سأل ريوجي ساكورا زوجته الّتي كانت جالسة على المقعد المجاور: "ماذا سنسمّي الطّفل؟" وتوقّفا عند تقاطع في المنطقة الشماليّة الغربيّة من طوكيو الداخليّة، تحت جسر يشكّل شريانًا رئيسًا.

فردّت ميغومي وهي تمرِّر يدها على بطنها الّذي لم ينتفخ بعد: "لقد اكتشفنا في الحال أنني حامل. وما زال الوقت مبكرًا بعض الشّيء على اختيار الاسم، ألا تظنّ ذلك؟".

"إذا كان صبيًّا، فما رأيك باسم شخصيّة مهمّة في التاريخ الياباني، مثل نوبوناغا؟".

"أوه، من فضلك قُل لي إنّك تمزح؟".

"لماذا؟ أعتقد أنّه سيكون اسمًا رائعًا".

"بالتّأكيد لا. ربّما كان الأمر مقبولًا لو كنّا نعيش في زمن الإقطاعيّة؛ حين كان النّاس يتبارزون بالسّيف، لكن ليس الآن. دعنا نختر اسمًا مألوفًا أكثر".

"حسنًا، ماذا تقترحين إذًا؟".

"فلننتظر على الأقلّ حتّى نعرف إذا كان صبيًّا أو فتاة".

"لماذا لا نفكّر في اسم لكليهما؟".

"هذا لا يروق لي".

"لِمَ لا؟".

"لأنّه إذا تبيّن، على سبيل المثال، أنّ الجنين صبيّ، فلن نستخدم الاسم الذي اخترناه للفتاة. ومع أنّنا اخترنا ذاك الاسم لطفلتنا الّتي لم تولد بعد، فسيكون الأمر كما لو أنّه لم يكن لها وجود قطّ. وهذا محزن حقًّا بالنّسبة إليّ".

تبدّل الضّوء الأحمر إلى الأخضر، فبدأت السّيّارات حولهما تتحرّك ببطء. بعد تأخير طفيف، ضغط ريوجي هو الآخر على دوّاسة الوقود.

"نعم، أعتقد أنّك على حقّ، فحججك منطقيّة دائمًا يا ميغومي. دعينا نختر اسمًا بعد ولادة الطّفل!" وأصبح صوته أكثر مرحًا.

"لا، ليس علينا الانتظار كلّ هذا الوقت. أنا أقصد أن نفكر في الأمر بعد أن نعرف جنس الجنين، أي في غضون بضعة أشهر".

كانت ميغومي معتادة على التّغييرات الجذرية في آراء ريوجي. فقد كان اندفاعه في مثل هذه الأوقات أقرب إلى اندفاع طفل منه إلى بالغ عاقل، لكنّ ذاك السّحر البريء هو الذي جذب ميغومي إليه. وعلى الرّغم من أنّه كان يكبُرها بعامين، فإنها وجدته لطيفًا. فعندما يجدها محقّة، يتراجع فورًا عن رأيه. فهو دائم الاستعداد لقبول حقيقة الموقف، ولا يسمح لكبريائه بمنعه من الاستمتاع بالأوقات الجميلة، أو التمسّك بالأشياء الّتي يعتقد أنّها مناسبة. كما أنّه على استعداد للاعتذار فورًا وبصدق إذا ظنّ أنّه مخطئ. لكن عندما يعتقد أنّه مُحقّ، فإنّه لا يتراجع. كان مثل طفل في جسد رجل.

لذا، كانت ميغومي تصف ريوجي بأنّه "طفل بالغ"، وهو مصطلح ابتكرته ووجدته مناسبًا له تمامًا.

"لا، أنا أقصد أنّه علينا أن نختار عدم معرفة جنس الجنين حتّى يولد. فعدم معرفة جنسه حتّى ذلك الحين سيكون مفاجأة يجلبها طفلُنا إلى العالم. ومجرد التّفكير في الأمر جعلني أتحمّس!".

"أوه، لا! ماذا سيكون رأي والديك في ذلك؟ ففي هذه الأيّام، الجميع يحبّون اكتشاف جنس الجنين قبل ولادته. وهذا ضروريّ للتّخطيط للهدايا من أجل حفل استقبال المولود الجديد".

"لا أرى أين المشكلة. سأقول ببساطة: لا يمكنني إخباركما".

"قد ينجح ذلك مع والديك..." في الواقع، أعتقد أنّهما لن يعترضا. فهما من ربّياه، ويبدوان في بعض الأحيان أقلّ نضجًا منه. "... لكنّ هذا الردّ لن يُقنِع والدَيّ!".

"لِمَ لا؟ ألا يحبّان المفاجآت؟".

"ليس هذا هو السّبب..." وصمتت ميغومي للحظة، ثمّ أظلم وجهُها، وأصبح صوتها أكثر هدوءًا. "حسنًا، لأكون صادقة، في الواقع، السّبب هو أنّ والدَيّ يكرهان المفاجآت. لا أقصد أنهما لا يحبّانها فحسب، بل تذكّرهما بصدمة عاشاها".

"صدمة!".

"عندما كنتُ صغيرة، خطّط والداي لمفاجأة أختي في ذكرى ميلادها، فتظاهرا بأنّهما نسيا شراء الكعكة. وقبل أن يتمكّنا من إخبارها بأنّها مجرّد مزحة، هربت أختي من المنزل. ظلّت مفقودة لثلاثة أيّام.

ومنذ ذلك الحين، أصبح أيّ نوع من المفاجآت محظورًا في منزلنا".

كانت قصّة ميغومي معظمها حقيقيّ. فما حدث بالفعل هو أنّ أختها تظاهرَت بالهرب، ثمّ ما لبثت أن عادت سريعًا، عازمةً على مفاجأة والدَيها على نحو أكبر. وقد جمّلت ميغومي قليلًا النّسخة الّتي روتها لزوجها لتشتيت ذهنه. وربّما ما كانت هذه الحيلة لتنجح لو لم يكن ريوجي طفلًا بالِغًا.

"حسنًا إذًا، المفاجآت ممنوعة".

أخذ ريوجي قصّة ميغومي على محمل الجدّ، وأخفض كتفيه بيأس وهو يمسك بعجلة القيادة بكلتا يديه. في حين بدا الإحباط على ميغومي أيضًا، ولكنّها فكّرت في سرّها: الطّفل البالغ يقتنع بسهولة.

استمرّ هذا الجوّ الثقيل إلى حدّ ما في حين كانت السّيّارة تدخل منطقة تجارية أكثر ازدحاما، ثمّ توقّفا عند إشارة حمراء في مسار الانعطاف إلى اليسار، عند التّقاطع الرئيس لجيمبوتشو.

"حسنًا، وجدتها، لا تخبريني! اطلبي من الجميع عدم إخباري، وستكون مفاجأة لي أنا وحدي. ما رأيك بذلك؟".

لم يتخلَّ ريوجي عن فكرة المفاجأة. وبينما كانت السّيّارة لا تزال متوقفة، اغتنم الفرصة للاقتراب من ميغومي، وابتسم لها بعينين مشرقتين.

هل أصبح هادئًا الآن لأنّه كان ينتظر اللّحظة المناسبة ليقول ذلك؟

فكّرت ميغومي في الأمر. كانت تتعامل مع طفل بالغ؛ لذا كان من المتوقّع أن ينزعج إذا رفضت عرضه.

لا بدّ أنّه سيغيّر رأيه في النّهاية.

تظاهرت بالتّفكير بجدية للحظة قبل أن تقول: "بالتّأكيد، لـمَ لا؟ يمكنني ببساطة أن أطلب من أمّي وأبي أن يُبقِيا الأمر سرًّا عنك. فلنعتمد هذه الخطّة!".

"رائع!".

اهتزّ ريوجي إلى الأعلى والأسفل بحماسة على كرسيّ السائق. كانا لا يزالان ينتظران أن يتحوّل الضّوء إلى اللّون الأخضر، لكنّ ميغومي خشيت حقًّا من احتمال أن يضغط على دوّاسة الوقود عن طريق الخطأ.

"حسنًا، فلننتظر حتّى يولد طفلنا، ثمّ سنفكر في اسم له".

"ماذا؟".

"لنختر اسم الطّفل معًا حينذاك. ففي النّهاية، لن أعرف ما إذا كان صبيًّا أم فتاة حتّى ذلك الوقت".

"ولماذا لا نفكر في اسم لكلتا الحالتين؟" على الرّغم من أنني سأعرف جنس الجنين مُسبقًا.

"مهلًا، ألم تقولي في الحال إنّك ضد هذه الفكرة؟".

في مرحلة ما من المحادثة، انقلبت مواقف ميغومي وريوجي. فقد سار الحديث بطريقة ما على هذا النحو، ولكن... ورَّطتُ نفسي بنفسي، فكَّرت ميغومي بذلك وهي تنقبض على نفسها محبَطة.

"حسنًا، سنقرر الاسم معًا بعد ولادة الطّفل".

"ممتاز!".

أطلقت ميغومي تنهيدة صغيرة. فقد كانت تشعر بأنّ والديها ينتظران أساسًا بفارغ الصّبر اللّيلة السّابعة؛ وهي الموعد التّقليديّ للإعلان عن اسم الطّفل، وغيرها من الطّقوس المماثلة. كانا متحمّسَين لولادة حفيدهما الأوّل المدلّل، وقد شاركاها بالفعل بعض الأسماء المحتملة.

لكن لدى التّفكير في الأمر، إنّه اسم سيحمله طفلنا طوال حياته.

أرادت ميغومي أن تقرّر مع ريوجي. ولم تتخيّل قطّ أنّ ريوجي لن يكون موجودًا ليشاركها الاختيار، إلى أن حلَّ ذلك اليوم المشؤوم...



رنّت ساعة الحائط البندوليّة الوسطى في المقهى، طن، طن، طن، معلنةً الثّالثة من بعد الظهيرة. في تلك اللّحظة، عاد ناغاري من المطبخ وهو يخضّ زجاجة الطّفلة برفق.

في اللّحظة نفسها، ظهرت ميكي الّتي كانت نائمة في الغرفة الخلفيّة. بلغت ميكي - ابنة ناغاري - الثّانية من عمرها هذا الرّبيع. ومن الطّريقة الّتي كانت تفرك بها عينيها، بدا أنّ النعاس لم يفارقها بعد.

"أوه، هل استيقظتِ؟".

"السّاعة الثّالثة، حان وقت الوجبة الخفيفة".

فنظر ناغاري إلى السّاعة بأسف، ثمّ قال متنهّدًا: "أنتِ تعرفين الجدول جيّدًا. انتظري لحظة حتّى أنهي ما بيدي".

"حسنًا، monsieur".

"من أين تعلّمتِ هذا؟".

غير أنّها تجاهلت تذمُّر ناغاري، وصعدت للجلوس على الكرسيّ المقابل للمرأة ذات الفستان الأبيض، بانتظار وصول وجبتها الخفيفة.

كانت فوميكو جالسة إلى طاولة خلف ميكي الّتي تربطها بها علاقة وثيقة. وسرعان ما دخلت الاثنتان في محادثة غريبة.

"فوميكو".

"ماذا؟".

"هل خسرتِ وظيفتكِ؟".

"لا".

"لكنّني أراكِ هنا كلّ يوم".

"أنا أحبّ هذا المقهى".

"هل ستتزوجين المقهى؟".

"لا أعني هذا النّوع من الحبّ".

"أيّ نوع من الحبّ إذًا؟".

"كمكاني المفضّل، مثلًا".

"كماني المفضّل؟".

"مـ. كـ. ا. نـ. ي، مكاني".

"مكاني مكاني مكاني مـ... كَماني كماني كماني... كماني لساني لساني!".

"هل نحن نلعب لعبة الكلمات؟".

"لساني!".

"لساني؟ لساني... لساني... لساني...".

استغرقت فوميكو في تفكير عميق.

أعطى ناغاري الزّجاجة لكوتاكي الّتي كانت تحمل الطّفلة، وقد علا العبوس وجهَه بسبب الحديث الدّائر بين ميكي وفوميكو.

فقالت ميغومي الواقفة بجانب كوتاكي وهي تخفض رأسها معتذرة: "أنا آسفة على التسبّب بهذا الإزعاج".

"لقد أعددته بدرجة حرارة أقلّ قليلًا من المعتاد".

"شكرًا جزيلًا".

يُقال إنّ درجة حرارة الحليب الّذي يُعطى للمواليد الجُدُد ينبغي أن تقارب درجة حرارة جسم الإنسان. وقد أعدّ ناغاري - وهو طاهٍ - الحليب بدرجة حرارة أقلّ قليلًا من 33 إلى 34 درجة مئوية، باستخدام ميزان حرارة؛ لاعتقاده أنّ هذه هي درجة الحرارة الأكثر طمأنينة بالنّسبة إلى الطّفل. ومع أنّها كانت نظريّته فحسب، إلّا أنّ هذا الاعتقاد تكوّن لديه نتيجة لتجربته في تحضير الحليب لميكي.

"ماذا عن وجبتي الخفيفة؟".

"ميكي، دعينا نلعب لعبة الكلمات".

فسألتها ميكي وقد بدا عليها الارتباك: "أيّ لعبة كلمات؟".

عندها، انكمشت فوميكو بخيبة؛ إذ كانت محادثاتهما تسير دائمًا بحسب وتيرة ميكي. فيما ضحكت كوتاكي وهي تتابع التّفاعل بينهما.

لم يُظهِر ناغاري أيّ اهتمام بحديثهما، بل تنهّد وقال: "سأحضر لك وجبة خفيفة". ثمّ عاد إلى المطبخ.

"ماذا تقرئين اليوم؟".

وفي اندفاع عفويّ، وقفت ميكي على الكرسي، ومدَّت يدها، ثم أمسكت بالكتاب الذي كانت المرأة ذات الفستان الأبيض تقرؤه. أرادت قَلْبه لرؤية الغلاف.

فقالت فوميكو بعجل: "لا يا ميكي، توقّفي!" فما كان من ميكي إلّا أن توقّفت، ونظرت إلى فوميكو وقد بدا الاستغراب في عينيها الواسعتين.

"يجب ألّا تلمسي كتاب السيّدة".

رمشت ميكي بعينيها الكبيرتين تكرارًا، من دون أن تفهم سبب اعتراض فوميكو.

عندها، تابعت فوميكو: "أنتِ تعلمين أنّه من الخطر القيام بهذا، أليس كذلك؟" لم تكن تحذّر ميكي؛ لأنّ الوقوف على الكرسيّ يشكّل خطرًا على الطّفلة، أو لأنّه سلوك سيّئ، بل لأنّها كانت تعلم أنّ المرأة ذات الفستان الأبيض شبح، وتدرك جيّدًا ما بمقدورها فعله.

فقَبْل ثلاث سنوات، جرّبت فوميكو بنفسها تأثير اللّعنة عندما حاولت بالقوة جرَّ المرأة عن كرسيّها لكي تعود إلى الماضي. تذكّرت كيف حدَّقت إليها المرأة بنظرة مروعة؛ بحيث شعرت كأنّها تُسحَق تحت كتلة هائلة وغير مرئيّة من الهواء، تدفعها إلى الأرض، وتجعلها تشعر بالاختناق وعدم القدرة على الكلام. في تلك المناسبة، أنقذتْها كازو توكيتا.

لا يمكنني أن أسمح لميكي بخوض تجربة مرعبة كهذه. تكلّمت فوميكو مدفوعة بهذه الفكرة، لحماية ميكي من اللّعنة.

"حبيبتي ميكي، اتركي كتاب السيّدة".

فحدَّقت ميكي إلى فوميكو بوجه خالٍ من التّعبير وهي لا تزال ممسكة بالكتاب، ثم تجاهلت جهود فوميكو لمنعها، وأخذت الكتاب من المرأة ذات الفستان الأبيض.

عندها، فكّرت فوميكو في سرها وهي تغمض عينيها: ستصاب باللعنة!

"؟".

غير أنّه لم يحدث شيء. إذ لم تومض أضواء المقهى فجأة مثل الشّموع، ولم تتردّد أصوات أنين مخيفة في الهواء؛ كما حدث عندما أصابت اللّعنة فوميكو. بل كانت مِرْوحة السّقف تدور بهدوء. ولو أصغى أحدهم السّمع، للاحظ أنّ تكّات السّاعات كانت الصّوت السّائد.

لماذا؟!

ما فاجأ فوميكو أكثر من أيّ شيء آخر أنّ المرأة ذات الفستان الأبيض - الّتي انتُزِع منها كتابها بوقاحة - كانت تحتسي قهوتها بهدوء وكأنّ شيئًا لم يكن.

راحت ميكي تحدّق إلى غلاف الكتاب باستغراب. فبما أنّها لم تتجاوز الثّانية من عمرها فقط، لم تكن تجيد القراءة بعد.

سأل ناغاري عندما عاد من المطبخ: "ماذا تفعلين؟" وكان يحمل مرطبانًا يحتوي على بودينغ الكاسترد. استمرَّت فوميكو في التّحديق إلى ميكي الّتي أشرقت عيناها عند رؤيتها الحلوى.

من دون إلقاء حتّى نظرة جانبية على فوميكو، قال ناغاري: "أعيدي إلى كانامي كتابها، ولا تقفي على الكراسي بعد الآن".

ثمّ وضع البودينغ أمام ميكي.

"حاضر، monsieur".

بعد إعادتها الكتاب، جلست ميكي على كرسيّها، وانتزعت بودينغ الكاسترد من بين يديه. بدا الطبق بحجم غطاء زجاجة في يد ناغاري، غير أنَّ حجمه بين يدي ميكي أصبح أقرب إلى حجم وعاء أرزّ.

"امم...".

"ما الأمر يا فوميكو؟".

"لِمَ لَمْ تتعرّض ميكي إلى أي أذًى هذه المرة؟" كانت نظرة فوميكو حادة وهي تضغط على ناغاري بانتظار إجابة. "هل لأنّها تتحدر من سلالة توكيتا؟".

"لا عَلاقة للأمر بذلك".

"لماذا إذًا؟".

"وحدهم الّذين يريدون العودة إلى الماضي يصابون باللّعنة".

"ماذا؟!".

"عندما أُصبتِ باللّعنة، كان ذلك لأنّك كنت راغبة في العودة إلى الماضي، أليس كذلك؟".

"نعم".

"لهذا السّبب أصابتك اللّعنة. أمّا ميكي فلا ترغب في العودة بالزمن إلى الوراء".

"ولهذا السّبب لم تُصب بأذًى".

"صحيح".

بينما كانت فوميكو تنظر إلى ميكي وهي تستمتع بحلوى البودينغ، تغيّر تعبير وجهها فجأة كما لو أنّها تستوعب معنى كلامه.

"إذًا، إذا أخذتُ الكتاب الآن...".

"فلن تُصابي باللعنة".

لم تُضِع فوميكو الوقت، بل سارعت إلى انتزاع الكتاب من يد المرأة ذات الفستان الأبيض. وبالفعل، لم يحدث شيء.

"هذا صحيح!".

قفزت فوميكو بفرح، بينما راحت المرأة ذات الفستان الأبيض تحدّق إلى الفراغ بتعبير جامد.

"نعم. لكن في حالتك يا فوميكو، سبق لك أن عدتِ إلى الماضي؛ لذا لم يعُد الأمر مهمًّا".

"ماذا؟".

"حسنًا، ما من مرّة ثانية؛ لذا لا يمكن أن تصابي باللّعنة".

"ماذا تقصد؟".

"أوه، ألم يخبرك أحد من قبل؟ لا يمكنك العودة إلى الماضي إلّا مرّة واحدة".

"لم أكن أعرف ذلك".

"نعم، مرّة واحدة فقط".

"مرة واحدة فقط؟".

"مرة واحدة فقط".

"أحقًّا؟".

"أجل، حقًّا".

"لكن، لِمَ لَمْ أسمع بذلك من قبل؟".

"في الواقع، نحن لا نعد هذا من القواعد؛ لأنّه مجرّد أمر واقع".

"وكيف لا يكون من القواعد؟".

"حسنًا، القاعدة أمر يجب الالتزام به. وإذا أردتِ، فبإمكانك كسرها. أمّا هذه، فهي مسألة أمر واقع. هكذا هي الأمور".

"إذًا؟".

"لا يمكنك العودة إلى الماضي مرّة أخرى يا فوميكو".

"وماذا عن المستقبل؟".

"بالتّأكيد لا".

"أوه، لا".

ترنّحت فوميكو وهي تتراجع إلى الخلف، ثم جلست على كرسيّها، وأخفضت رأسها بحزن.

أصبحت الزّجاجة فارغة تقريبًا، غير أنّ عقل ميغومي كان في مكان آخر وهي تحدّق إلى طفلتها بين ذراعَي كوتاكي، ولم تلاحظ قطّ أنّ الحليب قد نفد حتّى آخر قطرة.

ربّما كانت تلك المرأة وكوتاكي على حقّ. هل سأحضر إليه الطّفلة حقًّا ليتعرّف إليها؟ لمَ لا أكتفي بالعودة بمفردي وسؤاله؟ فما من أحد يودّ أن يعرف أنّه على وشك الموت. لا شكّ في أنّ ريوجي لن يرغب في ذلك... لكن...

كثيرًا ما يتردّد النّاس في حياتهم. فما من قرار يتّخذه الإنسان من دون أن تساوره أي شكوك حيال صحّته، وهذا الشكّ أشبه بشخص آخر يعيش في القلب. ومع أنّ الرسوم المتحركة غالبًا ما تصوّره ككائن طيّب وكائن شرير، فإنّ كِلَيْهما يتحدثان من القلب. وفي قلب ميغومي، احتدم صراع بين جانبين من نفسها.

- هذا ريوجي، سيكون بخير. لا، بل إنّه سيشكرني على إحضار الطّفلة معي.
- هكذا اخترتِ أن تتخيّلي الأمور. إذا اصطحبتِ الطّفلة، فستكون رسالةً واضحة بأنّه مات. كيف تتوقّعين إخفاء الأمر عنه؟
- لن أخفي عنه شيئًا، بل سأتحدّث بصراحة.
- لهذا السّبب أقول إنّه تصرّف أنانيّ من جانبك! فثمّة احتمال كبير بأن يكون أكثر سعادة إن لم يعرف الحقيقة. لكنّك تصرّين على تجاهل ذلك، وكشف كلّ شيء. لماذا تفكّرين باستمرار في مشاعر ريوجي الآن وقد مات، بينما تهملين مراعاة أحاسيسه عندما كان على قيد الحياة؟

جرى هذا الحديث الدّاخلي مرارًا وتكرارًا منذ الولادة.

تساءلت ميغومي في قرارة سرّها وهي تغمض عينيها: لماذا أشعر بمثل هذا الشكّ الآن، من بين كل الأوقات؟

تتغيّر قلوب النّاس باستمرار. فمهما تكن عزيمة المرء ثابتة، من شأن حدث بلا أهمّية على الإطلاق أن يثير الشّكّ. وبمجرّد أن يرى

الشّكُّ النّور، يصبح من الصّعب على المرء قمعه، مهما بذل من محاولات؛ كما لو أنّ نسخة مختلفة من الذّات ظهرت فجأة، بوجهات نظر معاكسة تمامًا لتلك الّتي كانت سائدة منذ بضع ثوانٍ خلت. لماذا بدأت تتردّد الآن؟ حتّى ميغومي نفسُها لم تستطع تفسير ما يجري.

"هل كلّ شيء على ما يرام؟".

شعر ناغاري بالصّراع الذي يدور في نفس ميغومي، فتدخّل. في تلك اللّحظة، انتبهت ميغومي أخيرًا إلى الزّجاجة الفارغة.

قالت وهي تخفض رأسها احترامًا لناغاري: "أوه، لقد أنهَتها... أنا آسفة، شكرًا لك". كانت الطّفلة قد أغمضت عينيها الآن، وبدت راضية بين ذراعي كوتاكي.

"لو كانت زوجتي على قيد الحياة ومعنا الآن..." قال ناغاري ذلك وهو ينظر إلى الصّورة على المنضدة، وكانت الصّورة لزوجته كي توكيتا.

"عفوًا؟".

لم تستطع ميغومي إخفاء ارتباكها من حديث ناغاري المفاجئ عن زوجته. ومع أنّ ناغاري لاحظ حيرتها، إلّا أنّه تابع قائلًا: "أعتقد أنّها كانت ستقول إنّ عليك العودة إلى الماضي لرؤيته".

ووافقته كوتاكي الرّأي قائلة: "نعم، لكان هذا رأي كي بالتّأكيد". فبدت الدّهشة في عينَي ميغومي الواقفة بجانبها، وهي تصغي إلى كلام ناغاري.

سألته ميغومي: "لماذا تقول ذلك؟".

حكّ ناغاري رأسه، وضاقت عيناه أكثر.

"أنا لست ميّالًا إلى التدخّل في شؤون الآخرين الشّخصية، وأفضّل تجنّب التّعليق على أفعالهم، على عكس زوجتي تمامًا. ولو كانت هنا الآن، لقالت لك إنّه عليك الذهاب".

فسألته ميغومي: "لماذا؟" وكانت نظرتها ثابتة على الصّورة في الإطار، والّتي بدت فيها عينا كي متألّقتين ونابضتَين بالحياة، فيما أشرق الدّفء من ابتسامتها.

"لقد ذهبَت زوجتي لرؤية شخص ما هي أيضًا. لكن في حالتها، اختارت الذّهاب إلى المستقبل".

"أحقًّا؟".

"كانت زوجتي واهنة، وقيل لها إنّه من غير المتوقّع أن تعيش طويلًا إذا أنجبت طفلتنا. والسّبب الذي دفعها إلى زيارة المستقبل كان رغبتها في التأكّد من أنّ ابنتها تعيش بسعادة".

تابع ناغاري قائلًا: "كنتُ ضدّ الفكرة؛ فقد كان من الممكن أن تزور مستقبلًا لم تولد فيه طفلتنا أساسًا. غير أنّ زوجتي زارت المستقبل مع ذلك، وعادت مبتسمة".

قالت كوتاكي بصوت خافت: "في ذلك الوقت... لو لم تذهب إلى المستقبل لمقابلة ميكي، فحتّى بعد ولادتها بأمان، كانت ستبكي باستمرار، من دون أن يفارقها القلق بشأن المستقبل".

ووافقها ناغاري الرأي بابتسامة باهتة وهو يتذكّر محاولته ثني كي عن الذّهاب إلى المستقبل: "نعم، هذا صحيح". صار سعيدًا الآن لأنّها

اتّخذت هذا القرار. "لهذا السّبب، أعتقد أنّه لو كانت زوجتي هنا، ورأتك متردّدة، لشجّعتك على الذّهاب".

فوافقته كوتاكي وهي تهزُّ كتفيها: "هذا بالضّبط ما قالته لي".

عندها، تساءل ناغاري باستغراب: "أوه، أحقًّا؟".

عاشت كوتاكي هي الأخرى تجربة العودة إلى الماضي، وذلك لتسلُّم رسالة كان زوجها متمسّكًا بها بشدّة. فبعد أن قضى مرض ألزهايمر على ذاكرته وهويّته، لم يستطع تسليمها إيّاها.

في ذلك الوقت، تردّدت كوتاكي، وتساءلت عمّا إذا كان ينبغي لذاتها الحالية أن تتسلَّم رسالة مكتوبة إلى ذاتها الماضية. إلّا أنّ كي شجّعتها وطلبت منها أن تذهب وتتسلَّم الرسالة.

قالت كوتاكي: "لا تقلقي. ثقي بنفسك، وثقي بزوجك. ففي الحياة ثمّة طريقان فقط: الفعل، أو عدم الفعل، وعلى البشر اختيار أحدهما. أنا ذهبتُ، وكذلك فعلَت كي".

أضافت فوميكو وهي تنظر إلى ميغومي بإصرار: "وأنا أيضًا".

"إذا لم تذهبي، أعتقد أنّك ستندمين كلّما ناديت ابنتك باسمها. لذا، أظنّ أنّه عليك الذّهاب. اذهبي واجعلي زوجك يُسمّي الطّفلة. افعلي ذلك حتّى تتمكّني من العيش بفخر؛ لِعِلمِكِ أنّ زوجكِ اختار الاسم". وابتسمت كوتاكي لميغومي بلطف.

فأومأت ميغومي برأسها باقتناع: "حسنًا".

إنهم على حقّ. إذا لم أذهب، فمن المؤكّد أنّني سأندم على ذلك. وإذا ذهبت، فإنّني سأتحدّث بحرّية، لأنّه لا جدوى من محاولة إخفاء الحقيقة.

تركّزت نظرات ميغومي على الكرسيّ الذي كانت المرأة ذات الفستان الأبيض تحتلّه.

"لقد قرّرت الذّهاب، كفاني تردّدًا".

"أحسنتِ". هتفت كوتاكي بذلك وهي تشجّعها بابتسامة أخرى، بينما تبادل ناغاري وفوميكو النّظرات.

في تلك اللّحظة، أنهت ميكي حلوى البودينغ وصفّقت بيديها قائلة: "شكرًا على الوجبة".



مرّت ساعتان ببطء. فلكي تتمكّن ميغومي من العودة إلى الماضي، كان عليها أن تنتظر حتّى تنهض المرأة ذات الفستان الأبيض عن كرسيّها لدخول الحمّام، لكن من غير المعروف متى سيحدث ذلك. كانت ساعات عمل مقهى فونيكولي فونيكولا تمتدّ من العاشرة صباحًا إلى الثامنة مساءً، لكن ما من شيء يضمن أن تقصد المرأة الحمّام خلال ذلك الوقت. قد تنهض عند منتصف الليل، أو في الصّباح الباكر، من يدري؟ فهذه الأمور غير منتظمة ولا يمكن توقّعها، حتّى مع الإحصائيّات. وإذا أرادت ميغومي العودة إلى الماضي، فما عليها سوى الانتظار.

طن، طن، طن، طن، طن

دقّت إحدى السّاعات خمس مرّات.

مرّت ساعتان، لم يدخل خلالهما المقهى زبائن جدد. أصبحت ميغومي الآن الزبونة الوحيدة. فقد عادت فوميكو إلى العمل، وهرعت كوتاكي إلى الخارج فجأة، قائلة إنّها ستعود قريبًا، بعدما اتّصلت بها الشّرطة المحلّيّة لإبلاغها أنّ زوجها المصاب بألزهايمر تحت رعايتهم. ولم يعُد في المقهى الآن سوى كازو توكيتا. كانت كازو قد عادت لتحلّ محلّ ناغاري الذي خرج للتسوّق مع ميكي.

وقفت كازو بهدوء خلف المنضدة، ولم تبذل أيّ جهد للتّحدّث إليها. أمّا ميغومي، فجلست إلى الطّاولة الأقرب إلى المدخل، وراحت تهزّ عربة الطّفلة برفق إلى الأمام والخلف، بانتظار أن يصبح الكرسيّ شاغرًا.

كانت كوتاكي قلقة بشأن حالة ميغومي بعد الولادة، لكن لم تبدُ أيّ علامات تعب على الأمّ الشابّة. ومع أنّ ابنتها حديثة الولادة كانت تبكي بين الحين والآخر، إلّا أنّها تنام الآن بسلام.

أودّ بشدّة أن يراها ريوجي، وأن يختار اسمًا لها.

زال الشكّ أخيرًا من قلب ميغومي.

فجأة، حدث ما كانت تنتظره!

فقد تناهى إليها من الجزء الخلفي للمقهى صوتٌ خافت لكتاب وهو يُغلَق. وحين نظَرت ميغومي إلى مصدر الصّوت رأت المرأة ذات الفستان الأبيض تقف ببطء.

"آه...".

خرج ذلك الصوت من بين شفتَي ميغومي لا إراديًّا، بعد ساعتين من الانتظار. وقالت لنفسها: أخيرًا، ها هي تنهض. وراحت تنظر حولها

بحثًا عن كوتاكي؛ على الرّغم من معرفتها أنّها لم تكن هناك.

لقد نهضت المرأة عن كرسيّها أخيرًا، ولكن...

في تلك اللّحظة، أرادت ميغومي بشدّة أن تكون كوتاكي بجانبها؛ فهي وناغاري من شجّعاها بقولهما: "يجب أن تذهبي". غير أنّها كانت تعلم أنّ المرأة ذات الفستان الأبيض لن تنتظر عودتها. شاهدتها تمرّ بجانبها بصمت، حاملة الكتاب بيدها، وتختفي باتّجاه الحمّام.

وعلى الفور، التفتت ميغومي إلى كازو الواقفة خلف المنضدة لإرشادها.

"هيّا".

حثّتها كازو بهدوء على الجلوس على الكرسيّ الفارغ، من دون أن يتغيّر تعبيرها.

"حسنًا، إذًا".

حملت ميغومي ابنتها من العربة برفق، وحرصت على عدم إيقاظها، ثمّ اقتربت بتردّد من الكرسيّ إلى أن وقفت أمامه.

إذا جلستُ هنا، فسأتمكّن من رؤية ريوجي.

مرّت ميغومي بين الطّاولة والكرسيّ، حاملة ابنتها بين ذراعيها، وجلست.

وبمجرّد جلوسها، لاحظت أنّ برودة الهواء تحيط بها. ألقت نظرة حول المقهى، وكان أوّل ما وقع عليه نظرُها ساعةَ حائط بندولية. كانت السّاعةَ الوسطى من بين السّاعات الثّلاث المعلّقة في المقهى.

نظرت ميغومي إلى ساعتها، ولاحظت أنّ السّاعة الوسطى فقط هي الّتي تشير إلى الوقت الصحيح. أمّا السّاعتان الأخريان، فتُظهِران أوقاتًا مختلفة، وكانت عقاربهما متوقّفة في مكانها.

فكّرت وهي تُميل رأسها بفضول: يبدو أنّهما معطّلتان.

"أفترض أنّكِ على علم بالقواعد!".

أدركت ميغومي فجأة أنّ كازو تقف بجانبها. وعلى الصّينية الّتي تحملها بين يديها، كانت ثمّة ركوة فضّيّة لامعة وفنجان قهوة.

"اممم، أجل".

رفعت كازو فنجان القهوة الأبيض الناصع عن الصّينية، ووضعته برفق أمام ميغومي.

"سأصبّ لك القهوة الآن. لا يمكنك البقاء في الماضي إلّا من لحظة ملء الفنجان بالقهوة وحتّى اللّحظة الّتي تبرد فيها القهوة. أهذا مفهوم؟".

أوضحت كازو هذا الأمر بشكل واقعيّ، وبصوت واضح وهادئ ورتيب.

"نعم، فهمت".

على الرّغم من أنّني لم أصدّق قطّ أنّه من الممكن العودة بالزّمن إلى الوراء.

هزّت ميغومي كتفيها بخفّة، لكي لا تلفت انتباه كازو، وهي تحدّق إلى الفنجان الفارغ.

"أنا متأكّدة من أنّكِ سمعت ذلك من قريبي، ولكن عندما تعودين إلى الماضي، احرصي على عدم الانفصال عن طفلتك؛ لأنّك إذا

فعلت، فلن تعود سوى ابنتك من الماضي إلى الحاضر".

كانت ميغومي قد سمعت ذلك من ناغاري: "احرصي على الإمساك بجزء من طفلتك طوال الوقت".

أجابت ميغومي وهي تضغط بخدّها على رأس ابنتها وتحتضنها إلى صدرها: "فهمت".

عندها، قالت كازو وهي تمسك بالرّكوة الفضّيّة أمامها: "إذًا، سأبدأ بصبّ القهوة". ثمّ همست مضيفة: "تذكّري، قبل أن تبرد القهوة".

في تلك اللّحظة، شعرت ميغومي بتوتّر متزايد في الأجواء. ومن الواضح أنّ السّبب لم يكن توتّرها فحسب، بل كان ثَمَّة تغيير واضح حولها.

أمام نظرها، انسكبت القهوة من الرّكوة الفضّيّة إلى الفنجان، ثمّ ما لبث البخار أن تصاعد من الفنجان المملوء، مُشكِّلًا مسارًا خفيفًا. وبينما كانت عيناها تتبعان المسار المرتفع إلى الأعلى، استبدّ بها فجأة دُوار قويّ جعلها تشعر وكأنّ العالم يدور. بعد ذلك، تشوّه المشهد من حولها، وبدأ ينخفض إلى الأسفل. وللحظة، لم تستطع أن تفهم ما يجري، وسيطر عليها الذّعر.

نظرت ميغومي إلى الأسفل، فرأت أنّ يديها وابنتَها الّتي كانت تحملها قد تحوّلت إلى خيوط من البخار الّتي راحت تحوم في الهواء. وخشية من أن تُفلِت ابنتَها، احتضنت الطّفلة المتبخّرة بإحكام بين يديها وذراعيها المُتبخِّرة.

في اللّحظة التّالية، امتصّ السّقفُ جسد ميغومي بسرعة ذكّرتها برحلةٍ في قطار الملاهي.



"أريد منك أن تغيّر وظيفتك".

كان عمل زوج ميغومي - ريوجي - في الإطفاء يسبّب لها القلق الدائم. فبالإضافة إلى مهمّة إطفاء الحرائق المعتادة، كان دور رجل الإطفاء يتضمّن أيضًا أعمال الإنقاذ في حالات الطّوارئ الطبيعية، مثل الزلازل والأعاصير. وبعد أن أصبحت ميغومي حاملًا، باتت تطرح موضوع تغيير المهنة كلّما شاهدت على شاشة التلفزيون تقريرًا إخباريًّا عن كارثة.

"سأكون بخير. أنتِ كثيرة القلق يا ميغومي".

"لكن...".

"بالطبع، فقَدَ أناس حياتهم أثناء أدائهم واجبهم. لكن في العام الماضي، من بين مئة وستين ألف موظّف، مات سبعة فقط".

"أعلم ذلك، ولكن...".

"لذا لا تقلقي، سأكون بخير. فحماية النّاس وإنقاذ الأرواح واجب رجل الإطفاء. كما تعلمين... سبق وأخبرتك أنّ هذا الشّعور بالواجب لطالما جذبني، أليس كذلك؟ لقد ضرب على وتر حسّاس عندما قرأتُ عنه في صغري...".

"نعم. نعم. أفهم!" قالت ميغومي ذلك مُستسلِمة، ونظرت إلى الأعلى بغضب. لم تكن حقًّا تعتقد أنّ ريوجي سيموت أثناء أدائه واجبه، لكنّ الأمر ببساطة كان يسبّب لها القلق. وكان ريوجي يدرك ذلك جيّدًا هو الآخر.

"اطمئنّي، لن أموت، هل هذا مفهوم؟ من المستحيل أن أترك هذا الطّفل وأموت". قال ريوجي ذلك وهو يداعب برفق بطن ميغومي الذي لم يكبر بعد. فما كان منها إلّا أن تنهّدت بعمق.

كان ريوجي في صِغره قد قرأ قصّة أشعلت شرارة طموحه ليصبح رجل إطفاء. ومع أنّ بطل هذه القصّة لم يكن رجل إطفاء، إلّا أنّ ريوجي تأثّر بجملة في إحدى الصّور قيلت على لسان رجل إطفاء بعد أن أنقذ طفلًا من الحريق. فعندما سأله البطل: "لماذا اخترت مثل هذه الوظيفة الخطرة؟" أجاب رجل الإطفاء: "حماية النّاس وإنقاذ الأرواح واجبُ رجل الإطفاء. واليوم كان واجبي إنقاذ حياة هذا الصّغير".

ألهمت قراءة تلك الجملة عقل ريوجي.

كم هذا جميل! أنا أيضًا أريد حماية النّاس وإنقاذ الأرواح مثل رجل الإطفاء.

كانت ميغومي قد سمعت هذه القصّة عشرات أو ربّما مئات المرّات. ويرجع ذلك جزئيًّا إلى طلبها المتكرّر منه تغيير مجال عمله. علمًا أنّها لم تعتقد أنّه سينفّذ طلبها، بل كانت تلك وسيلتها للتّعبير عن قلقها.

ومن المفارقات أنّ مصيرًا قاسيًا كان ينتظر ريوجي.

فقد عادت ميغومي إلى منزل والديها في فوكوشيما قبل أن تضع مولودها. وكان والداها لا يزالان يستخدمان هاتفًا أسود اللون؛ من ذلك الطراز الذي يشتمل على لوحة أزرار، ويرنّ بصوت عالٍ عند ورود مكالمة. كان منزل طفولة ميغومي عبارة عن منزل مزرعة تقليديّ. وحتّى إعادةِ بنائه قبل بضع سنوات، كان سقفه لا يزال من القشّ. في الواقع، يمتاز منزل المزرعة التّقليديّ بسمات فريدة تتمثّل في تصميمه المربّع، وتكوّنه من طابق واحد يتضمّن أربع غرف مربّعة متساوية الحجم؛ ممّا يوفّر إحساسًا

بالاتّساع. ونظرًا إلى قلّة النوافذ، فإنّ الإنارة الطبيعيّة خافتة في الدّاخل. كما تُستخدَم الأخشاب الملتوية للأعمدة والعناصر الهيكليّة الأخرى.

يضمّ المنزل غرفة معيشة، وغرفة ضيوف، وغرفة نوم، وغرفة عمل، وكانت جميع الجدران تقريبًا مبنيّة من الطين.

مع ذلك، تضرّر المنزل بفعل الزلزال الكبير الذي ضرب شرق اليابان عام 2011 م، فانهارت بعض أجزائه، وكان لا بدّ من إعادة بنائه. وبما أنّ الأعمدة والعوارض الخشبيّة الأصليّة كانت سليمة، فقد أعيد استخدامها لتحويله إلى منزل على الطراز شبه التقليدي. وعندما ذهبت ميغومي لزيارة والديها، ظلّت تشعر بآثار المنزل القديم في كلّ مكان. فعلى الرّغم من تجديده، إلّا أنّه كان لا يزال يُشعرها حقًّا بأنّها عادت إلى البيت.

في الواقع، من الأسباب الّتي دفعتها إلى المكوث مع والديها قبل ولادة طفلتها انزعاجُها المتزايدُ من سلوك ريوجي الطفولي. ومع أنّه لم يعترض على ذهابها، فإن عدم رغبته في ذلك كانت واضحة عندما هتف قائلًا: "عظيم! سأعيش بمفردي للمرّة الأولى منذ زمن طويل". وهذا الأمر أزعج ميغومي.

في الواقع، لم يقصد شيئًا بذلك، بل قال ببساطة ما خطر بباله. إذ كان ريوجي يفتقر إلى اللّباقة، لكنّ هذا كلُّ ما يمكن أن يُلام عليه. ولو لم تكن ميغومي على مشارف مخاضها الأوّل، فلربّما كانت ستضحك وتتجاهل الأمر. غير أنّها لم تستطع. ولهذا السّبب بالضّبط، شعرت بالحاجة إلى بعض المساحة. وهكذا، غادرت المدينة لتنأى بنفسها عن ريوجي، ووجدت السّلوى في الحياة الهادئة؛ مُحاطَة بوالديها وجدّيها.

وفي أحد الأيّام، علا رنين الهاتف الأسود، فأجابت جدّة ميغومي. وعندما رأت هذه الأخيرة جدَّتها الّتي تعاني من ضعف في السّمع تطلب من المتّصل أن يعيد كلامه مرارًا وتكرارًا، تدخّلت وأخذت منها السمّاعة. حينها، وقفت جدّتها وقد بدا عليها القلق، وانقبض صدرها بسبب الكلمات المبعثرة الّتي سمعتها.

"نعم، إنّه زوجي... ماذا؟".

وسرعان ما اختفت كلّ الألوان من وجه ميغومي.

أبلغتها الشّرطة أنّ ريوجي تدخّل في شجار نشب في القطار خلال عودته إلى المنزل، فأقدم أحد الركّاب - وكان في حالةٍ من الغضب الشّديد - على ذبحه بمشرط. وقد نزف بغزارة، ففارق الحياة.

لم تتذكّر ميغومي ما حدث بين وضعها السمّاعة من يدها ورؤيتها وجه ريوجي وهو راقد في المشرحة. لم تعرف كيف غادرت المنزل، ولا كيف سافرت، ولا كيف وصلت إلى مركز الشّرطة. لم تتذكّر حتّى إنّ أباها وأمّها كانا برفقتها.

بحسب أمّها، لم تفقد ميغومي رباطة جأشها أو تضطرب إطلاقًا، بل أجابت بهدوء عن أسئلتهم. ولم يقتنع والداها بأنّ الخبر صحيح إلّا عندما وصل الثّلاثة إلى مركز الشّرطة، ورأيا ميغومي تدخل المشرحة.

بعد ذلك مباشرة، دخلت ميغومي في المخاض. وعندما حملت ابنتها الصّغيرة بين ذراعيها في غرفة الولادة، انفجرت في البكاء.



عندما فتحت ميغومي عينيها، رأت ريوجي جالسًا إلى الطّاولة المقابلة، ينظر إليها بعينين برّاقتين. "أوه، مرحبًا!".

"ماذا... ماذا؟".

كانت تتوقّع أن يُصاب ريوجي بالدّهشة من ظهورها المفاجئ، ولكن كانت هي الّتي فوجئت. إذ لم تتوقّع منه أن يصدّق أنّها أتت من المستقبل بهذه البساطة.

جاء ريوجي إلى طاولتها.

"ميغومي، كنتِ تجلسين أمامي قبل لحظة. وفي غمضة عين... أصبحتِ جالسة هنا. فكيف فعلتِ ذلك؟".

حسنًا، ليس من المستغرب أن تُصاب بالحيرة. فأنتَ تنظر إليّ كما لو كنتُ شبحًا، لكنّني أكثر دهشة برؤيتك على الأرجح.

شكّلت رؤيتها له صدمة بالفعل، هي الّتي رأته راقدًا في المشرحة. وراحت تتذكّر كيف وضعت الأزهار على الجثّة في التابوت. كانت حَقائق باردة، لا يمكن إلغاؤها.

مع ذلك، كان ريوجي الآن هنا أمامها، وكادت تصرخ غير مصدّقة.

"... أعتقد أنّ هذا يعني أنّك أتيت من المستقبل؟".

"هذا صحيح".

بما أنّهما من عشّاق الأساطير الحضريّة، فقد جذبهما هذا المقهى في البداية بسبب الشّائعة الّتي تفيد أنّه يسمح للزوّار بالعودة إلى الماضي. وهكذا، كانا يزورانه من حين إلى آخر. ولهذا السّبب، كانا على دراية جيّدة بالقواعد بطبيعة الحال. والآن، لدى رؤيته ميغومي جالسةً على الكرسيّ

الذي يُعيد الزّائر إلى الماضي، كان من الطّبيعي أن يفكّر ريوجي في احتمال أن تكون ميغومي الّتي أمامه آتية من المستقبل. مع ذلك، صَعُب عليه استيعاب هذه الحقيقة الكبيرة، وكان لا يزال يكافح لفهمها.

بدا في حالة من الذّهول وهو يجلس بحذر أمامها.

"آه، ليس لدي وقت للشّرح. لكن، أصغِ إليّ...".

تردّدت ميغومي؛ إذ كانت ممزّقة بشأن ما عليها فعله. هل تؤجّل موضوع ابنتهما حتّى تحدّثه عن وفاته، أم تتحدّث عن ابنتهما أوّلًا، ثمّ تنقل إليه الخبر؟

وبدلًا من انتظارها حتّى تكمل كلامها، كان اهتمام ريوجي منصبًّا على فنجان القهوة الموضوع أمامها.

"مهلًا! أهذه هي القهوة الّتي يجب أن تشربيها قبل أن تبرد؟".

"نعم، إنّها هي".

فمدّ ريوجي يده، ووضع كفّه على جانب الفنجان للتحقّق من درجة حرارته.

"لا تبدو ساخنة جدًّا. المسي الفنجان، إنّها فاترة، وستبرد قريبًا!".

فوجئت ميغومي بما قاله، فأخذت رشفة. "أنت محقّ، إنّها تبرد بسرعة".

واتّسعت عيناها دهشة. لو لم يذكّرها ريوجي بذلك، لافترضت أنّها لا تزال ساخنة. ربّما ليس بدرجة عالية، ولكن على الأقلّ لعدَّتها دافئة. سيكون الوقت الذي ستمضيه معه أقلّ ممّا كانت تتوقّع.

سبع إلى ثماني دقائق، ربّما أطول قليلًا، لكن الوقت سينقضي بسرعة.

في الحقيقة، الإدراك البشريّ أمر نسبيّ. فقد تبدو اللّحظات غير السارّة طويلة، على عكس اللّحظات الممتعة. نظرت ميغومي إلى السّاعة أمامها الّتي كانت تشير إلى الخامسة وسبع عشرة دقيقة. وذكّرت نفسها بأن تتحقّق من درجة الحرارة مجدّدًا عندما يشير عقرب الدّقائق إلى الخامسة والعشرين.

بعد أن حدّق إلى الفنجان هنيهة، اقترح ريوجي فجأة أمرًا غير مألوف.

"ماذا سيحدُث إذا شربتُها أنا؟".

كانت طريقته في التّفكير طفوليّة، لكنّ هذا ما يميّزه.

لم تستطع ميغومي إخفاء قلقها وهي تراقب ريوجي يتصرّف بشقاوة، غير مدركٍ للمصير الذي ينتظره. في تلك اللحظة، التفت إلى كازو الواقفة خلف المنضدة، وسألها: "هل من قاعدة تمنعني من شرب هذا؟".

فوبّخته ميغومي، وقد وجدت سؤاله طفوليًّا للغاية: "لا تطرح مثل هذه الأسئلة الغريبة".

غير أنّ كازو لم تكترث للسؤال على ما يبدو، بل قالت بثقة وهدوء: "لا بأس في ذلك".

فمع أنّ القواعد تنصّ على أن تُشرب القهوة قبل أن تبرد، إلّا أنّها لم تُحدِّد من يجب أن يشربها.

"عظيم!" تعاظمت حماسة ريوجي لدى سماعه ردّها.

قالت ميغومي بنفاد صبر: "اهدأ". وصدرَت عنها تنهيدة صغيرة وحزينة. كان حديثًا مألوفًا لطالما دار بينهما من قبل، لكن بمجرّد أن

تُشرب القهوة سينتهي هذا اللّقاء. أشاحت بوجهها عنه، ومسحت الدّموع الّتي ترقرقت في عينيها.

"يا له من طفل جميل! لمن هو؟".

أخيرًا، لاحظ ريوجي وجود الطّفلة الّتي كانت ميغومي تحملها بين ذراعيها.

"لك بالطبع!".

"ماذا؟ لا أصدّق! أحقًّا؟ أهو طفلي؟ دعيني أرَه جيّدًا".

ثمّ حدّق ريوجي إلى الطّفلة بتمعّن وسألها:

"أهي فتاة؟".

"نعم".

"كم هي جميلة! عيناها تشبهان عينيك يا ميغومي".

"أحقًّا؟ وأنفها يشبه أنفك".

"هل تظنّين ذلك؟".

"نعم، أنفاكما متشابهان جدًّا".

"يفرحني سماع ذلك".

ولدى رؤيتها وجه ريوجي وهو يضيء بالسّعادة أثناء تمريره إصبعه برفق على أنف الطّفلة الصّغير، اجتاحتها موجة من المشاعر، وكانت دموعها على وشك أن تفيض مجدّدًا. لماذا فارقنا؟ كانت ميغومي تعلم أنّه لا جدوى من التّفكير في ذلك، لكنّ هذه الأفكار ظلّت تعذّبها.

"بالمناسبة...".

"ما الأمر؟".

حدّق ريوجي فجأة إلى ميغومي بنظرة لم ترَها من قبل؛ إذ كانت نظراته حادّة ومليئة بالجدّية، فتسارع نبض قلبها.

لا بدّ أنّه فهم. حسنًا، هذا طبيعيّ. فمن الغريب أن أُحضِر ابنتنا لمقابلته. أنا آسفة يا ريوجي، كان ينبغي أن أخبركَ بطريقة أفضل.

تصلّبت وهي تنتظر ما سيقوله تاليًا.

"أنا... أنا أعتقد أنّني إذا رأيت هذه الطّفلة تجلب صديقًا إلى المنزل، فقد ينتهي بي الأمر بلكمه. هل يمكنني فعل ذلك؟".

"ماذا؟".

وحبسَت أنفاسها لِلَحظة لدى سماعها كلماته غير المتوقّعة.

"ل – لا، لا يمكنك بالطّبع. أيضًا، من المبكر جدًّا التّفكير في مثل هذه الأمور".

"أعرف فحسب أنّني سأنفجر باكيًا في حفل زفافها. أرجوكِ، لا رسائل إلى الوالدين أو أيّ شيء من هذا القبيل!".

"قلتُ لكَ إنّه من المبكر الحديث عن ذلك!".

"هذا ليس جيّدًا. لا أستطيع منع نفسي من البكاء بمجرد تخيّل الأمر". ثمّ مشى ريوجي بضع خطوات وأدار ظهره لميغومي.

"آه، ريوجي...".

كانت ميغومي على وشك أن تطلب منه أن يكفّ عن المبالغة، ولكن عندما لاحظت أنّه كان يرتجف ويبكي، خانتها الكلمات.

إذًا، فقد فهم في النّهاية.

كان لريوجي جانب طفوليّ، ولكنّه أيضًا كان حادّ الفكر. فقد كان

منذ صغره متفوّقًا في الشوغي، أو ما يُعرَف أيضًا بالشطرنج الياباني، وفاز بعدّة مسابقات للهواة من طلّاب المدارس الابتدائيّة والإعداديّة. وحتّى بعد أن أصبح رجل إطفاء، كان يحضُر دروس الشوغي على يد لاعبين محترفين من حين إلى آخر. وإذا ظهرت ميغومي فجأة لرؤيته في هذا المقهى مع طفلة صغيرة، فإنّه سيتوصّل حتمًا إلى معرفة ما حلّ به.

قالت ميغومي: "أنا آسفة".

"لماذا تعتذرين؟".

"كان يجب أن أخبرك بنفسي". كنت خائفة. "بدلًا من ذلك، تركتك تفهم بمفردك". وتوقَّع جزء منّي أن يكون الأمر على هذا النحو. "هل أدركتَ الأمر منذ اللّحظة الّتي ظهرتُ فيها وأنا أحمل طفلتنا بين ذراعَيّ؟".

"... نعم".

"فهمت. نوعًا ما، توقّعتُ أن تفعل".

"لكنّ رؤيتك تظهرين فجأة هكذا... لأكون صريحًا، أربكتني، و... كيف أعبّر لك؟ استغرق الأمر منّي وقتًا لقبول الحقيقة، أنا آسف".

"لماذا تعتذر يا ريوجي؟ الخطأ ليس خطأك، بل خطئي أنا، أليس كذلك؟".

"أنتِ لم ترتكبي أيّ خطأ. أعني..." وتقدّم ريوجي من كرسيّ ميغومي ببطء، ثمّ تابع: "بفضلك، تمكّنت من رؤيتها..." وتوقّف للحظة، ثمّ لمس رأس الطّفلة برفق.

فانهمرت الدّموع من عينَي ميغومي.

"أتعلمين؟ كنت أفكّر".

بلطف، راح ريوجي يمرّر ظاهر إصبعه على رأس الطّفلة، ثم انزلق ببطء على خدّها.

"لو كان المولود ذكرًا لأردتُ حتمًا أن يتدرّب على الجودو أو الكاراتيه، ولأردته أن يصبح رجلًا قادرًا على حماية فتاة عندما يحين الوقت. لم أكن سأمانع لو كان متهوّرًا بعض الشيء. فالمهمّ أن يكبر ليصبح رجلًا طيّب القلب، ويعرف ما هو المهمّ حقًّا".

قالت ميجومي وهي تهزّ رأسها بهدوء وتنظر إليه: "نعم".

"أمّا لو كانت أنثى، ففكّرت في أنّني سأسامحها مهما تكن شقيّة. سأصبح أبًا متسامِحًا وحنونًا. إذا طلبَت شيئًا، فسأشتريه لها سرًّا على الأرجح. وإذا أرادت الذّهاب إلى مكان ما، فسآخذها حيثما تشاء".

كانت عيناه الآن محتقنتين بالدم، لكنّ الابتسامة كانت تملأ وجهه. "لكن أعتقد أنّ الأمور ستكون على هذا النّحو في صغرها فحسب. فبمجرّد دخولها سنّ المراهقة، وإحضارها صديقًا إلى المنزل، سأصبح سيّئ المزاج، وستكرهني الفتاة. سأقول لها إنّه ليس مناسبًا، وسنتشاجر. ستقول إنّها تكرهني، مرارًا وتكرارًا، ولن نرى بعضنا بعضًا لأيّام، وربّما ستتجاهلني. هل سأتمكّن من تحمّل ذلك؟ بالنّظر إلى شخصيّتي، أعتقد أنّ هذا مستحيل، أليس كذلك؟ سأواجهها على الأرجح، وسأسألها عن سبب تجاهلها لي، ثمّ ستكرهني أكثر بعد. ماذا سأفعل عندئذٍ...؟".

"نعم".

"لكن كما تعلمين، في حفل زفافها، ستقرأ رسالة إلى الوالدين. وستشكركِ على ولادتها، وستخبرني أنّها سعيدة لأنّها ابنة أبيها...".

مسح ريوجي على رأس الطّفلة برفق مرّة أخرى، وتحرّك شعرها الرقيق بخفّة.

"ريوجي...".

"آسف على البكاء. لا بدّ أنّك كنت قلقة أنتِ أيضًا، أليس كذلك؟".

"كلّا، أنا من يجب أن تعتذر. كنت أعرف ذلك منذ البداية. أنا آسفة، لكنّني أردت حقًّا أن ترى ابنتك".

"أنا أفهم".

"أنا آسفة حَقًّا".

"أفهمكِ؛ لذا لا تقلقي بشأن ذلك".

ومدّ يده الّتي كانت تمسح على رأس الطّفلة، ومسح الدّموع عن خدّي ميغومي.

"ريوجي...".

نظرت ميغومي إلى الأعلى للتّحقّق من ساعة الحائط البندوليّة المعلّقة مباشرة في مجال رؤيتها. غير أنّ العقربين اللّذين كانا يشيران إلى الخامسة وسبع عشرة دقيقة لم يتحرّكا على الإطلاق.

في هذا المقهى، عندما تسافر إلى الماضي، تتوقّف السّاعة الوسطى - الّتي تجذب نظرك بشكل طبيعيّ من كرسيّ السّفر عبر الزّمن - بينما تتولى السّاعة اليسرى - الأقرب إلى المدخل - مهمّة تحديد الوقت. وفي حين أظهرت السّاعة الوسطى الوقت الصحيح في الزّمن الحاضر، كانت السّاعة المعلّقة إلى اليسار هي الّتي يجب مراقبتها الآن. هذا يعني أنّ ميغومي كانت تتعقّب الوقت من خلال ساعة متوقّفة.

"ما الأمر؟".

لمست ميغومي الفنجان على عجل، فوجدته أكثر برودة.

"الوقت؟".

كان ريوجي يعرف القواعد جيدًا، وقد أدرك من تصرّفات ميغومي أنّه لم يتبقَّ لديهما سوى القليل من الوقت.

"اسم".

"ماذا؟".

"أريدك أن تسمّي طفلتنا يا ريوجي. فأنا أريد أن أتمكّن من إخبارها أنّ والدها هو من سمّاها. أريدها أن تكبر وهي تعلم ذلك؛ لذا، من فضلك أعطِها اسمًا".

"... يو".

"ماذا؟".

"يو، أي رفيقة".

"يو؟".

كان ردّ ريوجي فوريًّا تقريبًا.

"كنت أفكّر في الأمر طوال الوقت. أعلم أنّني قلت إنّني لا أريد أن أعرف إذا ما كان الطّفل ذكرًا أم أنثى حتّى يولد، ولكنّني لم أستطع الانتظار. كنت أفكّر في الاسم المناسب؛ لذا، اخترتُ اسم إحدى شخصيّات كانجي الذي يمكن استخدامه لصبيّ بحيث يلفظ يوتاكا، أو لفتاة بحيث يلفظ يو".

"يو".

"من الأسباب الّتي جعلتني أختار اسمًا يعني رفيقة أنّني أردتها أن تعاملني برفق، وتسامحني حتّى لو لكمتُ صديقها".

"... هذا غباء".

"سأترك الأمر بين يديك".

"... بالتّأكيد".

اختار ريوجي اسمًا مُشبعًا بأمنياته، وكان ذلك عزاءً إلى حدّ ما لتَوقه إلى ما لا يمكن تحقيقه، وقد فهمَت ميغومي إحساسه تمامًا.

"تعالَ".

حثّت ميغومي ريوجي على حمل يو قائلة: "ما دمتُ ألمس جسد يو، فسيكون كلّ شيء على ما يرام".

"أحقًّا؟".

ألقى ريوجي نظرة على كازو توكيتا الّتي كانت تقف خلف المنضدة. غير أنّها ظلّت صامتة، ولم يصدر عنها سوى إيماءة هادئة ردًّا على ذلك.

وبينما أمسكت ميغومي بيد يو، حمل ريوجي ابنتهما بين يديه.

"يو.." هتف ريوجي باسم الصّغيرة والدّموع تسيل على وجهه. "يو، يو...".

ردّد اسمها مرارًا وتكرارًا. "هل سأموت حقًّا تارِكًا ورائي هذه الطّفلة الجميلة؟ يا إلهي! أتوسّل إليك، من فضلك، لا تأخذني بعيدًا. أنا لا أطلبُ الكثير، فقط اسمح لي بالبقاء على قيد الحياة حتّى زفافها. دعني أبقَ حيًّا مدة كافية حتّى أتمكّن من لَكْم صديقها؛ حتّى لو كان ذلك إلى حين دخولها الحضانة. أو على الأقلّ دعني أحضر ولادتها. من فضلك، أتوسّل إليك".

ضغط ريوجي خدّه المبلّل بالدّموع على خدّ يو.

"ريوجي...".

انتقل شعور ريوجي بعدم الرّغبة في التخلّي عن يو عبر جسد الطّفلة إلى يد ميغومي.

والعجيب أنّه على الرّغم من أنّ ريوجي كان يحتضن يو بقوّة، إلّا أنّها لم تبكِ، بل على العكس من ذلك، كانت يدها الصّغيرة تداعب خدّه وكأنّها تمسح دموعه.

"آه!".

أمسك ريوجي بيدها الصّغيرة، وارتجفت كتفاه رغمًا عنه. أخيرًا، همس بصوت خافت: "لا جدوى من ذلك". ثمّ أغمض عينيه بإحكام، ودفع يو بعيدًا عنه، لإعادتها إلى حضن ميغومي.

فشهقت ميغومي: "ريو...".

تقلّص وجه ريوجي المحمرّ، ولم تلمح ميغومي من قبل مثل هذه القسوة في تعابيره.

من الواضح أنّني جعلت ريوجي يعاني كثيرًا.

"أ - أنا... آسفة...".

وبينما كانت ميغومي تحاول الاعتذار، اتّخذ ريوجي قرارًا حاسمًا ومفاجئًا. فقد أمسك بفنجان القهوة، وقبل أن تتمكّن ميغومي من منعه، شرب القهوة المخصّصة لها في جرعة واحدة.

أعاد ريوجي الفنجان إلى الصحن بعنف، بحيث تساءلت ميغومي عن إمكانية تحطّمه.

أفزعَ الضجيج العالي يو وجعلها تضطرب، لكنّ فِكر ميغومي كان منصبًّا على تصرّفات ريوجي.

"ريوجي؟".

راح هذا الأخير يتنفّس بصعوبة، ثمّ تراجع بضع خطوات إلى الوراء، واستند إلى المنضدة خلفه. بدا أنّ كلّ قواه استُنزِفَت من جسده. ووجهُه الذي كان قرمزيًّا قبل لحظات، أصبح الآن شاحبًا على نحو مخيف.

"... لماذا؟".

"بدا لي ذلك قاسيًا".

شعرت ميغومي وكأنّ قلبها يتوقّف. ما كان ينبغي لي المجيء. "أنتَ تقصد أنّه ما كان عليّ إحضار طفلتنا لتراها..." وارتجف صوتها. لا بدّ أنّه غاضب منّي.

"لا. بالطبع لا".

"ماذا إذًا؟".

"بدا لي الأمر قاسيًا للغاية أن تضطرّي إلى شرب القهوة في ظلّ هذه الظروف".

"آه، أهذا ما قصدته؟".

"نعم، وماذا سأقصد غير ذلك؟".

رفعت ميغومي رأسها لتجد ريوجي يبتسم لها بحرارة. كان يفكّر بي...

"ريوجي...".

أصبحت رؤية ميغومي ضبابيّة، ولم يكن ذلك بسبب عينيها الدامعتين فحسب. فتمامًا كما بدأت سفرها عبر الزّمن، بدأ العالم يدور فجأة، وشعرت

بالدّوار. أحسّت أنّ جسدها خفيف الوزن، كما لو كان يطفو في الهواء.

"ريوجي!".

في تلك اللّحظة، أدركت ميغومي أمرًا. كان تصرّف ريوجي لطفًا من جانبه. وكان لطفُه سببَ قبوله أفكارها وأفعالها. ربّما لم يكن مدركًا ذلك، ولكنّها كانت تنظر الآن إلى ما وراء الأفعال الّتي جعلته يكتسب لقب "طفل بالغ". وما رفضته بوصفه سلوكًا طفوليًّا كان ببساطة أمثلة على لُطفه عندما كان يحاول تجنُّب الخلافات والشّجارات بينهما.

بعد فترة وجيزة من ظهور ميغومي، سألها ريوجي: "ماذا سيحدث إذا شربتها؟".

يا لها من فكرة طفوليّة!

حينذاك، شعرت ميغومي بمزيج من الاستياء والارتباك والعجز. لكن، ربّما كان ريوجي يفكّر مسبقًا عندما سأل عمّا إذا كان بإمكان أيّ شخص شرب القهوة، أو ربّما لم يكن يعي دوافع سؤاله، بل كان مدفوعًا بحدْسِه.

ما كنت لأتمكّن من حمل نفسي على شرب القهوة، وترْكِ ريوجي يبكي هناك بمفرده.

إذا لم تتمكّن ميغومي من إجبار نفسها على شرب القهوة، وانتهى بها الأمر بأن تصبح شبحًا، فإنّ ريوجي هو الذي سيعيش الحزن الأعظم. ومع أنّها كانت تعرف ذلك، إلّا أنّها ما كانت لتتمكّن من حمل نفسها على شرب القهوة الموضوعة أمامها. وبما أنّه يعرفها جيّدًا، فمن المؤكّد أنّه فهم الموقف.

على هذا النحو، كان ريوجي يحميني بلطفه باستمرار.

لم تعرف ميغومي كيف تعبّر عن هذه المشاعر. كان الوقت ينفد، لكن كان عليها أن تقول شيئًا...

"ريوجي!".

"هممم؟".

أصبحت كلّ الأشياء المحيطة بميغومي أكثر ضبابيّة، وبدأت تهبط، باستثناء ريوجي. الآن، تحوّل جسدها بكامله إلى بخار. ومع أنّه لم يعد بإمكانه رؤيتها، إلّا أنّ صوتها كان لا يزال مسموعًا. لكنّ ميغومي كانت مُربَكَة، وعاجزة عن إيجاد الكلمات المناسبة لرسالتها الأخيرة إلى ريوجي.

"أنا أحبّك". "أنا سعيدة لأنّني التقيتك". "كنت سعيدة..." هذه الكلمات ليست كافية! إنّها لحظتنا الأخيرة، ولن نرى بعضنا بعضًا مجدّدًا!

كان جسد ميغومي قد تحوّل الآن إلى بخار، وبدأ يرتفع ببطء.

لم أكن أتخيّل قط أنّني سأخسرك. حدث ذلك فجأة. ما زلت أرفض التصديق. لا أصدّق ما جرى. أنت معي الآن، ولكن عندما أعود إلى الحاضر، لن نلتقي مجدّدًا. لمَ الحياة بهذه القسوة؟ أنا وحيدة جدًّا من دونك. أنا وحيدة جدًّا. لا تتركني. لا أريدك أن تموت. لا تتركني بمفردي. أنا حزينة، حزينة جدًّا. من المحزن ألّا نكون معًا. أخشى ألّا أتمكّن من تربية ابنتنا الحبيبة، يو، كما ينبغي بمفردي. كيف سأتدبّر أموري بدونك؟ هذا يقلقني جدًّا، وكلّما فكّرت في الأمر، تعاظم قلقي. أرجوك، لا تتركني وحدي، لا تمت...

لـم تـتمكّن ميغـومي مـن إيجـاد الكلمـات المناسـبة للتعبيـر عـن فيض مشاعرها. وكان وعيها يتلاشى تدريجيًّا. فحتى عنـدما مـدَّت يـدها البخاريّـة نحو ريوجي، ظلّ جسدها يُسحَب إلى الأعلى. اقترب الفراق الوشيك، ومهما حاولت مقاومته، فلن تتمكّن من تغيير مجرى الأحداث.

بينما كان البخار الذي يمثّل ميغومي يرتفع نحو السّقف، لاحظت أنّ عينَي ريوجي وهو ينظرُ إليها كانتا دامعتَين أيضًا، وفوجئت للحظة.

هذا صحيح يا حبيبي ريوجي، أنتَ أيضًا لا تريد أن تموت. لا شكّ في أنّ التّفكير في مستقبلنا أرهق أعصابك، لا سيّما وأنت تتخيّلني أربّي هـذه الطّفلـة مـن دونـك. يمكنني أن أصرخ الآن: "لا تَمُت، لا تتركني بمفردي"، لكنّني أعلم أنّ هذا سيكون مؤلمًا بالنسبة إليك، وسيجعلك أكثر حزنًا؛ لذا، إن لم يكن بمقدوري تغيير حقيقة وفاتك مهما حاولت، فعلى الأقلّ... على الأقلّ في لحظة الفراق الأخيرة هذه، لا أريد أن أسبِّب لك المزيد من القلق. ماذا يمكنني أن أقول لأريح قلبك الطيب؟

بكـل مـا أوتيَـتْ مـن بهجـة، صـاحت ميغـومي بكـلّ قواهـا: "إذا أحضرت يو شابًّا سيّئًا إلى المنزل، فسألكمه بالنيابة عنك!".

عندها، رأت ميغومي عينَي ريوجي تتّسعان دهشة للحظة، قبل أن يتلاشى وعيها. ولم يتبقَّ سوى الصّمت الذي جعل الأمر يبدو وكأنّ شيئًا لم يكن.

ضحك ريوجي والدّموع تملأ عينيه، ثم تمتم بصوت خافت: "احرصي على فعل ذلك".

"ماذا؟ ماذا قلت؟".

استدار ريوجي استجابة للصّوت. كانت ميغومي جالسة إلى إحدى الطّاولات، تفتح علبة مستحضرات تجميل صغيرة، وتضع أحمر شفاه. والكرسيّ الذي كانت تجلس عليه ميغومي الآتية من المستقبل، احتلّته الآن المرأة ذات الفستان الأبيض.

نظر ريوجي إلى أرجاء المقهى، لكنّ ميغومي الّتي كانت تحمل الطّفلة وتبكي أمامه قبل لحظات اختفت، ولم يعُد لها وجود. الآن، لم يكن في المقهى سوى ميغومي الّتي كانت تُميل رأسها بتعبير بريء وهي تضع أحمر الشّفاه ببراعة. أمّا يو، فلا أثر لها.

أغمض ريوجي عينيه ببطء للاحتفاظ بذكرى ما حدث للتوّ. آه... كان لا يزال يشعر بدفء طفلته عندما احتضنها، وسرعان ما تجمّعت الدّموع في عينيه مجدّدًا.

فسألته ميغومي بعبوس وهي تواصل النّظر إلى مرآتها: "مهلًا، ماذا حدث حالًا؟".

"هم؟ أوه، في الواقع...".

أخذ ريوجي نفسًا عميقًا، ومسح دموعه لإخفائها عن ميغومي. وبينما كان يحدّق إلى المرأة ذات الفستان الأبيض، تمتم: "أردتُ ولو لمرّة أن أجرّب لعنتها".

"أوه، كفّ عن ذلك. أنت دائم الفضول وتحاول أن تجرّب كلّ شيء لمجرّد متعة الاكتشاف. هذا ما يفعله الأطفال، كم مرّة أخبرتك بذلك؟".

"بإمكان الكبار فعل ذلك أيضًا".

"نعم، ها قد بدأتَ مجدّدًا، كفّ عن ذلك". أغلقت ميغومي علبة مستحضرات التّجميل بضغطة سريعة وأعادتها إلى حقيبتها، ثمّ أضافت وهي تنهض: "حسنًا، فلنذهب إلى المنزل. لقد تأخّر الوقت بالفعل".

"حسنًا، بالتّأكيد. أحتاج فقط إلى استخدام الحمّام قبل أن نذهب".

ثمّ توجّه ريوجي بسرعة نحو الحمّام، وبذل قصارى جهده لإخفاء وجهه عن ميغومي.

"ألم تذهب للتوّ؟".

"كانت تلك هي المرّة الأولى. هذه المرّة...".

"كم تستفيض في التفاصيل! اذهب فحسب!".

ابتسمت ميغومي، ونظرت إلى السّاعة البندوليّة الوسطى.

كانت تشير إلى الخامسة وثماني عشرة دقيقة. فمن دون أن يلاحظا ذلك، كانت السّاعة الأقرب إلى المدخل قد توقّفت، في حين استأنفت السّاعة الوسطى حركتها.



عندما فتحت ميغومي عينيها، كانت المرأة ذات الفستان الأبيض تقف أمامها مباشرة.

فصاحت ميغومي بدهشة: "آه!".

لم تُبدِ المرأة أيَّ اهتمام بها، بل قالت باقتضاب: "قومي".

"حاضر، أنا آسفة". ونهضت ميغومي عن كرسيّها على عجَلٍ، وهي لا تزال تحمل ابنتها، فجلست المرأة ذات الفستان الأبيض على الكرسيّ الخالي بصمت.

تأمّلت ميغومي ساعات الحائط البندوليّة. أشارت السّاعة الوسطى إلى ما يزيد قليلًا عن التّاسعة. أمّا السّاعة الأقرب إلى المدخل فأشارت إلى الخامسة وسبع عشرة دقيقة؛ وهو الوقت الذي رأته عندما كانت في الماضي، غير أنّها لم تتذكّر إذا ما كان الوقت كذلك قبل أن تعود إلى الحاضر. شعرت بالاستغراب، ونظرت إلى كازو الّتي خرجت في الحال من المطبخ.

"امم...".

من دون أن تتواصل كازو بالعين مع ميغومي، رفعت الفنجان الذي شَرِب ريوجي ما بقي منه، وسألتها: "حسنًا، كيف جرى الأمر؟" ثمّ قدّمت فنجانًا طازجًا من القهوة للمرأة ذات الفستان الأبيض. فمسحت ميغومي آثار الدّموع عن خدّها وسألتها: "ما عشته... لم يكن حُلمًا، أليس كذلك؟".

"ألا تصدّقين أنّه حدث بالفعل؟".

"لا، أريد أن أصدّق أنّه كان حقيقيًّا".

"إذًا، حتّى لو كان ما رأيته حلمًا، أفلن يكون جزءًا من حياتك؟".

اخترقَت كلمات كازو الهادئة والثّابتة قلب ميغومي.

"بلى، أعتقد ذلك!" أومأت ميغومي برأسها موافقة، ونظرَت إلى طفلتِها بين ذراعيها. "حسنًا، يو، من الآن فصاعدًا سيكون هذا اسمك".

كان من الممكن سماع تكّات الساعات الثلاث وهي تتردَّد بصوت خافت في المقهى. في تلك اللّحظة، انخفض عقرب الدّقائق في أقرب الساعات إلى المدخل إلى ثماني عشرة. كان الزّمن يتحرّك، ليس في الحاضر فحسب، بل في الماضي أيضًا، متّجهًا نحو المستقبل.

3

الأب

أوموريس طبقٌ يحبّه الجميع (عجّة بيض على طبق من الأرزّ).

بحسب ما هو معروف، تمّ ابتكار طبق أوموريس عام 1925 م على يد شيجيو كيتاهاشي؛ صاحب مطعم محلّي متأثّر بالغرب في نامبا، أوساكا. وكان مصدر إلهامه أحد الزّبائن الدّائمين الذي يعاني من معدة حسّاسة، ويحبّ الأرزّ الأبيض وعجّة البيض. إذ قال كيتاهاشي لنفسه يومًا: يحزنني تقديم هذا الطّعام المملّ يومًا بعد يوم، وبدأ بإعداد طبق أطلق عليه اسم أوموريس، وكان عبارة عن أرزّ مشبع بالكاتشب، ومغلّف بطبقة رقيقة من العجّة.

الوصفة بسيطة: تُسَخَّن الزّبدة، ويُقلى البصل المفروم ناعمًا، ثمّ تُضاف إليه شرائح رقيقة من اللّحم المقدّد والخضراوات المتنوّعة والأرزّ. يتمّ تتبيل المزيج بالملح والفلفل والكاتشب للحصول على أرزّ مميّز، ثمّ يُغطّى هذا الأرزّ بعجّة مطهوّة بشكل خفيف. في الآونة الأخيرة، وبصرف النظر عن النّكهة التّقليديّة القائمة على الكاتشب،

يختار بعض النّاس إضافات، مثل صلصة الديمي غلاس أو الصّلصة البيضاء. ويُزيّن الطّبق بالبقدونس لإضفاء القليل من اللّون.

تُعَد لقمة واحدة من هذا الطّبق كفيلةً بملء الفم بمزيج من النّكهات؛ من البيض الغنّي والصّلصة اللذيذة، إلى أرزّ الكاتشب المشبع برائحة الزبدة. ويتمتّع القوام الخفيف بالشّعبية؛ ليس فقط بين الأطفال، بل وبين البالغين أيضًا. وطوكيو حافلة بالمطاعم المتخصّصة بتقديم الأوموريس.



بدأت القصّة في أوائل يونيو. فبعد أيّام قليلة من بداية موسم الأمطار، زار زَوجان المقهى.

قال الزّوج فوميو موتشيزوكي: "فهمتُ". كان في أواخر العقد الخامس من عمره، وكان الشّيب قد بدأ يتخلّل شعره. لم يُبدِ أيّ ردّ فعل ملحوظ لدى سماعه قواعد المقهى، بل قال ببساطة: "فَلْنذهب". ونهض واقفًا.

طن - طن

فقالت كايوكو، الزّوجة، مع انحناءة عميقة: "أنا آسفة". بدت بشكل ملحوظ أصغر سنًّا من موتشيزوكي. لا، بل بدَت صغيرة في السّنّ إلى حدّ قد لا يُصدِّق المرء معه أنّ لديها ابنةً في الرّابعة والعشرين من عمرها.

كان ثمّة فنجانان من القهوة على المنضدة، وكان فنجان موتشيزوكي لا يزال ممتلئًا بالقهوة ولم يُمسّ.

قالت كايوكو وهي تقوم عن كرسيّ المنضدة وتنحني مرّة أخرى: "أعتذر عن إضاعة وقتك".

فأجاب ناغاري توكيتا: "لا، لا داعي للاعتذار". ثمّ استلم النّقود وودَّع كايوكو. كان فنجان كايوكو فارغًا - على عكس فنجان موتشيزوكي - فقد احتسَت قهوتها حتّى آخر نقطة.

طن - طن

عندها، تمتمت فوميكو كيوكاوا وهي تهزّ كتفيها: "لو عارض أبي زواجي بهذه الطّريقة، لاخترتُ الهرب أنا أيضًا". كانت قد سمعت الحديث بأكمله وهي جالسة إلى إحدى الطّاولات.

فوبّخها ناغاري بلطف على تعليقها غير المهذّب: "فوميكو...".

"لكن، ألا ترى؟ دخل ذلك الأب العنيد هذا المقهى، ولم يقُل شيئًا أكثر من: فهمتُ، وفَلْنَذهب. وتركَ زوجته تشرح كلّ شيء. من يظنّ نفسه؟ من المستحيل أن أتحمّل سلوكًا كهذا".

"اهدئي".

"بحسب تفسير زوجته، يبدو أنّه ندم على معارضته زواج ابنته، لكنّ هذا أصبح من الماضي الآن. فحتّى لو عاد بالزّمن إلى الوراء، يبدو أنّه لا يزال مُصمّمًا على موقفه".

"ماذا؟".

"ألم ترَ وجهه؟ لم يبدُ عليه أيّ أثر للندم؛ إذْ كانت تعابير وجهه تنمُّ عن شخص غير قادر على تقبُّل هرَب ابنته؛ ولهذا السّبب، عندما علم أنّه

لا يستطيع تغيير الواقع، رحل على عجل، أليس كذلك؟".

كان ازدراء فوميكو واضحًا من عبوسها.

"ولكن، إذا كان معارِضًا لزواجها، فلا بدّ أن تكون لديه أسبابه".

"أنا واثقة من أنّ السّبب تافه".

"مثل ماذا؟".

"ربّما لم يعجبه شكل الرّجل الذي أحضرته إلى المنزل، أو أنّه لم يحيِّه بشكل لائق".

"فهمت".

"الاعتراض على الزّواج بناءً على أذواق شخصيّة أمر غير مقبول".

"هل تتحدّثين عن تجربة؟".

"في الواقع، حدث العكس في حالتي".

"العكس!".

"من المستحيل أن يعترض والداي؛ فهما يُلحّان عليّ باستمرار لأتزوّج، أيًّا يكن الشخص الذي سأختاره. أمَّا إذا هربت، فقد ينشران إعلانًا في الصّحيفة، وربّما حتّى على صفحة كاملة ليقولا: "تهانينا!"".

"ولماذا الصّحيفة؟".

"حسنًا، إذا هربت، فلن يتمكّنا من الاتّصال بي، أليس كذلك؟".

"آه، هذا منطقيّ".

قبل ثلاث سنوات، عادت فوميكو بالزّمن إلى أوائل الصّيف، وكان ذلك لمقابلة غورو كاتادا الذي رحل على عجل إلى الولايات المتّحدة بعد حديث جرى في هذا المقهى وأدّى إلى انفصالهما.

فعندما كانا في الماضي، طلب منها غورو الانتظار مدّة ثلاث سنوات. وبالنتيجة، كانت فوميكو - الّتي ستبلغ الحادية والثلاثين هذا العام - تنتظر عودته بصبر. ومن ثَمَّ، فإنّ أيّ فرصة للزّواج من غورو لا تزال بعيدة بعض الشّيء.

"هلّا تعيد ملء فنجاني".

"بالتّأكيد".

ثمّ حمل ناغاري فنجان فوميكو الفارغ، واختفى في المطبخ.

عندها، وجدت فوميكو نفسها وحيدة في المقهى.

في الواقع، لم تكن وحيدة تمامًا. كانت ثمّة امرأة ترتدي فستانًا أبيض تجلس على الكرسيّ البعيد في الزاوية، لكن لا يمكن عدُّها زبونة، ولا كائنًا بشريًّا كذلك. بل كانت شبحًا يشغل الكرسيّ الذي يعيد الزّائر إلى الماضي. وكانت تجلس هناك، ليلَ نهار، تقرأ كتابها بصمت، ولا تنام أبدًا.

وللعودة إلى الماضي، عليك أوّلًا أن تشغل كرسيّها. وبالطّبع، للقيام بذلك، كان لا بدّ من انتظارها حتّى تقوم عنه.

مع ذلك، إذا سألتَها: "هل يمكنني أن أجلس مكانكِ؟" فلن تسمع. وإذا حاولتَ إزاحتها بالقوّة، فستصاب باللّعنة.

لكنّ هذا لا يعني أنّ فرص السّفر عبر الزّمن معدومة. فثمّة إمكانية عابرة للجلوس هناك مرّة واحدة فقط في اليوم، وذلك عندما تقوم المرأة للدخول إلى الحمّام.

وهل يحتاج الشّبح إلى دخول الحمّام؟ هذا الأمر يحيّر كلّ من يسمعه، ولكنّه إحدى القواعد الغريبة الّتي تنطوي عليها عمليّة السّفر عبر الزّمن.

"ماذا تقرئين اليوم؟".

حاولت فوميكو إلقاء نظرة خاطفة على الكتاب الذي كانت المرأة ذات الفستان الأبيض تقرؤه.

وفي تلك اللّحظة، حدث أمر غريب.

فجأة، بدت المرأة وكأنّها تتلوّى وتتمايل. ففركت فوميكو عينَيها؛ ظنًّا منها أنّ ثمّة خطبًا في بصرها.

"ماذا؟ ما هذا؟".

وفي غمضة عين، غلّف ضباب أبيض متصاعد المرأةَ ذات الفستان الأبيض. وعلى الرّغم من أنّ فوميكو فوجئت بهذا المشهد السّريالي، إلّا أنّها كانت تملك فكرة عمّا يجري. فقبل ثلاث سنوات، خاضت تجربة مماثلة، وتحوّل جسدها إلى بخار عندما سافرت عبر الزّمن.

وهكذا، بينما كانت فوميكو تقف فاغرة الفَمِ في دهشة صامتة، ظهرت امرأة من الضّباب المتصاعد.

كان اسمها يوكو كاواشيما، وكانت في الثامنة والعشرين من عمرها، لكنّ وجهها المتعَب جعلها تبدو أكبر سنًّا بكثير. كان مظهرها بعيدًا كلّ البعد عن الأناقة، بكُمَّيْ سُترتها الباليين، وشعرها المرفوع من دون عناية والذي يفتقر إلى اللّمعان.

"ناغاري! تعالَ بسرعة! لقد ظهرت امرأة! أتَت من المستقبل!".

نادت فوميكو ناغاري الموجود في المطبخ، ولكن لم يأتِها أيُّ رد؛ فالصّوت الوحيد الذي تناهى إلى مسمعيها كان صوتَ طحن حبوب القهوة. بعد برهة، ردَّ بلا مبالاة.

"آه، انتظري قليلًا. أنا أطحن لكِ قهوة طازجة".

"ماذا؟ لكن...".

أتى ردّ فعل فوميكو وهي تقابل شخصًا من المستقبل للمرّة الأولى متناقضًا إلى حدّ كبير مع ردّ فعل ناغاري الرّوتيني.

سألته: "ما الذي ينبغي لي فعله حيال ذلك؟" ثمّ تراجعت خطوة إلى الوراء، وانتقل نظرها بين ناغاري الموجود في المطبخ ويوكو الّتي ظهرت فجأة.

قالت يوكو لفوميكو: "المعذرة".

"نعم - نعم؟".

"هل تعملين هنا؟".

"في الواقع، لا، أنا لا أعمل هنا".

ومع أنّ صوت يوكو كان مشوبًا بشيء من الارتباك، إلّا أنّه كان واضحًا من صوت فوميكو المرتجف أنّها كانت أكثر اضطرابًا منها.

"إذًا، أَما مِن شخصٍ آخر هنا؟".

"حسنًا، يقوم المالك حاليًّا بإعداد القهوة في المطبخ، وكازو في الخلف، تضع ميكي في الفراش. هل تعرفين كازو؟".

"مَن؟".

فقالت فوميكو، مشيرة إلى الفنجان أمام يوكو: "على الأرجح، كازو هي الّتي صبّت القهوة الّتي أتت بك إلى هنا".

"آه...".

"نعم. لا بد أن تكون كازو. و..." نظرت فوميكو حولها، كانت هي ويوكو بمفردهما في الغرفة.

"آه، اممم، أنا فوميكو كيوكاوا. كما سبق وقلتُ لك، أنا لا أعمل هنا، بل أنا من روّاد هذا المقهى، وأعمل مهندسة أنظمة. آه، لكنّني عدت أنا أيضًا إلى الماضي؛ لذا، أتفهّم ارتباكك. تشرفتُ بلقائكِ".

"آه... حسنًا".

من الواضح أنّ تقديم فوميكو لنفسها فجأة ترك يوكو في حيرة من أمرها.

"أنا آسفة، لقد بدأتُ أثرثر...".

"لا، على الإطلاق".

"من المؤكّد أنّك لم تأتي لرؤية ناغاري أو كازو، ولا لرؤيتي بالطّبع. ربّما كنتِ تتوقّعين ظهور شخص آخَر؟".

والتفتَت فوميكو إلى مدخل المقهى، لكنّ الجرس لم يُقْرَع، ولم تصدُر أيُّ إشارة تدل على وصول أحد. عندما أدركت يوكو أنّها بمفردها مع فوميكو، تنهّدت بخيبة أمل، وبدا وجهها المتعب وكأنّه أصبح أكبر سنًّا.

نظرًا للقواعد المربكة الّتي اضطرّت إلى الموافقة عليها من أجل السّفر عبر الزّمن، من المنطقيّ أن يكون دافعها للقيام بمثل هذه الرّحلة كبيرًا. مع ذلك، أيًّا يكن مَن أرادت يوكو مقابلته هنا، فإنّه ليس موجودًا. كانت خيبة أملها واضحة للغاية؛ حتّى بالنّسبة إلى فوميكو الّتي التقت بها حالًا.

"هل لي أن أسأل عن هويّة الشّخص الذي كنتِ تأملين مقابلته؟" وعلى الرّغم من أنّ فوميكو كانت تعلم أنّ سؤالها لن يمنح المرأة الرّاحة،

إلّا أنّها شعرت بأنّها مضطرّة إلى قول شيء أمام موقف يوكو اليائس.

فأجابت يوكو بتنهيدة خافتة: "... في الحقيقة، كنتُ آمل أن أقابل أبي".

"أعتذر عن التأخير". عاد ناغاري فجأة من المطبخ، فيما تصاعد خطّ رفيع من البخار من فنجان القهوة الطّازجة الذي كان يحمله. "إذًا، هل هذه الفتاة من معارفكِ يا فوميكو؟".

"لا، ليست كذلك!".

"تبدين غاضبة منّي".

"أنا لست غاضبة".

"آه، حسنًا، لكن...".

فحص ناغاري ملامح فوميكو بحذر.

وصلَت زائرة من المستقبل، وأنتَ تقوم بتحضير القهوة بلا اكتراث!

أمسكت فوميكو الكلمات الّتي كادت تفلت من بين شفتيها، وقالت: "لدينا زبونة!" ثمّ التفتت إلى يوكو الّتي بدت أنّها تزداد تجهّمًا، وتعضّ شفتها السّفليّة بإحباط.

"آه، فهمتُ". تأمّل ناغاري تعابير فوميكو ويوكو، ثمّ نظر حوله، ورأى أنّه ما من أحد آخر في المقهى: "مع الأسف، يحدث هذا أحيانًا".

فأدركت فوميكو أنّه كان يقصد أنّ بعض الزّبائن يفشلون في مقابلة الشّخص الذي أتوا لِلقائه.

عندها، سألته فوميكو وكأنّها تتحدّث بلسان يوكو: "لماذا يحدث ذلك؟".

"حسنًا...".

"ماذا؟".

"الأمر يتعلّق بمشاعر الفرد".

"هل تقصد مشاعرها هي؟".

"نعم. إذا كان في قلبك شيء من الممانعة في رؤية الشّخص الذي تريدين مقابلته، فقد تعودين إلى وقت في الماضي مختلف عن ذاك الذي قصدته. يحدث هذا أحيانًا".

التفتت فوميكو إلى يوكو، ولكن عندما التقت نظراتهما، أشاحت يوكو بنظرها بعيدًا، وبدا عليها الإحراج. هل وجدَت شيئًا من الحقيقة في كلام ناغاري؟

"هل يحصل ذلك حتّى لو كنتَ تعرف تمامًا الزّمن الذي تريد العودة إليه؟".

كانت فوميكو عازمة على التعمّق في بحثها.

"نعم، حتّى في هذه الحالة. لا أعرف السّبب، ولكن كلّ ما يمكنني قوله هو إنّ رغبة المرء أو عدم رغبته في مقابلة شخص ما لها الأسبقية على ما يبدو. فقد صادفنا عددًا قليلًا من هؤلاء الزوّار من قبل. وعندما سُئلوا، أقرّوا بأنّ جزءًا منهم لم يرغب في مقابلة ذاك الشّخص".

"لكن...".

حاولت فوميكو أن تضيف شيئًا؛ إذ شعرت أنّه سيكون من المؤسف ليوكو أن تستسلم، غير أنّها استسلمت أخيرًا للموقف. لا بدّ أنّها قاعدة أخرى. شعرت بالأسف على يوكو. ومع ذلك، بدا من القسوة إعادتها إلى المستقبل خالية الوفاض.

ربّما استشعر ناغاري الأفكار الّتي تدور في رأس فوميكو؛ إذ قال: "أنا آسف، ربّما لم يشرح لك أنا المستقبليّ الأمر بطريقة وافية". وأحنى رأسه ليوكو.

غير أنّ يوكو اعترفت بهدوء وهي ترفع رأسها: "في الواقع، لأكون صادقة، ربّما لم أرغب في رؤية أبي. لقد عدتُ من المستقبل؛ بعد أربع سنوات من الآن. ففي ليلة جنازة أبي، أخبرتني أمّي أنّه زار المقهى ذات مرة...".

"ليلة جنازته!".

"نعم، فقد أصيب بنزيف دماغيّ. كان الأمر مُفاجئًا تمامًا...".

"لكن لماذا؟ لماذا لم ترغبي في رؤية أبيك؟" وبدت فوميكو في حيرة من أمرها.

"لقد تركتُ المنزل عندما اعترض أبي على زواجي، ولم أعد قط حتّى قيل لي إنّه مات".

"يا إلهي!".

تبادلت فوميكو وناغاري النّظرات.

"في ذلك الوقت، لم أفهم على الإطلاق سبب معارضته زواجنا. وعندما فشلَت كلّ محاولات إقناعه، قرّرت المضيّ قدمًا من دون موافقته...".

فصاحت فوميكو: "مهلًا... هل يمكن أن يكون والدك..." وتبادلت النّظرات مرّة أخرى مع ناغاري وقد اتّسعت عيناها دهشة. كان التّعبير نفسه يعلو وجهيهما هي وناغاري. "... رجلًا قليل الكلام، قديم

الطّراز بعض الشيء، من النّوع الذي يعتقد أنّه يجب على النساء أن يمشين خلف الرّجال بخطوتين؟... اسمه موتشيزوكي، أليس كذلك؟".

انفعلت يوكو لدى سماعها سؤال فوميكو.

"كيف عرفتِ ذلك؟".

"لقد كان هنا منذ قليل! خرج قبل وصولك، ولكن لم يكن ذلك قبل عشر دقائق، بل قبل ثلاث أو أربع دقائق. إذا لحقت به، فقد لا يكون الأوان قد فات!".

وعلى الفور، قفزَت فوميكو إلى مدخل المقهى. غير أنّ تسرّعها كانت له عواقب غير مقصودة.

"سأرافقك أنا أيضًا...".

فصاح ناغاري: "لا!".

إذ شعرت يوكو بأنّ عليها اللّحاق بأبيها بنفسها، وقد جرفتها حماسة فوميكو، فقامت عن كرسيّها، لكن في غمضة عين، تحوّلت مجدّدًا إلى سحابة متصاعدة من الضّباب الأبيض وامتصّها السّقف، حدث كلّ شيء بسرعة كبيرة.

"أوه، لا!".

وبينما تجمّدت فوميكو في مكانها مذهولة، تقلّص وجه ناغاري وتمتم قائلًا: "أوه، لقد أخطأنا".

فمن قواعد هذا المقهى أنّه عندما تسافر إلى الماضي، يجب عليك ألّا تقوم عن كرسيّك مطلقًا. ومن يفعل ذلك، يعُد فورًا إلى الحاضر.

مع اختفاء الضّباب، ظهرت المرأة ذات الفستان الأبيض. كانت مستغرقة في مطالعة كتابها وكأنّ شيئًا غريبًا لم يكن.

"مهلًا... هل كان ذلك خطئي؟".

"كان مجرّد واحد من تلك الأحداث، ولا يمكن فعل شيء حيال ذلك".

"ماذا يمكننا أن نفعل؟".

"ما من شيء يمكن فِعله الآن".

عندها، مشَت فوميكو مترنّحة، وجلست إلى أقرب طاولة، ثمّ دفنت وجهها بين كفّيها، في حين واصل ناغاري التّحديق إلى فنجان القهوة.



لماذا عارضتُ زواجها إلى هذا الحدّ؟ كان موتشيزوكي يفكّر وهو في طريقه من فونيكولي فونيكولا إلى المحطّة. على الرّغم من أنّهم كانوا في أوائل يونيو، ولم يكن الصّيف قد حلّ بعد، إلّا أنّ هذا اليوم كان رطبًا على نحو غير عاديّ، بحيث بدأ العرق يتصبَّب من جبينه.

"من فضلك".

"أنا أرفض".

"لكن، لماذا؟".

"ما زال من المبكر جدًّا اتّخاذ قرار كهذا".

"ما المشكلة إن كنّا نعرف بعضنا منذ شهرين فقط؟".

"يستحيل أن أسمح بذلك".

"لكن لماذا؟ لا أفهم".

"كيف يمكنكِ القول إنّك تعرفين رجلًا كهذا؟ لقد مرّ شهران فقط!".

"ماذا تقصد بقولك رجلًا كهذا؟".

"أعني رجلًا كهذا. حتّى إنّه لم يسلّم عليّ بشكل لائق، وفجأة، طلب مباركتي. كان سلوكه غير مقبول وينمّ عن قلّة احترام".

"في الواقع...".

"على أيّ حال، لن أسمح بهذا الزّواج. من فضلك، اطلبي منه الرحيل".

"ولكن لماذا؟ كيف يمكنك ذلك؟ ظننت أنّك تريد سعادتي".

مرّت ثلاث سنوات منذ ذلك الحين، ولم يستطع موتشيزوكي أن ينسى اليوم الذي عارض فيه الزّواج. وإذا كانت ابنته يوكو قد تزوجت من الرّجل الذي هربت معه، فإنّ شهرتها ستكون الآن كاواشيما.

قبل ذلك اليوم، لم يرَ موتشيزوكي ابنته تتحدّاه قط. وعندما شاهد دموعها الغزيرة تنهمر، فوجئ برؤيته مثل هذه المشاعر القوية لدى ابنته الّتي لطالما كانت في عينيه طفلة. فخلال سنوات دراستها الابتدائيّة، كان مدرّسوها يعلّقون باستمرار: "إنّها تفتقر إلى التّوجيه الذاتي، وتميل إلى الذّهاب مع التيّار".

عندما أصبحت في الثّانوية، انضمّت إلى نادي الجودو قائلة إنّها لم تستطع رفض دعوة صديقتها. وبالنّسبة إلى فتاة كانت في نادي الآلات الهوائية في المرحلة الإعداديّة، فإنّ البدء بممارسة الجودو فجأة كان

أشبه بوصفة لكارثة. وهكذا، تركت النّادي في أقلّ من شهر.

مع انتقالها إلى السنة الجامعية الأولى، لم تنضمّ هذه المرّة إلى فريق رياضي، بل إلى نادي الفلك؛ وهذه المرّة أيضًا لأنّ أحد الأصدقاء قد دعاها. وعلى عكس نادي الجودو، لم تكن ثمّة عقبة واضحة تمنعها من الاستمرار؛ مثل كونه تحدّيًا جسديًّا كبيرًا؛ لذلك بقيت في نادي الفلك لمدّة عامين.

وبعد تخرّج يوكو، قالت كايوكو - زوجة موتشيزوكي - إنّ ابنتها ربّما كانت ستبقى في نادي الموسيقا لو أنّها اختارت ذلك بنفسها.

ثمّ قامت هذه الابنة نفسها يوكو - ولم يكن قد مضى أكثر من شهرين على تسلُّمِها وظيفتها الأولى - بتعريف والدَيها إلى خطيبها، وكان شخصًا غريبًا تمامًا. يبدو أنّها التقت به من خلال أحد الزّبائن في العمل. ولم يستطع موتشيزوكي - على الرّغم من كونها ابنته - إلّا أن يشعر بالإحباط من عدم قدرتها على التعلُّم. فكيف تُكرِّر الأخطاء نفسها، وتستمرّ بقبول كلّ ما يُعرَض عليها؟ لن يسمح لها بفعل ذلك هذه المرّة؛ لأنّها ستندم بلا أدنى شكّ. كان على يقين من ذلك.

غير أنّه نادم الآن على معارضته رغبات يوكو. فقد دفعها تصلُّبه إلى الهرب، ولم يستطع الاتّصال بها. إذا كانت في ورطة، فكيف سيتمكّن من مساعدتها؟ أو كيف سيعرف حتّى إنّها بحاجة إلى المساعدة؟

هل كنتُ أنا المخطئ؟

وبمرور الأيّام، تعزّزت لديه هذه الفكرة. فقد اقتنع موتشيزوكي بأنّ زواج يوكو من ذلك الرّجل سيجلب لها البؤس. لكن من يستطيع حقًّا توقُّع

المستقبل؟ لو لم يرفض، فربّما كانت ستزورهما بانتظام، ومعها حفيد جميل. وفكرة أنّ أفعاله هي الّتي حرمتهما من هذه الفرحة لم تفارق ذهنه.

في تلك الفترة، سمع عن المقهى؛ إذ بَلَغَتْه شائعة حول مقهى يمكن لزوّاره الانتقال إلى الماضي، بحيث يستطيع المرء العودة بالزّمن إلى أيّ وقت يتمنّاه للقاء من يرغب في رؤيته.

غير معقول!

كان هذا ردّ فعله الأوّلي. فقد بدا له الأمر بعيد المنال، إلى حدّ استحالة أن يكون حقيقيًّا. لكن مع مرور الأيّام، أصبح أكثر فضولًا.

ماذا لو... ماذا لو تمكّنتُ حقًّا من زيارة الماضي؟ هل من الممكن أن أرى ابنتي مرّة أخرى؟ هل يمكنني تصحيح خطئي؟

وفي مرحلة ما، قال موتشيزوكي لنفسه: إذا تمكّنتُ من عيش ذلك اليوم مجدّدًا، فسأمنحها مباركتي هذه المرّة بدلًا من الاعتراض...



هل هو جادٌّ حقًّا بشأن العودة إلى الماضي؟

كانت كايوكو موتشيزوكي تفكّر في الأمر وهي في طريقها إلى المنزل، ماشية خلف زوجها ببضع خطوات، بعد خروجهما من المقهى الذي جعلها موقعه في الطّابق السّفليّ تشعر بالاختناق. في الواقع، ظلّت كايوكو على تواصل مع ابنتها من دون علم زوجها. فبعد هرب كايوكو، اتّصلت بها، وأعطتها رقم هاتفها وعنوانها الجديدين، غير أنّها قالت بوضوح: "لا تخبري أبي إطلاقًا".

أخبرت يوكو أمّها أنّها تعيش بسعادة وانسجام مع زوجها تيتسويا. ومع أنّها شعرت بالأسف على موتشيزوكي، إلّا أنّها ذهبت سرًّا لرؤية حفيدهما. وخلال زياراتها، لم تقابل تيتسويا، ولم ترَه منذ اليوم الذي جاء فيه طالِبًا موافقتهما على الزّواج. لم يصادف توقيت ذهابها وجوده قط؛ لأنّه كان دائم الانشغال بالعمل.

لطالما عرفت كايوكو أنّ ابنتهما تمتلك حِسًّا قويًّا بالمسؤولية منذ طفولتها. ففي الثّانوية، عندما انضمّت إلى نادي الجودو لمدّة شهر واحد فقط، فعلت ذلك لسبب؛ إذ كانت لديها صديقة لا تملك أيّ خبرة في الجودو، ولم تكن متأكّدة من رغبتها في الانضمام إلى النادي؛ لذلك اقترحت أن تجرّبا معًا.

كان اتّفاقهما لمدّة شهر واحد. وعندما انقضى الشّهر، اختارت يوكو مرّة أخرى الانضمام إلى نادي الآلات الهوائية، في حين بقيت صديقتها في فريق الجودو.

"أتركتِ النادي؟ ألم أقل لكِ؟ الجودو ليس لك".

"كنتُ أنوي منذ البداية أن أترك بعد شهر".

"هذه الطّريقة في اختلاق الأعذار لن تُجدِيَ نفعًا عندما تكونين في العالم الحقيقي".

"أبي، أنت لا تثق بي، أليس كذلك؟".

"هذا ليس موضوعنا الآن، أليس كذلك؟ أخبرتك أنّني لست موافِقًا عندما قلتِ إنّك تريدين الانضمام إلى فريق الجودو".

"كفى!".

"لطالما طلبتُ منكِ أن تصغي إلى الحديث حتّى النّهاية!".

كانت كايوكو ترى دائمًا موتشيزوكي ويوكو وهما يتحدّثان من دون أن يستمع أحدهما إلى الآخر. ودار حديث مشابه عندما انضمّت يوكو إلى نادي علم الفلك في الكلّية.

"لماذا تتكبّدين هذا العناء ما دمتِ ستستسلمين في منتصف الطّريق على أي حال؟".

"لماذا تفترض ذلك دائمًا؟".

"أنا لا أفترض أيّ شيء، بل أعرفك، وأفهم كيف تفكّرين".

"أنت لا تفهم شيئًا على الإطلاق".

"بل أفهم. ستستسلمين بلا شكّ في منتصف الطّريق".

"حسنًا إذًا... إذا بقيت ولم أستسلم، فسوف تكون سعيدًا، أليس كذلك؟".

"من المستحيل أن تفعلي".

إذا كان الأمر يستحقّ الانتماء إلى شيء ما، فإنّه يستحقّ بذل الجهد. لذا، ولأنّها لم ترغب في أن تكون عضوًا بالاسم فقط، استمرَّت يوكو في المشاركة بنشاط في نادي علم الفلك طوال دراستها في الكلّية.

لطالما تساءلت كايوكو عمّا إذا كان شغف يوكو الحقيقي يتمثّل في البقاء في نادي آلات النفخ، غير أنّ يوكو لم تشتكِ قط، وظلّت مصدر فخر وفرح لوالدتها.

وحتّى عندما تحدّثت يوكو عن الهرب، لم تحاول كايوكو منعها على الإطلاق؛ لأنّها كانت تثق بأنّها تتحمّل مسؤوليّة قراراتها وأفعالها.

قالت كايوكو لنفسها: على الرّغم من أنّنا عائلة، إلّا أنّ زوجي وابنتي كانا على خلاف دائم. والآن، بعد أن كبرَت وكوَّنت عائلتها، لم تعُد بحاجة إلى الامتثال لطريقة حياة أبيها. إنّها بخير، وتعيش بسعادة مع زوجها تيتسويا وطفلهما في شيزوكا، بعيدًا عن طوكيو، وما من داعٍ للتدخّل. الأمور على ما يرام كما هي.

ولهذا السّبب، لم تفكّر يومًا في السّماح لموتشيزوكي بدخول الفصل الجديد من حياة يوكو.

لكن في يوم من الأيّام، أعلن موتشيزوكي فجأة أنّه يريد زيارة المقهى الذي يعيد الزّائر إلى الماضي. لدى سماعها ذلك، خشيت كايوكو أن يعود إلى ذلك اليوم المصيريّ، ويعترض مجدّدًا على زواج ابنتهما.

إذا فعل، فسيكون ذلك كارِثيًّا؛ لأنّه سيُحطّم السّعادة الّتي تعيشها ابنتنا.

كانت كايوكو تعرف أنّ موتشيزوكي عنيد، وشكّت في أنّه إذا تمكّن من العودة إلى الماضي، فلن يفارق يوكو حتّى يحزنها.

ولهذا، رافقته كايوكو إلى المقهى بتردّد، ولكن سرعان ما تبيّن لها أنّ مخاوفها لا أساس لها. فقد كانت هذه الرحلة عبر الزّمن مُقيَّدة بكثير من القواعد، ويبدو أنّها جميعها لصالح يوكو. فبغضّ النّظر عن مدى قدرة موتشيزوكي على الإقناع، ليس بمقدوره تغيير الحاضر، ولا يمكنه البقاء في الماضي مدّة طويلة أيضًا. والأهمّ من ذلك، لم يكن من الممكن مقابلة أيّ شخص لم يسبق له الذّهاب إلى المقهى من قبل. لدى سماع ذلك، فكّرت

كايوكو في سرّها: لا أدري إذا ما كانت يوكو قد زارت هذا المقهى من قبل؛ لذا، حتّى لو تمكّن من العودة إلى الماضي، فمن المرجّح ألّا يتمكّن من رؤيتها. لا بدّ أن يكون قد أدرك ذلك. لذا، شعرت بموجة من الارتياح تجتاحها حينما غادرا المقهى، واتّجها نحو المحطّة.

لكن في تلك اللّحظة، ارتفع صوتٌ من خلفهما: "سيد موتشيزوكي!".

توقّفا لدى سماعهما النّداء واستدارا، فوجدا امرأة تلهث منقطعة الأنفاس. وقفت فوميكو كيوكاوا أمامهما، والعرق يسيل حول عنقها وجبهتها.

همست كايوكو: "مهلًا، ألستِ..." كان وجه المرأة مألوفًا.

ألم تكن في المقهى للتوّ؟ كانت القاعة مظلمة، ولم أتمكّن من الرؤية بوضوح، لكنّها تعرف اسمَيْنا. لا بدّ أنّها هي.

"هل ثمّة خطب ما؟".

تدخّلت كايوكو للإجابة؛ إذ بدا موتشيزوكي مذهولًا وهو يستدير.

أفرغت فوميكو كلّ ما في جعبتها في نفَس واحد، قائلة لموتشيزوكي: "أوه، حمدًا لله أنّني لحقتُ بكَ! من فضلك، عُد إلى المقهى. ابنتك... لقد أتت من المستقبل لرؤيتك!".

سألها موتشيزوكي بهدوء: "أَقلتِ ابنتنا؟".

شعرت كايوكو بالقلق من الطّريقة الّتي قالت بها فوميكو ذلك.

كان واضحًا أنّ فوميكو تنظر إلى موتشيزوكي، وموتشيزوكي وحده، عندما قالت "ابنتك". وقد أرادت كايوكو أن تتأكّد ممّا إذا كان ذلك مقصودًا.

"هل جاءت لرؤية زوجي؟".

فاتّخذت فوميكو وضعية أكثر استقامة، ثمّ أجابت بثقة تامّة: "نعم".

كانت المحطّة أمامه مباشرة. مع ذلك، وبدون تردّد، بدأ موتشيزوكي يمشي عائدًا على عقبيه مع فوميكو. أمّا كايوكو، فتبعتهما على بعد أمتار قليلة بثقة أقلّ.

إذا كان ما تقوله صحيحًا، فلماذا تريد ابنتي رؤيته؟ لماذا لا تريد رؤيتي أنا؟

اكفهرّ وجه كايوكو.

حتّى السّماء الّتي كانت صافية قبل لحظات، تلبّدت الآن بسُحُب داكنة محمّلة بالمطر.



سألت كازو توكيتا يوكو الّتي عادت فورًا من رحلتها إلى الماضي: "كيف سارت الأمور؟".

وبدلًا من الردّ فورًا على سؤال كازو، نظرت يوكو إلى أرجاء المقهى. بما أنّه يقع تحت الأرض، فقد كان مجرّدًا من النوافذ. ولكونه محجوبًا عن ضوء الشّمس، كان لا بدّ من الاعتماد على السّاعات لمعرفة الوقت. مع ذلك، أظهرت ساعات الحائط البندوليّة الثّلاث في المقهى ثلاثة أوقات مختلفة. وهذا ما جعل من غير الواضح إطلاقًا بالنّسبة إلى يوكو - الّتي تزور هذا المقهى للمرّة الأولى - معرفة أيّ ساعة تُظهِر الوقت الصحيح.

"أعتقد أنّني عدت من الماضي، أليس كذلك؟".

فأجابت كازو باقتضاب: "نعم".

أوه، حسنًا إذًا...

لقد تمكَّنت يوكو حقًّا من العودة إلى اليوم الذي زار فيه والدُها موتشيزوكي المقهى، غير أنّ مسارَيهما لم يتقاطعا.

ووفقًا لناغاري توكيتا الذي كان يرتدي زيّ الطّاهي، كان تردّد يوكو النابع من أعماقها هو الذي حال دون لقائهما. ولدى التّفكير في الأمر، شعرت أنّ ثمّة شيئًا من الحقيقة في ذلك.

مع أنّني أقول إنّني أريد مقابلته، إلّا أنّني كنت في أعماقي مرعوبة.

تساءلَت عمّا كان سيحدث لو التقيا.

"حسنًا، ماذا قلتِ؟ ذهبتِ وتزوّجتِ من ذلك الرّجل، وأصبحتِ امرأةً بائسة. لقد ارتكبت خطأً في حقّ نفسك، وكلّ هذا لأنّك لم تصغي إليّ".

كانت متأكّدة تمامًا من أنّ هذا ما كان سيحدث.

فبعد أن هربت يوكو مع تيتسويا كاواشيما، غادرا طوكيو، واستأجرا شقّة في مدينة شيزوكا، على بعد ساعتين. وتعهّدا بالعيش بمفردهما من دون الاعتماد على أيّ شخص آخر.

في البداية، سارت الأمور على ما يرام؛ إذ وجد تيتسويا وظيفة جديدة، وبدأت يوكو بالعمل بدوام جزئيّ في متجر صغير. وبعد مدة وجيزة، اكتشفت أنّها حامل، ففرحت للغاية، على عكس تيتسويا الذي لم يكن مولَعًا بالأطفال.

وبين عشيّة وضحاها تقريبًا، أصبح سلوكه باردًا. فأخذ يتلفَّظ بكلمات قاسية، وبدأ يُظهر جانِبًا عنيفًا.

في الواقع، ثمّة أوقات ذهب فيها إلى حدّ ركل بطنها؛ الأمر الذي أخاف يوكو كثيرًا. وغالِبًا ما فكّرت في استشارة أمّها بهذا الشّأن، إلّا أنّها في النّهاية تحمّلت بصمت؛ لأنّها لم ترغب في أن تسبّب لها القلق.

كانت أمّي الصّخرة الّتي اتّكأتُ عليها، فقد وقفت بجانبي دائمًا. لذا، لا أريد أن أحزنها. كان الهرب معه خياري؛ لذا عليّ أن أتحمّل محنتي بمفردي.

قرّرت يوكو ترك تيتسويا وتربية طفلهما الذي لم يولد بعد بمفردها. وفي اللّحظة الّتي طرحت فيها موضوع الانفصال، وقّع تيتسويا أوراق الطّلاق، وكأنّه كان يتوقّع ذلك منذ البداية.

ولم يمضِ وقت طويل حتّى أحضرَ صديقته الجديدة إلى شقّتهما. تبيّن أنّ تيتسويا من أسوأ الرجال؛ لأنّه كان يُقيم علاقة غراميّة في حين كانت زوجته حاملًا. عندها أدركت يوكو أنّ والدها رأى تيتسويا على حقيقته.

كنت عمياء تمامًا عن كلّ هذا. يمكنني فقط أن أتخيَّل كيف كان أبي يهزّ رأسه في وجهي. وإذا ما عرَفَت أمّي بهذا الأمر، فسوف يتحطّم قلبها.

خلال فترة الحمل، كانت يوكو محظوظة بالعثور على وظيفة توفّر لها السّكن والطّعام؛ إذ كانت تُعِد وجبات الطّعام لموظّفي مكتب توصيل صحف إلى المنازل يديره زوجان مسنّان. صحيح أنّ الأجر كان

متدنيًا، لكنّ الأهم كان الحصول على سقف فوق رأسها، وطعام على مائدتها. كما أنّ الزّوجين المسنّين اللّطيفين دعماها في مرحلة الولادة، واهتمّا بمختلف الأمور خلال إجازتها.

أخفت يوكو أمر الطّلاق عن كايوكو الّتي كانت تتّصل بها بين الحين والآخر، وطمأنتها بأنّ كلّ شيء على ما يرام. وأمام شوق كايوكو لرؤية حفيدها، اضطرّت يوكو إلى ترتيب بضع زيارات، ولم تشُكَّ كايوكو للحظة واحدة في حقيقة الوضع.

أدركت يوكو أنّه مع نموّ ابنها ستنكشف الكذبة حتمًا، ولكنّها كانت مصمّمة على عدم البوح بالحقيقة إلّا بعد أن تحصل على وظيفة بأجر كافٍ، وتعثر على شقّة لتثبت أنّها وميتسورو قادران على عيش حياة مستقرّة، وأنّها تستطيع إعالة ابنها.

من أجل هذه الغاية، عملت يوكو بلا كلل. ومع أنّ أجرها كان منخفضًا، لكنّ الوظيفة في مكتب مبيعات الصّحف كانت نعمة؛ لأنّها سمحت لها بالعمل مع طفلها إلى جانبها. وكان الزّوجان المسنّان سعيدَين برعايته، وهي تعمل على ماكينة تسجيل المدفوعات في أحد المتاجر الكبرى في أوقات فراغها.

ادّخرت يوكو المال بجدّ، وكانت في طريقها لتأمين مبلغ كافٍ لاستئجار شقّة. مع ذلك، كان محتومًا عليها أن تكرّر الخطأ نفسه مجدّدًا.

فعندما بلغ ابن يوكو السّادسة من عمره، أقامت صداقة مع رجل كان يتردَّد إلى السوبرماركت الذي تعمل فيه. ومن خلال محادثاتهما،

علمت أنّه يكبُرها بخمس سنوات، وأنّه يعمل في مجال الاستشارات العقاريّة والأراضي.

لم تفهم يوكو محتوى العمل على الإطلاق. وكلّ ما عرفته هو أنّها ليست وظيفة في شركة، وأنّه بإمكانه القيام به من المنزل باستخدام جهاز كمبيوتر فقط.

في أحد الأيّام، اقترح عليها شراء شقّة في منطقة حضرية، حتّى يتمكّن الثّلاثة من العيش معًا. وكان اقتراحًا يستحقّ التّفكير.

لم نتعرّف على بعضنا بعضًا إلّا منذ أقلّ من ستّة أشهر، ولكنّه لطيف حقًّا، ويبدو أنّ ميتسورو يحبّه. كما أنّ العيش في شقّة في المدينة من شأنه أن يمنحني الثّقة لإخبار أمّي وأبي أنّني تزوّجت ثانية.

عندما قدّم لها الخاتم، لم تجد سببًا للرفض. ورافقته لمعاينة الشقّة الّتي كانا يعتزمان شراءها، وتركت له أمر إنجاز بقيّة الأوراق. بعد ذلك، سلّمته المال الذي ادّخرته كدفعة أولى، وانتظرت البشرى بأنّ عملية الشّراء قد تمّت بنجاح.

طال انتظار يوكو، ولم تأتِ المكالمة قطّ. كما أنّ هاتفه لم يكن مُتاحًا. وعندما استبدّ بها اليأس، تواصلت مع وكيل العقارات الذي يتولّى الصّفقة، لتكتشف أنّه ليس لديهم سجلّ بعمليّة الشّراء.

كانت عمليّة احتيال، فقد تعرّضت للخداع.

لكن لماذا؟! أظلم عالمها تمامًا أمام عينيها. لماذا يجب أن أعاني بهذه الطّريقة، وليس مرة واحدة، بل مرتين؟

كانت يوكو قد تركت عملها في مكتب مبيعات الصحف والسوبرماركت على أمل الزّواج، وودّعت الزّوجين اللّذين ساعداها. ولم تتخيّل قطّ أنّ خطّتها للانتقال إلى شقّتها الّتي اشترتها حديثًا ستذهب أدراج الرّياح. لكنّ هذا ما حدث، ووجدت نفسها مع ميتسورو على أعتاب مستقبل غامض.

بعد أن سحقها اليأس، وبما أنّها لا تملك مكانًا تذهب إليه، لم يعُد أمامها سوى التّواضع أمام والدها، والاعتراف بالحقيقة لأمّها، والتوسّل إليهما للسّماح لها بالعودة إلى المنزل.

قالت يوكو لنفسها: من أجل ابني، ما من طريقة أخرى.

لكن في اللّحظة الّتي قرّرت فيها أنّ هذا مسارها الوحيد، وكانت على وشك الضّغط على زرّ الاتّصال على هاتفها، تلقّت مكالمة. كانت من كايوكو، وكان التّوقيت دقيقًا للغاية لدرجة أنّ قلب يوكو بدأ ينبض بقوّة، وكأنّها تحت المراقبة.

"مرحبًا".

"يوكو، لدي أخبار سيّئة".

"ما الأمر؟".

"... في الواقع...".

"ما الخطب؟ هل تبكين؟".

"والدك... الحياة".

"ماذا؟ قُطِع الخطُّ، ماذا عن أبي؟".

"لقد مات".

"ماذا؟".

كان السّبب سكتة دماغية مفاجئة. فقد انهار موتشيزوكي من دون سابق إنذار، وفقد وعيه، تاركًا العالم خلفه.

عادت إلى يوكو ذكرى آخر حديث دار بينهما.

"لا أعتقد أنّكِ تفهمين ما الزّواج. فكِّري في الأمر بعناية أكبر يا يوكو. هذا الرّجل لا يناسبكِ".

"كيف يمكنكَ حتّى أن تعرف أيّ نوع من النّاس هو؟".

"السّؤال هو ماذا تعرفين عنه؟ فأنتِ من سيعاني".

"لماذا قرّرتَ ذلك؟".

"لأنّكِ صغيرة جدًّا على التّفكير في الزّواج".

"آه، كُفَّ عن معاملتي كطفلة! إذا لم تبارك زواجي، فسأترك هذا المنزل".

"افعلي ما يحلو لكِ".

"سأفعل، سواء أأعجبكَ ذلك أم لا".

"لا تعودي إليَّ لاحقًا باكيةً. فحتّى لو توسّلتِ إليَّ، لن أسمح لكِ بالعودة إلى هذا المنزل".

"هذا يناسبني تمامًا".

في ذلك الوقت، كانت يوكو مليئة بالتحدّي؛ لذا، خرجَت من المنزل، واحترقَت؛ ليس مرّة واحدة، بل مرّتين. والآن، عندما أصبحَت على وشك الاستسلام، وطلب المساعدة، توفّي والدها، تاركًا غضبهما المتبادل من دون حلّ.

ما كان رأي أبي بي؟

بحسب كايوكو، كلّما ذُكِر اسمها، كان والدها يضغط على شفتيه، ويتعكّر مزاجه.

لا بدّ أنّه كان غاضبًا للغاية بحيث لم يستطع حتّى أن يتحمّل الحديث في الأمر. ما من حلّ، ففي النّهاية، حصل ما حصل...

وفي ليلة الجنازة، كشفت يوكو قصّتها بالكامل لكايوكو. عندها، بكت كايوكو ووبّختها، متسائلة عن سبب عدم طلبها النّصيحة في وقت سابق. حينها، شرحت لها أنّها لم ترغب في التسبّب لها بالقلق، فسالت دموع كايوكو من جديد. وعندما أدركت كايوكو أنّ ابنتها لا تملك مكانًا آخر تلجأ إليه، حثّتها على العودة إلى المنزل قائلة: "تعالَيْ لنعش معًا".

كانت يوكو تعرف أنّها لا تملك خيارات أخرى، ولكنّها لم تستطع حمل نفسها على قبول عرض كايوكو بهذه البساطة.

"شكرًا لك، ولكن...".

"ما الذي يمنعكِ؟".

"ماذا سيكون رأي أبي...؟".

"لو عرف أبوكِ مقدار معاناتك، لطلب منكِ بالتّأكيد العودة إلى المنزل".

"لكن...".

كانت آخر جملة قالها لها لا تزال ترنُّ في أذنيها. "لا تعودي إليَّ لاحقًا باكية. فحتّى لو توسّلتِ إليَّ، لن أسمح لكِ بالعودة إلى هذا المنزل". لم تستطع نسيان هذه الكلمات.

كم كنتُ أنانيّة. ليس من حقّي العودة إلى البيت. فأنا أدفع ثمن تركي المنزل بتلك الطّريقة، وإغضابي أبي. من السّهل جدًّا أن أوافق على العودة للعيش في المنزل بعد وفاته، ولكن كيف يمكنني أن أعيش في بيته بعد أن دستُ على رغباته؟

لكن عندما رفضَت يوكو عرض والدتها، اقترحت كايوكو أمرًا غريبًا تمامًا.

"حسنًا إذًا، لماذا لا تعودين بالزّمن إلى الوراء، وتسألين أباك؟".



غير أنّ يوكو لم تتمكّن من رؤيته.

"انتهى وقتي هناك فجأة عندما نهضتُ عن الكرسيّ".

"أحقًّا!؟".

لم يُظهِر وجه كازو توكيتا أي عاطفة عندما استمعت إلى شرح يوكو، واكتفت بحمل فنجان القهوة الذي كان لا يزال ممتلئًا تقريبًا.

همست قبل أن تختفي في المطبخ: "سأُعِدّ لكِ بعض القهوة الطّازجة السّاخنة".

بعد قليل، عادت المرأة ذات الفستان الأبيض من الحمّام. فأخلت لها يوكو كرسيّها، وجلست إلى الطّاولة المجاورة.

"ماما".

عندما كانت يوكو في رحلتها إلى الماضي، كان ابنها ينتظرها في المقهى. خرج من غرفة المعيشة في الخلف، وهُرِع إليها.

"ميتسورو، هل كنتَ ولدًا مُطيعًا؟".

وبدلًا من إجابة أمّه، مدَّ لها دمية على شكل هيكل عظميّ يرتدي زي سانتا لكي تراها.

"من أين أتيت بهذا؟".

"هي من أعطتني إيّاه".

"مَن؟".

بدلًا من الردّ، نظر ميتسورو بصمت خلفه، فتتبّعت نظراتِه، ورأت امرأة في أواسط العقد الرّابع من عمرها. كان اسمها كيوكو كيجيما، وهي من رُوّاد المقهى الدائمين. كان لديها ابن هي الأخرى، في الصّفّ الابتدائيّ الرّابع. مع ذلك، فإنّ مَن أعطى ميتسورو الدّمية لم تكن كيوكو، بل فتاة صغيرة ذات عينين واسعتين برّاقتَيْن تقف بجانبها. كان اسم الفتاة الصّغيرة ميكي توكيتا، وهي ابنة ناغاري الّتي ستبلغ السّادسة من عمرها في ذلك العام.

سألته يوكو: "هل شكرتها؟" فأومأ ميتسورو برأسه بخفّة.

"ألم تتمكّني من مقابلته؟".

كانت كيوكو هي الّتي تسألها. فقد كانت في المقهى، وسمعت حديث كازو ويوكو. وعندما فهمت مأزق يوكو، عرضت مراقبة ميتسورو خلال رحلة أمّه إلى الماضي.

في الواقع، كان شقيق كيوكو الأصغر قد ظهر مؤخّرًا لزيارة والدتهما. فقد سافر في الزّمن إلى الوراء؛ عائدًا من الزمن الذي تُوُفِّيَت فيه الأمّ نتيجة إصابتها بمرض السّرطان؛ لذا تفهّمَت كيوكو حاجة يوكو لرؤية والدها المتوفّى.

"لم ينتهِ بي المطاف في الزّمن الذي كان فيه أبي في المقهى...".

"آه، كم هذا مؤسف!" قالت كيوكو ذلك متنهّدة بتعاطف، كما لو كانت الخسارة تعنيها.

فأجابت يوكو وهي تربّت برفق على رأس ميتسورو الذي احتضن الدّمية بعناية: "نعم، ولكن ربّما كان هذا ما يُفترَض أن يحدث".

عندها، سألتها كيوكو، وقد أمالت رأسها بفضول: "ما الذي تقصدينه بذلك؟".

"لقد خسرت للتوّ كلّ أموالي، ولم يعُد لديَّ مكان أعيش فيه. لذلك، ما من خيار أمامي سوى العودة إلى البيت. أعتقد أنّ طلب السّماح من أبي كان فقط من أجل إراحة بالي...".

"لكن مع ذلك...".

فقاطعتها يوكو الّتي بدا صوتها مشوبًا بالإحساس بالذنب: "لا بأس. أنا أعيش خيبة أمل، ولكن...".

أنا مرتاحة لما حدث، وسعيدة لأنّني لم أرَ أبي. صحيح أنّه لا يمكنني قول ذلك، لكنّ هذا ما أشعر به في أعماقي. كم أنا ابنةٌ جاحدة!

لم يفعل صوت يوكو الداخلي سوى تأكيد مشاعرها فحسب.

لماذا هربتُ في المقام الأوّل؟

لماذا لم أخبرهما بعد فشلي الأوّل؟

كلّما فكّرَت أكثر، غرق عقلها في مزيد من الظّلام. ولدى رؤيتها يوكو شاردة، لم تعرف كيوكو ماذا تقول هي أيضًا. ولم يمضِ وقت

طويل حتّى نامت ميكي بين ذراعيها، فنظرت إلى السّاعة، ووجدت أنّ الوقت تجاوز الثّامنة مساءً.

لا جدوى من البقاء مدة أطول، علينا الذّهاب.

لكن، عندما أمسكت يوكو يد ميتسورو وكانت على وشك الوقوف...

"أعتذر عن التأخير".

كانت كازو توكيتا قد عادت فجأة من المطبخ.

"أوه، كنّا على وشك...".

"من فضلك... اشربي القهوة وأنتِ تنتظرين".

قدّمت كازو القهوة ليوكو، والحليب السّاخن لميتسورو قبل أن تختفي مجدّدًا في المطبخ، تاركة يوكو في حيرة من أمرها. عندها، نظرت إلى كيوكو الّتي جلست إلى المنضدة.

فابتسمت كيوكو، وأومأت برأسها قليلًا كأنّها تقول: حسنًا، بما أنّها تكبَّدت عناء تقديم القهوة لكِ، اشربيها على الأقلّ.

تنهّدت يوكو وجلست مجدّدًا. كان ميتسورو جالِسًا إلى الطّاولة أمامها، يرتشف الحليب.

لقد فشلتُ كابنة. ربّما كان يجب أن أتواصل معه عندما وُلِد ميتسورو، غير أنّني لم أفعل بسبب عنادي. حتّى إنّني جعلت أمّي تعِدني بعدم إخبار أبي. ولهذا السّبب، مات من دون أن يرى حفيده.

لم تستطع يوكو أن تحمِل نفسها حتّى على لمس القهوة الّتي وُضِعَت أمامها، واكتفت بإطلاق التنهّدات، فيما غاص قلبها في ظلام بسواد القهوة في فنجانها.

كـم أنـا نادمـة. لـن أتمكّـن مـن رؤيـة أبـي مجـدّدًا. لقـد أتيحـت لـي الفرصة، وكان بإمكاني العودة إلى اليوم الذي جاء فيه إلـى هـذا المقهـى، لكنّني أهدرتها.

من القواعد الغامضة للسّفر عبر الزّمن في هذا المقهى أنّه لا يمكنك مقابلة أي شخص لم تسبق لـه زيارة المكـان مـن قبـل. قالـت لهـا أمّهـا: "أعتقد أنّ أباكِ أراد العودة لمنع زواجكِ. لكن عندما علم أنّه لا يستطيع مقابلة شخص لم يـزُر هـذا المقهـى مـن قبـل، استسـلم وكـان عائـدًا إلـى المنـزل. وإذا اسـتطعتِ العـودة إلـى تلـك اللّحظـة بالـذات، فينبغـي أن تتمكّني من مقابلته".

"مهلًا، ماذا؟!".

قالت إنّه كان عائدًا إلى المنزل. لماذا لـم تقُـل ببسـاطة إنّـه عـاد إلـى المنزل؟

وبينما كانت يوكو تتذكّر حديثها مع كـايوكو، انتابهـا إحسـاس ملـحّ بأنّ أمرًا مهمًّا يتمّ إغفاله.

لـم يكن هذا كلّ شيء.

مـاذا قالـت النّادلـة للتـوّ؟ "مـن فضـلك... اشـربي القهـوة وأنـتِ تنتظرين".

... مَن يُفترَض بي أن أنتظر؟

كانت يوكو قد تجاهلت ما قالته كازو؛ وعدّتـه مجـرّد خطـأ في الكـلام. لكنّ عندما جمعت بين كلامها وما قالته كايوكو، شعرت كأنّ أمرًا ما يفوتهـا. مدَّت يدها إلى قهوتها في محاولة لتهدئة عقلها المضطرب.

في تلك اللّحظة، حدث أمر غريب.

في البداية، اعتقدت يوكو أنّ الحائط المواجه لها يتلاشى، ويتحوّل إلى ضباب أبيض. ثمّ ما لبثت أن أدركَت أنّ المرأة ذات الفستان الأبيض الجالسة إلى الطّاولة المجاورة هي الّتي تتحوّل في الواقع إلى شبح أبيض ضبابي. كان الأمر يشبه الطّريقة الّتي يختفي بها النينجا في هبّة من الدّخان. غير أنّ يوكو أدركت على الفور حقيقة ما يجري من تجربتها الخاصّة.

تمامًا كما حدث في اللّحظة الّتي عدتُ فيها إلى الماضي.

فبعد أن قدّمت لها كازو القهوة مباشرة، شعرت وكأنّ جسدها قد اتّحد مع البخار المتصاعد من فنجان القهوة.

والأمر نفسه يحدث الآن.

أحسّت يوكو بأنّ شخصًا ما سيخرج من تحت الحجاب الضّبابي.

"كان عائدًا إلى المنزل".

"من فضلك... اشربي القهوة وأنتِ تنتظرين".

راح قلبها ينبض بسرعة، فشدّت ميتسورو نحوها، وأجلسته على حضنها.

"آه...".

امتصّ السّقف الضّباب الذي غلّف المرأة ذات الفستان الأبيض، ليكشف عن الشّخص الذي اعتقدت أنّه سيظهر.

"أبي...؟".

"يوكو".

"عندما سمعت يوكو اسمها بذلك الصّوت الأجشّ المنخفض، تجمّدت في مكانها. كان والدها هو الذي خرج من تحت الضّباب.



عادت كايوكو مع موتشيزوكي إلى المقهى المعتم الذي وجدته خانقًا.

"إذًا، بما أنّك أحضرتِني إلى هنا، فهل هذا يعني أنّني أستطيع رؤية ابنتي؟".

"بالضّبط!".

لمعت عينا فوميكو وهي تجيب من دون تردُّد، في حين عكّرت علامات الإرباك وجهَ كايوكو.

"عمَّ تتحدّثين؟ قلت إنّ ابنتي جاءت من المستقبل، أليس كذلك؟ ظننتُ أنّ هذا المقهى يسمح بالعودة إلى الماضي، وليس السّفر إلى المستقبل".

فأوضح ناغاري: "حسنًا، في الواقع، يمكنك السّفر إلى المستقبل أيضًا".

"ماذا؟".

تبدو فكرة العودة إلى الماضي منافية للعقل بما فيه الكفاية.

كانت كايوكو مُتَشكِّكة أساسًا، غير أنّها لم تُفصِح عن أفكارها.

"هذا المقهى لا يتيح للزّائر العودة إلى الماضي فحسب، بل يسمح أيضًا بالسّفر إلى أيّ زمن ترغب فيه".

"أيّ زمن أرغب فيه!".

"نعم. لذا يمكنك الذّهاب حتّى إلى المستقبل، على الرّغم من أنّ الزّبائن نادرًا ما يختارون القيام بذلك".

"لِمَ لا؟".

"حسنًا، لنفترض أنّ ثمّة شخصًا تريد مقابلته في المستقبل. فهل يمكنك أن تعرف متى بالضّبط سيزور هذا المقهى؟".

"وكيف لي أن أعرف...؟ آه، فهمت".

"تمامًا. إذا كنتَ ترغب في العودة إلى الماضي، فما عليك سوى معرفة الوقت الذي كان فيه الشّخص المعنيّ في هذا المقهى. لكن...".

"إذا كان الأمر يتعلّق بالمستقبل، فلا يمكنك أن تعرف؟".

"بالضّبط".

"ولكن، بما أنّ ابنتي جاءت من المستقبل...".

"فهذا يعني أنّكَ إذا سافرت إلى المستقبل مُستهدِفًا الوقت المحدّد الذي كانت فيه ابنتُك هنا، فستتمكّن من مقابلتها".

"ولكن، إذا كانت ابنتنا هنا منذ لحظة فقط، فلماذا نقطع كلّ هذا الزّمن إلى المستقبل إن كان بإمكاننا العودة بضع دقائق إلى الوراء؟".

"آه... لم أفكّر في ذلك".

صفّقت فوميكو بيديها، مدركة وجود ثغرة في تفكيرها، ونظَرت إلى ناغاري.

"لكنّ هذا غير ممكن".

"لِمَ لا؟".

كانت فوميكو هي الّتي أصرَّت على فهم الحَقائق. أمّا كايوكو الّتي طرحت السّؤال، فكانت تراقب الحديث بين ناغاري وفوميكو بتعبير بارد.

"لأنّ ثمّة كرسيًّا واحدًا فقط".

"... آه، فهمت".

ارتاحت فوميكو، وبردت حماستها فجأة. أمّا كايوكو، فبدت مُربَكة: "أنا آسفة، لم أفهم".

"الكرسيّ الذي يحتاج زوجك إلى الجلوس عليه سيكون مشغولًا من قبل ابنتك الآتية من المستقبل".

"هذا هو السّبب إذًا... آه". أخيرًا، فهمت كايوكو الموقف، وكفّت عن الاعتراض.

أوضح ناغاري: "هكذا هو الحال. لا يمكن لشخصين العودة إلى الوقت نفسه. فثمّة كرسيّ واحد فقط".

عندها، قالت كايوكو وقد وجدت تفسير ناغاري مُرضيًا على ما يبدو: "أحقًّا؟ فهمت". مع ذلك، راحت تفكّر في سرّها: إذا كان زوجي يسعى - بعودته إلى الماضي - إلى جعل يوكو تُلغي زواجها، فما الفائدة من السّفر إلى المستقبل؟

"بماذا تفكّر يا عزيزي؟".

غير أنّ موتشيزوكي تجاهل سؤال كايوكو، مُحدِّقًا إلى كرسيّ السفر عبر الزّمن الذي تجلس عليه المرأة ذات الفستان الأبيض. فمَن يُخطّط للمغامرة عبر الزّمن عليه أن ينتظر أوّلًا حتّى تقوم عنه للذّهاب إلى الحمّام.

تابع ناغاري حديثه من حيث توقّف، "ذكرت ابنتك أنّها جاءت من أربع سنوات في المستقبل، لكنّني لا أعرف الوقت بالضّبط".

فقالت فوميكو وهي ترفع يدها: "أنا أعرف".

"أحَقًّا؟".

كان ناغاري هو الذي فوجِئ هذه المرّة.

"نعم، في الواقع، أنا أعرف الوقت".

"وكيف ذلك؟".

فقالت فوميكو وهي تنقر على معصمها الأيسر: "رأيت الوقت على ساعتها. كما تعلمون، الكثير من النساء يضعن ساعاتهنّ بحيث يكون ظاهر السّاعة على الجانب الداخلي من المعصم. أمّا هي، فكانت تضعها على الجانب الخارجي. وقد لفت ذلك انتباهي؛ لذا نظرت من كثب. كانت رقميّة، وتشير إلى السّاعة 6:45 مساءً. كما أظهرت التّاريخ، وكان الحادي عشر من نوفمبر. لا شكّ لديَّ في ذلك".

كانت فوميكو تتحدّث بثقة.

"إذًا، السّاعة 06:45 مساءً، في الحادي عشر من نوفمبر، بعد أربع سنوات من الآن، ممتاز. باتت لدينا كلّ المعلومات المطلوبة". ورفع ناغاري إبهامه لفوميكو، منبهرًا بدقّة ملاحظتها. "إذًا، ماذا ترغب أن تفعل؟".

بعد أن عرف ناغاري كلّ الحَقائق اللّازمة للوصول إلى الوجهة، التفت إلى موتشيزوكي.

غير أنّ كايوكو كانت لديها بعض التحفّظات.

لماذا يريد الذّهاب إلى المستقبل؟ لن يساعده ذهابه إلى هناك في تحقيق أيّ شيء يحاول القيام به. فإذا كان يريد رؤيتها فحسب، فما عليه سوى زيارة هذا المقهى مرّة أخرى بعد أربع سنوات.

بالنيابة عن زوجها الصّامت، بدأت كايوكو بالرّفض.

"يؤسفني أن أبلغك أنّ زوجي كان يخطّط للعودة إلى الماضي لرؤية ابنتنا قبل زواجها..." غير أنّ موتشيزوكي أسكتها بإشارة من يده.

"... ماذا؟".

تجاهل موتشيزوكي علامات الدّهشة الّتي طغت على وجه زوجته، وخفض رأسه قائلًا: "من فضلك، دعني أذهب إلى المستقبل الذي ستكون فيه ابنتي".



لكن...

إلى متى سيجعلونني أنتظر؟

مرّت ثلاث ساعات منذ أن قرّر موتشيزوكي السّفر إلى المستقبل. ذهبت كايوكو إلى المنزل، وذكرت أنّ عليها أن تُعِدَّ العشاء. كانت السّاعات البندوليّة على جدار المقهى تشير إلى أوقات مختلفة؛ وهو ما جعلها عديمة الفائدة. تحقّق موتشيزوكي من ساعته. كانت تشير إلى 7:20 مساءً. لم تكن ثمّة نوافذ، لكنّه كان متأكّدًا من أنّ الظّلام قد حلّ في الخارج الآن. وأثناء انتظاره، تناول فنجانين من القهوة. كان يظنّ بسذاجة أنّه سيعود في الوقت المناسب لتناول العشاء، لكنّ معدته كانت تحتجّ الآن على هذا الافتراض.

قالوا إنَّها شبح، لكن...

ألقى موتشيزوكي نظرة أخرى على المرأة ذات الفستان الأبيض. كانت جالسة بلا حراك، مستغرقة في قراءة كتاب، وكانت ترتدي فستانًا قصير الكمّين؛ على الرّغم من أنّ الصّيف لم يكن قد حلّ بعد. كان هو وتلك المرأة الزّبونين الوحيدين في المقهى. وخلف المنضدة، وقف كلٌّ من كازو وناغاري. كان ناغاري يحمل ابنته ميكي الّتي تنام بهدوء. كانت قد أتمّت عامها الثاني للتوّ. أمّا زوجة ناغاري، كي، فَتُوُفِّيَت بعد وقت قصير من ولادة ميكي.

قال موتشيزوكي لناغاري وقد اعتصر قلبه ألمًا: "بصفتي أبًا أنا نفسي، يمكنني أن أتخيَّل الحزن الذي شعرت به لعدم قدرتها على رؤية ابنتها تكبر".

عندئذٍ، قال ناغاري وقد ضاقت عيناه الصّغيرتان أساسًا: "في الواقع، زوجتي أيضًا سافرت إلى المستقبل؛ لرؤية ابنتنا بعد أن كبرت وأصبحت في الإعدادية". وبدا أثر ابتسامة في عينيه وهو يتحدّث.

"هذا لا يُصدَّق...".

كان موتشيزوكي منبهرًا بقصّة ناغاري.

"إذًا، هل تمكَّنَت من مقابلتها؟".

"نعم. وبفضل ذلك، رحلت زوجتي عن هذا العالم بابتسامة. لكنّها لم تخبرني قطّ بالحديث الذي دار بينهما". وتحوّل نظر ناغاري إلى صورة في إطار على المنضدة، ووجد موتشيزوكي ابتسامة كي آسرة.

"في حالتي... ليس لديَّ آمال كبيرة بأن تنتهي قصّتي أنا وابنتي نهاية سعيدة، حتّى لو ذهبتُ إلى المستقبل وقابلتها. كنت آمل أن أتمكّن من العودة بالزّمن إلى الوراء لكي أمنحها مباركتي. فحتّى لو لم يغيّر ذلك حقيقة هروبها، لكن على الأقلّ إذا وافقتُ، فقد تعود في المستقبل إذا ما واجهت أيّ صعوبات، أو ربّما أمكنني أن أقدِّم لها بعض النّصائح أيضًا".

بدأ موتشيزوكي يتمتم كأنّه يُحدِّث نفسه.

"هكذا كانت نيّتي. أمّا الآن، فعليَّ إعادة التّفكير في الأمر إن كنت سأسافر إلى ما بعد أربع سنوات في المستقبل. لا أعتقد أنّ موافقتي ستعني لها الكثير في ذلك الحين؛ فأنا واثق من أنّها لم تسامحني على اعتراضي على زواجها. وعدم إرسالها حتّى رسالة نصّية منذ ذلك الحين دليل كافٍ على ذلك".

نظر موتشيزوكي إلى الأسفل، وأطلق تنهيدة خافتة.

فسأله ناغاري وهو يميل رأسه بفضول: "إذًا، لماذا فكّرت في العودة إلى الماضي؟".

"حسنًا...".

ثمّ بدأ موتشيزوكي بإخباره - بكلمات مبعثرة - عن سبب تفكيره في العودة إلى الماضي.

في إحدى اللّيالي على العشاء، سأل كايوكو فجأة: "هل تذكرين طبق يوكو المفضّل؟".

كان مجرّد سؤال خطر بباله، من دون سبب معيّن.

"ما سبب هذا السّؤال المفاجئ؟".

كان من المفهوم أن تُصاب كايوكو بالذهول. فقد كانت يوكو موضوعًا محظورًا بينهما بعد هروبها.

لم تذكر كايوكو ذلك مطلقًا، ولكنَّها تلومني على رحيل يوكو على الأرجح.

هكذا رأى موتشيزوكي الأمر.

كانت كايوكو تتكدّر دائمًا بشكل ملحوظ كلّما ذكر موتشيزوكي ابنتهما.

"نعم، طبقها المفضل".

لم يكن من المجدي التّراجع عن سؤاله، الآن وقد طرحه.

"إن لم أكن مخطئة، فهو الأوموريس".

ماذا دهاه فجأة؟! كان من الممكن تخيّل الأفكار الّتي تدور في رأس كايوكو من الثنية بين حاجبيها.

"آه، حسنًا".

"ماذا؟".

"لا شيء مهمّ".

لكنّ الأمر لم يكن تافهًا على الإطلاق. فبينما كان موتشيزوكي يجيب، عاش لحظة من الوضوح المذهل.

هل عارضتُ حقًّا زواج ابنتي من دون أن أعرف حتّى ما طبقها المفضّل؟

بالتّأكيد، كان من السّخف المساواة بين الذوق في الأطعمة وشريك الحياة. لكن مع ذلك، أزعجته هذه الفكرة.

ماذا أعرف عن حياة يوكو؟ لا شكّ في أنّ لديها أذواقها وتجاربها الخاصّة، وما كان ينبغي لي أن أحاول توجيهها طوال الوقت. ففي مرحلة ما، كان عليها أن تتّخذ قرارات كبيرة في الحياة دون تدخُّل منّي. وعندما نختار طريقنا في الحياة، نرتكب الأخطاء أحيانًا... فمن المستحيل ببساطة أن نكون بجانبها دائمًا لتقديم المساعدة. والحماية ليست كل شيء. كان من الأفضل لو سمحتُ لها باكتساب القوّة للتّغلّب على الشّدائد بنفسها. لكن بسبب حرصي على سعادة يوكو، ربّما أكون قد ضيَّقتُ خياراتها عن غير قصد.

حينها فقط، أدرك موتشيزوكي أخيرًا أنّه كان مخطئًا في معارضته لزواج ابنته.

"ربّما كان عليَّ أن أثق في خياراتها وأنتظر. فبهذه الطّريقة ستشعر على الأقلّ أنّها تستطيع دائمًا العودة إلى المنزل. في الماضي، كنت أدفع فقط بأجندتي الخاصّة، ولم أبحث حقًّا عن سعادتها. على الأقلّ، أريد الاعتذار عن ذلك. هذا ما يمليه عليَّ قلبي الآن".

خلال حياتنا، نرتكب العديد من الأفعال المؤسفة الّتي لا يمكننا التراجع عنها، ومعظمها أمور نفعلها أو نقولها في لحظة انفعال. ومن شأن الخلافات الّتي تنشأ في الأسرة – بين الوالد والأولاد، أو بين الأشقّاء – أن تستغرق وقتًا طويلًا لحلّها. ولا يمكن لأيّ قدر من النّدم على الكلمات والأفعال الماضية أن يشفي الجروح العاطفيّة الّتي لحقت بالمرء، ما لم تتغيّر مشاعره.

تدفَّقت كلمات موتشيزوكي بهدوء كالنّهر في أذنَي كازو المصغيتَين، في حين تمتم ناغاري: "حقًّا..." وضاقت عيناه أكثر.

فجأة، تردَّد في أرجاء المقهى صوت كتابٍ يُغلَق. فاستدار موتشيزوكي، ورأى المرأة ذات الفستان الأبيض تنهض ببطء عن كرسيّها.

"لقد نهضت!" خرجت الجملة من فم موتشيزوكي من دون قصد، قبل أن يغلق فمه مُربَكًا. غير أنّ المرأة لم تنتبه إليه وهي تشقّ طريقها بصمت من أمام طاولته، بخطًى غير مسموعة على الإطلاق، قبل أن تغادر القاعة باتّجاه الحمّام.

عندها، نظر موتشيزوكي وكأنّه يقول: ماذا يجب أن أفعل؟

فقالت كازو توكيتا الّتي كانت قد بقيت صامتة حتّى هذه اللّحظة: "من فضلك، اجلس هنا وانتظر". ثم اختفت في المطبخ.

ظنّ موتشيزوكي إيماءة رأس ناغاري حافزًا كافيًا، فنهض ووقف بجانب الكرسيّ.

أخيرًا، سأتمكّن من رؤية يوكو. لكن لا شكّ في أنّ كايوكو حائرة بشأن سبب رغبتي في السّفر إلى المستقبل. لا بدّ أنّها انتهت من إعداد العشاء الآن وتشعر بالانزعاج لأنّني لم أحضر بعد.

كان موتشيزوكي قد سمع كايوكو تتنهَّد بصوت خافت وهي تغادر المقهى. لكنّ حقيقةً واحدة غلبت على تلك المخاوف: لقد أتت يوكو لرؤيتي بالفعل.

لو لم تفعل، ربّما ما كان ليفكّر يومًا في القيام بهذه الرحلة إلى المستقبل. ربّما تسامحني عندما أراها.

كان هذا الوميض من الأمل يغذّي أفكاره أيضًا.

حشد موتشيزوكي عزمه، وجلس على الكرسيّ الذي تركته المرأة ذات الفستان الأبيض شاغرًا.

وبمجرد جلوسه، شعر ببرودة خفيفة تغلِّف المساحة المحيطة بالكرسيّ، فمدّ يده لاستكشاف هذه الظاهرة، وشعر بحدودٍ للحرارة على بعد بضعة سنتيمترات فقط من أنامله.

ليس الكرسيّ نفسه هو البارد، بل إنّ درجة حرارة هذه المساحة مختلفة تمامًا.

انتاب موتشيزوكي شعور مُؤكَّد بأنّه يجلس في مكان خاصّ يتيح السّفر عبر الزّمن.

"آسفة على التأخير".

عادت كازو من المطبخ، حاملة صينيّة عليها فنجان قهوة أبيض ناصع وركوة فضّيّة. ما سيحدث بدءًا من هذه اللّحظة كان أمرًا لا يستطيع موتشيزوكي أن يتخيّله حتّى. استهلّت كازو شرحها وقد لاحظت تعابير الحيرة على وجهه.

"سأقدّم لك الآن فنجانًا من القهوة... وجهتك المقررة تقع بعدَ أربع سنوات في المستقبل، هل هذا صحيح؟".

"نعم". أكَّد لها موتشيزوكي ذلك، وهو يسترق نظرة سريعة إلى ناغاري الذي أومأ له برأسه.

"حسنًا. ستبدأ رحلتك إلى المستقبل بمجرّد أن أصبّ القهوة في هذا الفنجان..." ثمّ وضعت كازو أثناء حديثها فنجان قهوة ناصع البياض أمام موتشيزوكي، وتابعت قائلة: "وستستمرّ فقط حتّى تبرد القهوة تمامًا".

"حتى تبرد؟ أهذا هو الوقت الذي أملكه؟".

"نعم".

"فهمت...".

كان موتشيزوكي قد سمع أنّ ثمّة مهلة زمنيّة، لكنّها كانت أقصر ممّا تخيّل.

كان قد احتسى بضعة فناجين من القهوة أثناء انتظاره ذهاب المرأة ذات الفستان الأبيض إلى الحمّام. وقد لفت انتباهه شيء ما في القهوة الّتي تُقدَّم في هذا المقهى، فهي أكثر برودة قليلًا من تلك الّتي تقدّم في المقاهي الأخرى. وقد يكون الفنجان القادم مميّزًا من غيره، ويُقدَّم أكثر سخونة. أمّا إذا كان أكثر برودة قليلًا مثل الفناجين السّابقة، فإنّ الوقت الذي سيستغرقه ليبرد لا يمكن أن يتجاوز عشر دقائق. لا، بل ربّما سبع أو ثماني دقائق فقط، أو حتّى أقلّ. أزعجته هذه الفكرة. فنظرًا إلى ضيق الوقت، هل ستتسنّى له الفرصة للبوح ليوكو بما يختلج في قلبه حقًّا؟ يوكو الابنة الّتي لم يرَها منذ سنوات...

غضَّن القلق وجه موتشيزوكي وهو يقول: "حسنًا".

"عندما تصبح في المستقبل، تأكّد من شرب فنجان القهوة بالكامل قبل أن يبرد".

كم بقي بعد من هذه القواعد المملّة؟

شعر موتشيزوكي بشيء من الانزعاج وهو يتعرّف على قاعدة أخرى.

"ماذا لو لم أُنهِ القهوة؟" كانت نبرته مشوبة بانزعاج؛ وإن كان غير مقصود.

غير أنّ كازو لم تنزعج، بل أجابت بنبرة هادئة:

"إذا لم تنهِها، فستكون أنتَ من سيلازم هذا الكرسيّ".

"أنا؟".

"نعم".

لم يجد موتشيزوكي ما يقوله، فلزم الصّمت. كانت إجابة كازو المكوَّنة من جملة واحدة تحمل ثقلًا جعله عاجزًا عن الكلام. من الواضح أنّها لم تكن تمزح.

فكَّر موتشيزوكي في سرّه: آه، فهمت. بالطّبع، لا بدّ أن يشتمل السّفر عبر الزّمن على بعض المخاطر، فهذا منطقيّ نوعًا ما. في النّهاية، العجائب لا تخلو من المخاطر.

قال: "مفهوم".

بعد تأمّل تعبير وجهه، أدركت كازو أنّه لا حاجة إلى مزيد من التوضيح بشأن تلك القاعدة، وانتقلت لشرح عمليّة السّفر إلى المستقبل.

فقالت بنبرة حازمة: "ثمّة أمر واحد عليك أن تتذكّره".

"ما هو؟".

"لا يمكن تغيير أيّ حَقائق تكتشفها في المستقبل؛ مهما حاولتَ بعد عودتك. تلك هي القاعدة، وهي مطلقة".

فردَّ موتشيزوكي: "آه، حسنًا". على الرّغم من أنّه لم يستطع أن يفهم تمامًا الآثار المترتّبة على ما قيل له توًّا.

في ذهنه، كان الماضي محفورًا في الصّخر، ومن ثَمَّ لا يمكن تغييره. أمّا المستقبل، فلا يزال في حالة تغيّر؛ لذلك افترض أنّه لن تكون ثمّة

قيود لأفعاله عند انتقاله إلى المستقبل.

وتابعت قائلة: "على سبيل المثال، تخيّل أن تذهب إلى المستقبل وتكتشف أن سيّارتك ستُسرق في غضون أسبوع. على الرّغم من معرفتك بذلك، لا يمكنك فعل أيّ شيء لتغيير هذه الحقيقة".

"لماذا؟ إذا كنت أعلم أنّها ستُسرَق، فبإمكاني منع ذلك... آه!" في تلك اللّحظة، فهِم ما كانت تحاول قوله.

كان هذا صُلب - أو ربّما فخ - القاعدة الّتي تنص على أنّه مهما بذلت من محاولات لتغيير الأمور بعد السّفر عبر الزّمن، فإنّ الواقع يبقى على حاله.

حاول موتشيزوكي بعناية صياغة فهمه الجديد في كلمات.

"هل أنا محقّ في فهمي أن هذه القاعدة لا تتعلّق بما سيحدث، بل بما سأعرف أنّه سيحدث؟".

فأجابت كازو وهي تنظر إلى عينيه مباشرة: "بالضّبط".

عندئذٍ، نظّم موتشيزوكي بسرعة الأفكار الّتي تدور في رأسه.

على سبيل المثال، إذا سافر إلى المستقبل، واكتشف أن سيّارته ستُسرق، فبإمكانه اتّخاذ تدابير لمنع حدوث ذلك، كإخفاء السّيّارة، وتوظيف حارس، وما شابه ذلك... بعبارة أخرى، من شأن أفعاله الّتي أدّت إلى الحدث أن تتغيّر بسبب معرفته بما سيحدث في المستقبل. ومع ذلك، حتّى لو كان من الممكن أن تتغيّر أفعاله، فإنّ حقيقة سرقة السّيّارة لا يُمكِن تغييرها، مهما فعل.

"فهمت".

وعندما فهم موتشيزوكي جوهر هذه القاعدة، شعر برعشة في قلبه من خطر مصير بائس، مختوم بمستقبل لا يمكنه تغييره؛ مهما بذل من محاولات.

سألته كازو بهدوء، ويدها على الركوة الموضوعة على الصينيّة أمامها: "هل نبدأ؟".

بغضِّ النظر عما سيعرفه خلال رحلته إلى المستقبل، فإنّ هذه الحَقائق لن تتغيّر. وحتّى لو اكتشف أنّ ابنته يوكو غير سعيدة، فلن يستطيع فعل شيء لتخفيف معاناتها. لا، بل سيتعيّن عليه مواصلة حياته وهو يعلم بعجزه عن ذلك.

سألته كازو: "هل أنت مستعد؟" كانت هذه آخر فرصة لديه للانسحاب.

هل يتعيّن عليَّ فعل ذلك حقًّا؟ قد يحكم على نفسه بأربع سنوات من الألم النفسي.

ومع ذلك، اختارت يوكو - ابنتي الّتي ابتعدت عنّي منذ فترة طويلة - المجيء لرؤيتي. ولا بدّ أن يكون لديها سبب مقنع. إذا لم أذهب، فقد لا تحصل على فرصة أخرى لرؤيتي. لا داعي للتردُّد.

أخيرًا، اتّخذ موتشيزوكي قراره.

لذا، قال وهو ينظر إلى عينَي كازو الّتي كانت يدها لا تزال ثابتة على الركوة الفضّيّة: "ابدئي من فضلك".

"حسنًا، إذًا..." واستقامت كازو في وقفتها، ثمّ أخذت نفسًا وهمست: "قبل أن تبرد القهوة".

في تلك اللّحظة، ساد المقهى توتر ملموس. ببطء، رفعت كازو الركوة الفضّيّة عن الصّينية، وبدأت تسكب القهوة في الفنجان بأناقة. قامت بهذا العمل العادي بجمال راقصة باليه رشيقة.

آه...

تصاعد خيط بخار من الفنجان الذي امتلأ بالكامل. تبع موتشيزوكي صعود البخار بنظراته. وعلى الرّغم من أنّه كان متأكّدًا من أنّه يتتبّع البخار، فإنّ ناظرَيه بدآ يرتفعان بشكل لا يمكن تفسيره نحو السّقف. بدا المشهد من حوله كأنه يهبط من الأعلى إلى الأسفل، حتّى أصبح هو نفسه أثيريًّا.

آه!

مع تغيّر محيطه بشكل متسارع، بدأ وعيه يتبدّد. وفي خضم وعيه المتلاشي، وجد نفسه يتذكّر الوقت الذي التقى فيه زوجته للمرّة الأولى.



قالت كايوكو لموتشيزوكي عندما تقدّم لخطبتها: "لقد تركتُ أسوأ انطباع أوليّ".

وكانت تشير إلى مرحلة التّوجيه في الشّركة الّتي كانا يعملان فيها عندما كانت لا تزال تتعلّم أساسيّات المهنة. فقد أتى إليها موتشيزوكي قائلًا بفظاظة: "أيّتها الآنسة، إن لم يكن لديك عمل، فأخبرينا. هل تنوين الحصول على أجر بمجرّد الوقوف هناك؟".

"آه، أنا آسفة".

"إن لم يكن لديك عمل، فأخبرينا".

فكَّرت كايوكو في ذلك الوقت، ثمّ قالت: "كنت خائفة منك... فقد أنهيتُ كلّ العمل الموكل إليَّ، وأردت أن أسأل عن سبب تعرُّضي للتوبيخ. غير أنّني لم أجرؤ على التحدّث؛ ظنًّا منّي أن ذلك لن يؤدي إلَّا إلى استفزازك أكثر. في تلك اللّحظة، شعرتُ باليأس وأنا أفكّر في أنّني سأضطرّ إلى العمل لدى مدير مثلك لبقيّة حياتي. وما كنت لأتصوّر أنّك ستعرض عليَّ الزّواج في نهاية المطاف".

أمام ضحكة كايوكو، أبدى موتشيزوكي شيئًا من الانزعاج. فهو لم يكن ينوي إخافتها على الإطلاق، بل على العكس تمامًا، أُعجِب بمدى اجتهادها في اتّباع تعليماته.

"أيّتها الآنسة".

أيّتها الآنسة، أيًّا يكون اسمك.

"إن لم يكن لديكِ عمل، فأخبرينا".

هل أنهيتِ عملك حقًّا؟!

"هل تنوين الحصول على أجر بمجرد الوقوف هناك؟".

إذا كان لديك مُتَّسع من الوقت، فهلّا تساعدينني في عملي.

في الحقيقة، كانت الكلمات الّتي قالها موتشيزوكي لكايوكو بعيدة كلَّ البعد عمَّا أراد قوله بالفعل.

مع ذلك، وبغضّ النظر عمّا كان يدور في رأس موتشيزوكي، فإنّ التعرّض للإهانة لم يكن سهلًا على الإطلاق. سابقًا، تعرَّض الوافدون

الجدد - بالطّريقة نفسها - إلى سوء سلوك موتشيزوكي. وفي حين تجنّبه بعضهم، قرَّر آخرون المغادرة. فبالنّسبة إلى الموظفين الجدد الّذين دخلوا سوق العمل للتوّ، غالبًا ما ضاع المقصد الحقيقيّ الكامن وراء كلام موتشيزوكي.

ففي أعينهم غير المُتمرِّسة، ربّما بدا موتشيزوكي وكأنّه رئيس غير منطقيّ. لكن في الواقع، كان شعوره بالمسؤولية لا مثيل له، وكان طيِّب القلب حقًّا. لذلك، فإن أولئك الّذين عرفوه حقًّا قدَّروه كثيرًا.

كانت المشكلة تكمن في انتقائه غير الدبلوماسي للكلمات. لذا، لم يكن من السّهل تخمين نواياه الحقيقية خلال الأحاديث القصيرة معه.

ومع ذلك، لم تهرب كايوكو. فعلى الرّغم من خوفها، إلّا أنّها واجهت موتشيزوكي بشجاعة. واحترم موتشيزوكي هو أيضًا الطّريقة الّتي تعاملت بها كايوكو مع عملها. وبمرور الوقت، تحوَّل هذا الاحترام إلى عاطفة.

بالنسبة إلى كايوكو أيضًا، تغيّرت نظرتها إلى موتشيزوكي الّذي قد يكون سيّئًا في انتقاء كلامه لكنّه شخص لطيف حقًّا وجدير بالثّقة.

فكَّرت كايوكو قبل قبول عرض الزّواج من موتشيزوكي: "لو أنّني تلقّيت هذا العرض منذ البداية، لرفضته بشكل قاطع".

وبعد ثلاث سنوات من ذلك، وُلِدت يوكو.



"يوكو".

تسارعت دقّات قلب يوكو لدى سماعها اسمها. وكما كان متوَقّعًا، كان والدها موتشيزوكي يشغل كرسيّ السّفر عبر الزّمن. في ليلة الجنازة، ذكرت كايوكو أنّه "كان عائدًا إلى المنزل".

إذًا، عاد أبي إلى هذا المقهى في ذلك اليوم.

كان موتشيزوكي - الرّجل الذي تجنّبت مقابلته حتّى ولو مرّة واحدة منذ هربها - أمام عينيها الآن.

"ماما؟".

أعادها صوت ابنها ميتسورو إلى وعيها، ولاحظت أنّ نظر موتشيزوكي تعلّق بميتسورو هو الآخر.

أهو ابنك؟

كان أبوها يحملق بعينيه من شدَّة الدّهشة. وفي الحقيقة، من الطبيعيّ أن يُفاجَأ؛ فقد وجد نفسه فجأة وجهًا لوجه أمام حفيده البالغ من العمر ستّ سنوات.

"نعم، هذا ميتسورو".

"أنا أرى".

صحيح أنّ موتشيزوكي لم ينطق بالكلمات، إلّا أن شفتيه تحركتا بخفّة كأنّه ينطق بصمت باسم ميتسورو. وبينما كان يحدِّق إلى حفيده، أصبحت عيناه أكثر لطفًا.

"إنّه اسم جميل، أليس كذلك؟" شعرت بصوتها يرتجف وهي تتحدّث.

"نعم".

أنا سعيدة لأنّني تمكّنت من تقديم ابني له.

فعندما علمت يوكو بوفاة موتشيزوكي، شعرت بالنّدم لسببين؛ أوّلًا: قرارها بالهرب، وثانيًا: عدم تعريف ابنها إليه.

فقد ظلّت على اتّصال بكايوكو، حتّى إنّها رتّبت لها زيارات عرضيّة، فأصبح ميتسورو يناديها جدّتي، وكانت العلاقة بينهما دافئة.

مع أنّ أمّي لم تقل ذلك قطّ، لكنّني أعلم أنّها تتمنّى أن نتصالح، أنا وأبي.

أدركت يوكو أن عنادها حال دون ذلك، لا سيّما أنّه لم يخطر ببالها يومًا أن والدها سيموت قريبًا.

كان ميتسورو يجول بعينيه المستديرتين على وجه جدّه وهو يتفحّصه، فحثّته يوكو قائلة: "قل مرحبًا".

أطاع ميتسورو أمر والدته، فحدَّق إلى وجه موتشيزوكي الصّارم وقال بصوت خافت: "مرحبًا".

عندها، بدا وجه موتشيزوكي كأنّه أصبح أكثر قسوة؛ ربّما بسبب اضطرابه العاطفيّ الشّديد. فتذكّرت يوكو جميع الأوقات الّتي شعرت فيها بالحيرة، وحتّى بالنّفور من هذا التّعبير تحديدًا.

لكنّ أبي لم يعُد جزءًا من حياتي.

عندما أدركت أنَّها لن تراه مرّة أخرى، تزاحمت الدّموع في عينيها. فعلى الرّغم من شجاراتهما وخلافاتهما، إلّا أنّ الأب يبقى أبًا بالنّسبة إليها.

لذا قالت بكلّ الشجاعة الّتي استطاعت حشدها: "أبي".

إذا لم أخبره عن حالي الآن، فسأندم على ذلك. كان أبي محقًّا في معارضة قراري، وكان يجدر بي الإصغاء إليه. لم يعُد لديَّ مكان أذهب إليه الآن. يجب أن أعتذر عن قراري بالرحيل. سأخبره أنّني آسفة، وما لم يسامحني، فلا يحقّ لي العودة إلى المنزل.

"أبي، في الواقع...".

لكن عندما حانت اللّحظة المناسبة لقول تلك الكلمات، خذلها صوتها. وعلى الرّغم من أنّ والدها المتوفّى يجلس أمامها مباشرة، إلّا أنّها لم تستطع النّظر إلى عينيه.

"هل أنتِ سعيدة؟".

"ماذا؟".

نظرت يوكو إلى مصدر صوت موتشيزوكي الخافت. كان قد حوَّل نظره عنها، وراح يحدِّق إلى الفنجان الأبيض النّاصع. وللحظة لم تعُد واثقة حتّى من أنّه هو الذي تحدّث.

هل صحيح ما سمعته؟

كانت يوكو لا تزال غير متأكدة تمامًا ممَّا إذا كان الصّوت الذي سمعته صوت والدها بالفعل، فأجابت بتردُّد: "آه، نعم".

لماذا أكذب؟ أنا لست سعيدة على الإطلاق حاليًّا. فقد تطلّقتُ ووقعت في فخّ زوج مُخادِع، وليس لديّ مالٌ ولا مكان أعيش فيه!

لكنَّها لم تقل ذلك.

"حسنًا". نطق موتشيزوكي بتلك الكلمة بلا عاطفة، وكأنَّه يُطلِق تنهيدة. ربّما لم يُفرِحه سماع ابنته الّتي عارض زواجها تزعم أنَّها سعيدة.

لكنَّ الواقع كان مختلفًا.

فتمامًا كما خشي موتشيزوكي، كانت يوكو غارقة في التعاسة في هذه المرحلة من حياتها.

كم دقيقة مرَّت منذ ظهور أبي؟ أدقيقتان أم ثلاث؟ لا أثق في تقديري؛ أفترض أنّها خمس دقائق على الأقل. عندما عدت إلى الماضي في وقت سابق ولمستُ الفنجان، أدركتُ كم برد بسرعة؛ حتّى إنّه قد لا يستغرق عشر دقائق حتّى يبرد.

نظرت إلى والدها.

"أبي، في الواقع...".

"كنتُ مخطئًا يا يوكو".

مجدَّدًا، شكّت يوكو في سمعها. لكن لا، هذا ما كان موتشيزوكي يقوله بلا شكّ.

"وقد ندمت على ذلك طويلًا".

"آه، أبي...".

قال موتشيزوكي وهو يُحني رأسه بعمق: "أنا آسف".

"أبي، لا". ربّما كان صوت يوكو خافتًا للغاية؛ إذ إن والدها ظلّ منحنيًا. "من فضلك، ارفع رأسك".

لم يكن أبي مخطئًا حيال أيّ شيء، بل أنا المخطئة. وإن كان ثمّة من عليه أن يعتذر، فهي أنا.

"كما ترى، في الواقع...".

فرفع موتشيزوكي رأسه، وراح يُنقِّل نظره حوله بعصبية. ألقى نظرة

على فنجان قهوته، ورفَّ جفناه عدّة مرّات. ومع أنّه بدا كأنّه لمح يوكو من زاوية عينه، لكنّه لم يستطع أن يحمل نفسه على النّظر إليها مباشرة.

"لديَّ ما أريد أن أخرجه من صدري يا أبي".

عندما كانت يوكو تتحدَّث، كانت أفكارها في فوضى عارمة.

لم أتصوَّر يومًا أنّ أبي يعيش حالة من النّدم، فأمّي لم تذكر أيّ شيء من هذا القبيل أيضًا. لذلك ظننتُ أنَّه توفِّي من دون أن يسامحني قطّ.

"لذ، اممم...".

علِق الكلام في حنجرتها مجدّدًا، وشعرت أنّ الغرفة تجمّدت. في هذا الوقت، كانت القهوة تبرد.

"جدّي". همس ميتسورو فجأة وهو يمسك بركبة موتشيزوكي، ففوجئ موتشيزوكي، واتّسعت عيناه دهشة. هل قال جدّي؟ وهل يعرفني؟

"لقد أرته أمّي صورتك على هاتفها، وقالت له: إنّه جدّك".

في الحقيقة، لم أحبّ فكرة تعليمه أن ينادي الرّجل في الصّورة "جدّي"، لكنّني لم أمتلك الشّجاعة لأطلب من أمّي عدم فعل ذلك.

غير أنّ نظرة يوكو إلى الأمور اختلفت الآن. فهي لم تتخيّل قطّ أن تعيش لحظة كهذه.

"بما أنّنا معًا أخيرًا، ماذا لو تعانق جدّك؟" قالت يوكو ذلك وهي ترفع ميتسورو وتضعه في حضن موتشيزوكي.

جلس ميتسورو في حضن جدّه من دون احتجاج؛ فقد كان دائمًا طفلًا منفتحًا. رفع رأسه منتظرًا ردّ فعل موتشيزوكي.

"إنّه حفيدك الأوّل".

(هذه هي الفرصة الأخيرة الّتي سيحظى بها أبي لاحتضانه).

كافحت يوكو دموعها الّتي هدّدت بالانهمار، فيما تجمّد موتشيزوكي للحظة قبل أن يحتضن يد ميتسورو بيده ويهمس: "حفيدي الأوّل".

استرخى وجه موتشيزوكي، وتسبَّب هذا المشهد في تجمّع المزيد من الدّموع في عينَي يوكو. غير أنّها لم تستطع أن تسمح لها بالانسكاب. وبينما كانت تنظر إلى السّقف لتستعيد رباطة جأشها، كسر موتشيزوكي الصّمت.

"لو منعتك من الزّواج، لما كان هذا الصّغير هنا. لقد كنت مخطئًا، أنا آسف".

لكن فيما كان يحني رأسه، قال لنفسه: حمدًا لله.

بحسب إحدى قواعد هذا المقهى الفريد، لا يمكن تغيير الواقع عند السّفر إلى المستقبل مهما حاولتَ. فبمجرّد أن تعرف شيئًا، يصبح هذا الأمر ثابتًا. هذا يعني أن موتشيزوكي عرف الآن أنّ لديه حفيدًا، وما من شيء سيغيِّر هذه الحقيقة.

كم هذا رائع! أنا أشعر بامتنان كبير. فعندما أعود إلى حاضري الآن، سأتمكّن من مواصلة حياتي وأنا أعلم بأنّ ابنتي سعيدة، وحفيدي موجود.

وشكر موتشيزوكي بصمت قواعد هذا المقهى الخارق.

"أبي...".

عندما رأت يوكو والدها ينحني، أشاحت بنظرها بسرعة. فقد انهمرت الدّموع من عينيها، ولم تستطع منع نفسها من الارتجاف وهي تبكي.

لماذا لم أعد إلى المنزل عندما كان أبي لا يزال حيًّا؟ لِمَ لَمْ أفهم أمرًا بهذه الأهمّية إلّا بعد فوات الأوان على رؤية أبي من جديد؟ كم أنا ابنة أنانية... كم كنتُ ابنة عاقّة.

كانت مشاعرها عبارة عن شبكة معقَّدة من النّدم ولَوْم الذّات.

ومن خلفها، سمعت صوت ابنها يسأل.

"جدّي، ما الخطب يا جدّي؟".

لم يكن عليها أن تنظر لتعرف ما يجري، فقد كان والدها يبكي هو الآخر.

لا ينبغي أن يكون لقاء أبي المتوفّى ممكنًا. وإذا ضيّعتُ هذه الفرصة، فلن أراه مجدّدًا. إذًا، أما من شيء أكثر أهمّيّة أقوله الآن، بخلاف الاعتذار أو التحدّث عن واقع حياتي؟

ألقت يوكو نظرة على فنجان القهوة الأبيض الناصع الموضوع أمام موتشيزوكي. فجأة، بدا لها أن دقّات ساعة الحائط أصبحت عالية إلى حدٍّ لا يطاق. كانت قد وقفت قبل أن تتاح الفرصة لقهوتها أن تبرد تمامًا عندما سافرت عبر الزّمن، لكن سبق وانقضت سبع أو ثماني دقائق منذ ظهور موتشيزوكي. وكلّما مرَّ الوقت أصبحت قهوته الّتي لم يلمسها بعد أكثر برودة. فما من شيء يمكن أن يحول دون ذلك. كان الوقت ينفد، ولحظة فراقها عن أبيها تقترب.

"آه، نعم، أعرف ما أريد قوله".

مسحت يوكو دموعها، ثمّ التفتت إلى موتشيزوكي الذي كان يمسح عينيه بسرعة هو الآخر.

"كان لديَّ شيء مهم أودّ قوله لك يا أبي".

فردَّ موتشيزوكي: "هممم؟" وأبقى نظره منخفضًا كأنّه يتحدّث إلى حفيده.

"لم تتح لي الفرصة قطّ لأقول ذلك؛ لأنّني هربت، أتذكر؟".

"تقولين ماذا؟".

"أنت تعرف، تلك الأمور التّقليديّة الّتي تقولها الفتيات لآبائهن في ليلة زفافهنّ...".

وقبل أن تتمكَّن من إنهاء جملتها، بدا موتشيزوكي كأنّه يختنق، وأخذ جسده يرتجف.

"لا تكوني سخيفة، لماذا تفتحين هذا الموضوع الآن؟" أفزع صوت موتشيزوكي العالي حفيده.

مع ذلك، لم تتراجع يوكو.

"دعني أقُله".

"لا، توقَّفي".

فتوسَّلت إليه يوكو: "دعني أقُله من فضلك، إنّها فرصتي الوحيدة". فلن تتاح لي الفرصة للتحدّث إليك مُجدَّدًا.

من جديد، امتلأت عينا يوكو بالدّموع. التقى نظر موتشيزوكي بنظرها لفترة وجيزة، قبل أن يُشيح عنها وجهه بعيدًا. ومن دون أن يقول

شيئًا، أنزل ميتسورو بلطف عن حضنه، فألقى ميتسورو نظرة تساؤل سريعة على جدّه، قبل أن يندفع عائدًا إلى أمّه. بينما قطّب موتشيزوكي حاجبيه - كما لو كان يركّز - ثمّ أدار أذنه نحوها.

حسنًا، سأصغي.

ظنّت يوكو أن إشارة موتشيزوكي الصّامتة موافقة، فأومأت برأسها قليلًا.

"أبي، أعلم أنَّني كنت صعبة المراس، وأنا آسفة حقًّا، ولكنّني على طريق السّعادة. يمكنك أن تكُف عن القلق بشأني الآن".

ثمّ اقتربت خطوة من موتشيزوكي، والتقت نظراتها الدّامعة بنظراته وهي تضيف بصوت خافت: "شكرًا لك على رعايتي حتّى الآن. لقد كان شرفًا لي أن أكون ابنتك". وأومأت له برأسها باحترام.

ردًّا على كلامها، تمتم موتشيزوكي ببساطة: "فتاة سخيفة".

لم تتذكَّر يوكو الكثير ممّا حدث بعد ذلك.

أذكر أنّ النّادلة نادت أبي، فارتشف قهوته، وعاد إلى الماضي. وبينما كان ميتسورو يربّت على رأسي، ركعتُ على ركبتَيَّ أبكي طويلًا.

أخيرًا، عادت يوكو إلى البيت. ومرَّة أخرى، عبَّرت عن احترامها أمام الصّورة التّذكاريّة لموتشيزوكي، ووعدَته قائلة: "سأكون سعيدة".



في ذلك اليوم قبل أربع سنوات، بعد أن عاد موتشيزوكي إلى المنزل من المقهى، أخرج ألبوم الصّور العائليّة الذي يحتوي على صور يوكو. لم يكن قد أخبر كايوكو أيّ شيء، حتّى عندما سألته عمّا حدث. مع ذلك، اعتقدت أنّه التقى يوكو على الأرجح.

لا، ليس على الأرجح، بل التقاها بالتّأكيد. وقد عرفت ذلك لدى رؤيتها زوجها يبتسم بفرح واضح وهو ينظر إلى صور ابنته؛ وهو أمر لم يحدث منذ مدة طويلة.

نادت كايوكو زوجها المستغرق في تأمّل الصّور من المطبخ المجاور قائلةً: "عزيزي، لقد حضّرت الأوموريس على العشاء اللّيلة".

"أوموريس؟" توقّف موتشيزوكي عن تصفّح الألبوم، وحدَّق إلى الصّورة الّتي بين يديه مضيفًا: "حسنًا، أنا قادم".

في الصّور، كانت يوكو تبتسم هي أيضًا.

4

يوم الحبّ

"ليتني كنتُ أملك قوًى خارقة".

من منّا لم يحلم بذلك؟

القوى الخارقة للطّبيعة متعدّدة الأشكال. منها على سبيل المثال لا الحصر: التخاطر، والإدراك الحسّي الفائق أو الحاسّة السّادسة، والتحريك الذّهني، والتّصوير الذّهني، والعلاج الرّوحي... في أواخر الثمانينيّات، كانت البرامج التلفزيونيّة في اليابان مهووسة بمثل هذه القوى. ففي أيّ ليلة من ليالي الأسبوع، كان الصّغار والكبار على حدّ سواء يجتمعون لمتابعة برنامج يعرض خدعًا بصريّة يقوم بها شخص يُزعَم أنَّه يتمتّع بقدرة لا يمكن تفسيرها، مثل ثني الملاعق أو تحريك الأشياء من دون لمسها.

وكان أكثرهم شعبية هم أولئك الّذين يزعمون أنّهم قادرون على الرّؤية من خلال الأشياء؛ مثل: الأنماط المخفيّة على البطاقات، أو محتويات المظاريف أو الصّناديق، أو في بعض الحالات، معرفة ماضي الشّخص أو أسراره بمجرّد النّظر إليه. غير أنّ العديد من البرامج كشفت

حقيقة أشخاص مخادعين. فقد اتُّهموا بوجود معاونين لهم، وكان ثني الملاعق نتيجة استهلاك المعدن، أو الاعتماد على بعض المبادئ الفيزيائيّة الأخرى. كما نُظِّمت مواجهات بين أشخاص يعرضون قدراتهم، وآخرين يحاولون دحضها.

يعيش الجميع لحظات يعجزون فيها عن التّعبير عن مشاعرهم. لكن، ماذا لو كان بالإمكان حقًّا قراءة أفكار الآخرين؟ عندها، سيصبح الخوف من الرّفض شيئًا من الماضي. إذ تتمثّل أكبر عقبة أمام الاعتراف بالمشاعر في عدم معرفة حقيقة مشاعر الشّخص الآخر؛ الأمر الذي يتطلّب قوّة خارقة من نوع ما. والمشاعر متقلّبة، فهي تتغيّر يوميًّا. وإذا كان توقيت الاعتراف غير مناسب ولو قليلًا، فقد تفوت الفرصة.

هذه قصّة فرصة ضائعة، عن فتاة لم تستطع التغلّب على خجلها للتّعبير عن مشاعرها.



لم أتمكّن من ذلك...

أطلقت تسوموغي إيتو تنهيدة عميقة وهي تنظر من نافذة فصلها الدّراسي في الطّابق الثاني إلى هاياتو ناناسي، الذي كان يسير عائدًا إلى المنزل من المدرسة. كانت تحمل في يدها علبةً مزيّنة بشريط جميل.

"هل خِفت؟ لقد فاتتك فرصتك السّنويّة، كما أرى..." وقفت آيامي ماتسوبارا خلفها، وكانت تعرف بالضّبط إلى مَنْ تنظر تسوموغي. كانت آيامي ذات عينين كبيرتين ورموش طويلة وملتفّة. وعلى عكس

تسوموغي الّتي كانت سمراء على الدّوام، فقد حافظت على بشرة خزفيّة شفّافة؛ على الرّغم من مشاركتها في أنشطة نادي السّباحة في الهواء الطّلق، مثل تسوموغي.

"آيامي، لا داعي لصبّ الزّيت على النّار".

كان النّدم واضحًا في تعبير تسوموغي.

كان ذلك في الرّابع عشر من فبراير، في يوم الحبّ. ففي اليابان، كان هذا هو اليومَ الوحيد في العام الذي تعبّر فيه النّساء عن مشاعرهنّ للرّجال بهديّة من الشّوكولاتة. فيردّ متلقّي الهديّة الجميلَ بعد شهر واحد، في اليوم الأبيض.

يعود تقليد يوم الحبّ إلى القرن الثّالث في روما. إذ كان الإمبراطور قد منع جنوده من الزّواج لاعتقاده أنّهم يفضّلون أن يهجروا الخدمة العسكريّة على ترك حبيباتهم. عندها شعر كاهن طيّب القلب يُدعَى فالنتين بالتّعاطف معهم، وراح يُجرِي مراسم زفافهم سرًّا. وعندما علم الإمبراطور بذلك ثار غضبًا، وحذّر فالنتاين، لكنَّ الكاهن المناصر للحبّ قاومه، وكلّفه هذا التحدّي حياته. ومع مرور الزّمن، كرّم النّاس شجاعة فالنتاين، وأطلقوا على يوم إعدامه اسم "يوم القدّيس فالنتين".

علاوة على ذلك، وفقًا للتّقويم القمريّ القديم، كان الرّابع عشر من فبراير يمثّل بداية الرّبيع، وهو الموسم الذي تختار فيه الطّيور شريكاتها. لذلك، ثمّة نظريّة تشير إلى أنّه أصبح يومًا للاعتراف بالحبّ، وأصبح يُعرَف في النّهاية باسم يوم العشّاق، وفيه تُقَدَّم عروض الزّواج أو الهدايا.

"ويحكِ، لا تسكبي الدّمع يا ذاتَ الوجهِ البهيّ، أتُعكّرين الحُسنَ بالدموع؟".

"دعكِ منّي، لا تُطيّبي جُرحَ فؤادي بحديثٍ معسول".

"أتزعمينَ أنّني أُسدي إليكِ شيئًا سوى العزاءِ؟! امسحي دمعكِ بهذا إذًا، فهو خيرٌ من مواساتي الفارغة".

وناولتْها آيامي منديلًا أزرق فاتح اللّون.

"شكرًا جزيلًا".

كانت أحاديثهما دائمًا على هذا النّحو، مليئة بالتّعابير الّتي تسمعانها في الدراما اليابانيّة التاريخيّة.

"كم أنت مثيرة للشَّفقة. تُكنِّين له مشاعر دافئة، وتأبَين مع ذلك تقديم الهديّة".

"أرجوك، كُفّي عن هذه التعليقات، فهي لا تجلب سوى مزيد من الدّموع".

تنهّدت تسوموغي سرًّا. ليتني كنتُ بجمالك يا آيامي.

يقع الإنسان في حبّ شخص ما مرّة واحدة على الأقلّ في حياته، ويشعر بتلك العاطفة الّتي تسمّى الحبّ. ومن شأن الإعجاب الأوّل - خلال فترة المراهقة تحديدًا - أن يكون نقيًّا للغاية، وعابرًا في آن واحد. وعند النّظر إلى الوراء، قد لا يفهم المرء تمامًا السّبب الذي دفعه إلى الوقوع في حبّ ذاك الشّخص.

إذًا، لماذا نقع في الحبّ؟

ثمّة نظرية مفادها أنّ الحبّ مبرمج في حمضنا النوويّ لضمان استمرار نوعنا. غير أنّ الحبّ عاطفةٌ أكثر تعقيدًا، ولا يمكن تفسيرها بهذه النّظريّة فحسب. فعلى سبيل المثال، لم يكن العذاب الذي تحمّلته

تسوموغي بسبب عدم قدرتها على التّعبير عن مشاعرها لمن أحبّت ضروريًّا بشكل خاصّ من وجهة نظر إنتاج الذريّة. ولو ادّعى أحدهم قائلًا إنّ الهدف من ذلك هو "الحؤول دون الانفجار السّكّاني"، فإنّ هذا القول أيضًا من شأنه أن يبسِّطِ العاطفة، ويجرّدَها من سحرها.

في الواقع، ليس من الخطأ التّعبير عن المشاعر بصدق. فمن النّادر أن يشعر شخص ما بالإهانة عندما يُقال له إنّه محبوب، لا بل على العكس، إنّها نعمة. إذًا، لماذا يصعب اتّخاذ هذه الخطوة؟ ينبغي أن يكون قول "أنا معجب بك" أمرًا بسيطًا، ولكن - على ما يبدو - ثمّة جدارٌ منيع حول قلب كلّ إنسان، وهو ليس حاجزًا ماديًّا، بل عاطفيًّا. وعندما نتفاعل بعضنا بعضًا، فإنّنا نكبِت عواطفنا لأنّنا لا نعرف ما يوجد على الجانب الآخر من الجدار.

فبصفتنا بشرًا، إنّ الخوف من المجهول مُتجذِّر فينا، وهذا ما يتسبَّب في تعثّر كثيرين. لكن، ما الذي يقع حقًّا وراء ذاك الجدار؟ إنَّها العواطف، المشاعر الخفيّة وغير المرئيّة للآخر؛ والّتي قد تكون متبادلة أو لا تكون. ولو استطاع النّاس إلقاء نظرة خاطفة على ما يقع وراء حصون كلٍّ منهم، وفهم مشاعرهم، فلربّما أقدموا حينها على هدم جدرانهم. ففي الأساس، الخوف من الرّفض هو الذي يبني الجدار، وتحطُّم القلب لا يزيده إلّا ارتفاعًا.

كانت تسوموغي تحمل في قلبها ذكرى مؤلمة. فقد اعترفت بمشاعرها لشابّ في الإعداديّة (لم يكن هاياتو)، لكنّه أجابها: "أنا آسف يا تسوموغي، لكنّني في الواقع معجب بآيامي".

كان زميلَها في الفصل، ومن بين الطّلاب الذكور، كان صديقَها المقرّب. حتّى إنّ زملاءهما سخروا منهما قائلين: "لماذا لا تخرجان معًا؟" وكانت تسوموغي ترتاح لهذه الفكرة، غير أنّه لم ينظر إليها يومًا بعين الحبّ.

حينها، أخبرت آيامي بما حدث، لكنّها لم تستطع أن تحمل نفسها على إخبارها بالسّبب.

يومذاك، تنهّدت آيامي بإحباط وردّت قائلة: "أيّ أحمق يرفض تسوموغي؟".

كان شبح تلك الذّكرى المؤلمة هو الذي منع تسوموغي من إعطاء هاياتو ناناسي الشّوكولاتة في يوم الحبّ الأخير لهما في الثّانوية.

إذا أخبرني هاياتو بالشّيء نفسه مجدّدًا، فقد لا أتمكن من تجاوز الأمر.

في النّهاية، لم تصل الشّوكولاتة الّتي أعدّتها إليه، بل انتهى بها الأمر هديّة لوالدها.



"هل تحبّين القلاع؟".

لا تزال تسوموغي تتذكّر الكلمات الأولى الّتي قالتها لها آيامي.

كانت آيامي طالبة جديدة في المدرسة، وقد انتقلت إليها قبل العطلة الصّيفيّة مباشرة، في السّنة الأولى من المرحلة الإعداديّة. في ذلك اليوم، خلال الاستراحة، كانت تسوموغي مستغرقة في قراءة دليل القلعة الذي

تمكّنت أخيرًا من الحصول عليه. وعندما أتاها صوت آيامي من خلفها بشكل مفاجئ، أُخِذت على حين غرّة.

فكذبت مجيبة من دون تفكير: "آه، أنا لست مهتمّة بها كثيرًا...".

كانت آيامي فتاة رائعة الجمال. وبحسب الشّائعات، طلب عشرة فتيان الخروج معها في يومها الأوّل في المدرسة. وعندما اقتربت من تسوموغي فتاة بهذا الجمال - كأنّها خرجت من إحدى قصص المانجا - وجدت نفسها عاجزة عن الكلام.

لفهم شعورها بشكل صحيح، تخيّل التّالي: فتاة من خلفيّة عاديّة، تخرّج للتنزّه في حيّها. وبما أنّها لم تكن تخطّط للذّهاب بعيدًا، فإنّها لم تكلّف نفسها عناء تغيير قميصها القطنيّ الرّماديّ العاديّ الذي ترتديه فوق سروال رياضيّ باللّون نفسه وصندل. فجأةً تتوقّف سيّارة بورش أنيقة بجانبها، وتترجّل منها نجمة هوليووديّة ساحرة. يبدو الأمر سرياليًّا، لا سيّما عندما تُعلِّق النجمة قائلةً: "يا له من صندل جميل!".

كان المشهد سيبدو أكثر واقعيّة لو أنّها سخرت منها قائلةً: "يبدو مظهرك باهتًا للغاية". لكن لا، إنّها تُبدِي إعجابها بالصّندل. فكيف تجيب الفتاةُ نجمةً هوليووديّة مثلها؟ "إنّه مريح للغاية، هل ترغبين في تجربته؟"؛ من المستحيل تصوّر ذلك.

كذلك، إذا قالت للنّجمة: "أنا واثقة من أنّه سيبدو رائعًا بقدميك"، فكم سيبدو جوابها جريئًا؟

في الأساس، انبهرت تسوموغي بجمال آيامي المتألِّق الذي يبدو كأنّه من عالم آخر.

مع ذلك، همست آيامي نفسُها في أذنها قائلةً: "أنا مولعة حقًّا بقلعة تاكيدا".

"هاه!" كان هذا الحدّ الذي استطاعت تسوموغي بلوغه في ردها.

"قلعة تاكيدا. أنتِ تعرفينها، أليس كذلك؟".

قفز قلب تسوموغي لدى سماعها ذلك.

"القلعة العائمة في السّماء!".

لم تكن تتحدّث عن القلعة في فيلم الرّسوم المتحركة لابوتا الذي أنتجه استوديو غيبلي. تُعرَف قلعة تاكيدا - الّتي بُنِيت على قمّة جبل يبلغ ارتفاعه نحو 350 مترًا في محافظة هيوغو - أيضًا باسم قلعة النّمر الرّابض؛ لأنّ الجبل بأكمله يشبه النّمر الرّابض. وفي الوقت الحاضر، غالبًا ما يتراكم الضّباب الكثيف في هذه المنطقة في صباح أيّام الخريف الصّافية، فيحيط بأطلال قلعة تاكيدا، ويجعلها تبدو وكأنّها تطفو على بحر من السّحب. وبسبب هذا المنظر الرّائع، أصبحت أطلالها تُسمّى "القلعة العائمة في السّماء".

لذا فيما قد تتبادر قلعة لابوتا إلى أذهان معظم النّاس عند ذكر القلعة العائمة في السّماء، لكنّ تسوموغي - المهووسة بالقلاع - افترضت أنّ المقصود هو قلعة تاكيدا.

"عندما بُنِيت القلعة في البداية، كانت محاطة بجدار ترابيّ لتحصينها. لكن في وقت لاحق، حُوِّل هذا الجدار الخارجيّ إلى جدار حجريّ. حدث ذلك في عهد أكاماتسو هيروهيد، أليس كذلك؟ فقد قام هيروهيد بعمل رائع حقًّا، ألا توافقينني الرّأي؟".

فرحت تسوموغي بمعلومات آيامي.

"أنا، آه... أحبّ قلعة كوماموتو حَقًّا".

"تلك بناها الدايميو كاتو كيوماسا، أليس كذلك؟ هل أنتِ من محبّي كيوماسا؟".

"لا، لكنّني أحبّ شكل القلعة. وأكثر ما أحبّه فيها الأسوار الحجريّة. فعندما أنظر إلى البنية المائلة للحجر، وأفكّر في أنّ كيوماسا استقدم خصوصًا حجّاري الأنوشو من مقاطعة أومي، تنتابني القشعريرة. فمن يمكنه أن يتفوَّق على ذلك؟".

"إنّها مزوّدة في أعلاها بمسامير لمنع دخول المتطفّلين، أليس كذلك؟ أوه، أنت أوّل فتاة أقابلها تصاب بالقشعريرة عند الحديث عن الأسوار الحجريّة".

"أحبّ أيضًا الأسطح الهرميّة لقلعة كوماموتو".

"أنا أيضًا أحبّ أسطح القلعة! وأسطح قلعة هيميجي هي المفضّلة لديّ".

"آه، أوافقك الرّأي، فأسطح قلعة هيميجي جميلة جدًّا. لكنّني أفضّل مع ذلك أسطح قلعة كوماموتو".

شعرت تسوموغي بالحماسة؛ إذ لم يسبق لها أن قابلت شخصًا يشاركها حبّها للتّاريخ والقلاع. شعرت وكأنّها ترى نجمة هوليووديّة تنتعل صندلًا يشبه صندلها. وهكذا نشأ بينهما رابط فوريّ. ومنذ ذلك اليوم فصاعدًا، أصبحت آيامي صديقة تسوموغي المقرَّبة.

بعد المدرسة الإعداديّة، التحقت تسوموغي وآيامي بالثّانوية نفسها. وصدف أن كانتا دائمًا في الفصل نفسه. اعتقدت آيامي أنّه القدر،

في حين ظنّت تسوموغي أنّه مجرّد حظّ.

كانتا في الثّانوية عندما بدأتا تتحدّثان إحداهما مع الأخرى على طريقة السّاموراي. فذات يوم، نسيت تسوموغي إحضار غدائها، وكانت في حيرة من أمرها. عندما عرفت آيامي بذلك، تنهّدت وقالت: "إذًا، سنتقاسم طعامي". وشاركتها غداءها.

فانحنت تسوموغي بشكر وقالت: "لا يُخفى جودُكِ، ولا يُنسى جميلُكِ".

كانت تلك هي الشّرارةَ الّتي أشعلت شغفهما بالتحدّث مثل السّاموراي إحداهما مع الأخرى. وكم من مرّات ضحكتا فيها من قلبيهما في إحدى زوايا الفصل الدراسيّ. ومع أنّ تسوموغي لا تتذكّر ما الذي كان يضحكهما بهذا الشّكل، إلّا أنّها اعتزّت بذكرى مشاركتها الضّحك على شيء تافه مع صديقة. اثنتان من هواة التّاريخ وعاشقات القلاع تتشاركان عالمهما الفريد بلغة السّاموراي.



مضى يوم الحبّ، ولم يلبث أن حان حفل التخرّج. زارت الفتاتان - اللّتان قرّرتا الالتحاق بالجامعة نفسها - مقهى فونيكولي فونيكولا في جيمبوتشو بعد الحفل. لم يكن في المقهى زبائن آخرون سوى امرأة ترتدي فستانًا أبيض، وتجلس إلى طاولة في الزّاوية المقابلة.

"أستميحكما عذرًا على التّأخير. إليكما لاتيه الشّاي الأخضر المحمّص مع الكراميل المملّح".

كانت النّادلة الّتي تخاطبهما بهذه الطّريقة الغريبة ذات عينَين مستديرتين كبيرتين، وكانت تُدعى كي توكيتا. فقد استمتعت كي بتقليد أسلوب السّاموراي، كما تفعل تسوموغي وآيامي اللّتان تزوران المقهى بانتظام، وأحبّت تلك العبارات غير المألوفة، حتّى إنّها كانت تستخدمها في حديثها إلى الزّبائن الآخرين، وهو ما أثار استياء ناغاري.

ردّت آيامي: "جزيل الشكر لكِ، سيّدتي".

"العفو، استريحا واستمتعا بوقتيكما". ثمّ انحنت كي بابتسامة، وتراجعت إلى المطبخ.

"الحقّ يُقال، لا قدرة لديّ على تحمّل طقوس التخرّج هذه". تنهّدت تسوموغي وهي تضع قشّة في لاتيه الشاي الأخضر المحمّص مع الكراميل المملّح. "يصعب عليّ فهم الحزن الذي يطغى على وجوه الجميع وهم يفترقون، كأنّ اللّقاء أصبح مستحيلًا. فما دام الشّوق موجودًا، ما الذي يمكن أن يحول دون الوصال؟".

ردّت آيامي: "في الواقع، لسان حالك يتحدّث بالحقيقة. فما دام شوقك إلى هاياتو موجودًا، ما الذي يمكن أن يحول دون الوصال؟".

عندها، وضعت تسوموغي يدها على صدرها، ورسمت تكشيرة على وجهها. لم يفت آيامي أنّه منذ ذلك اليوم بالذّات، كانت تسوموغي تتنهّد كلّما لمحت هاياتو.

حذّرتها تسوموغي: "لا تذكري هاياتو، فهذا الجرح لم يلتئم بعد".

فردّت آيامي بابتسامة: "المعذرة".

"الأهم من ذلك...".

"هممم؟".

"أخبريني، ما الذي حال بينك وبين قاعات جامعة طوكيو؟".

لزمت آيامي الصّمت لبعض الوقت، وراحت تحدّق إلى لاتيه الشّاي الأخضر بالكراميل.

في الواقع، احتلّت آيامي دائمًا مرتبة الصّدارة في الفصل أكاديميًّا. ومع أنّ درجات تسوموغي لم تكن سيّئة، لكنّها لم تكن كافية لتأمين مكان لها في جامعة طوكيو.

"إنّ السّبب لجلِيّ".

"لا تُوارِبي وقولي صراحةً".

فقالت آيامي بجدِّية: "لمشاركتك القاعات الّتي ستنهلين منها العلم والمعارف".

"ماذا؟!".

لم تستطع تسوموغي أن تفهم إذا ما كانت آيامي جادّة أم تمازحها. وإذا كانت جادّة، فلم تفهم: لماذا ترفض جامعة طوكيو لهذا السّبب؟!

سألتها تسوموغي: "هل انطفأ نورك؟" وعندما ضحكت آيامي تلقائيًّا من ذهولها الواضح، سألتها: "بالله عليكِ، ما الذي أضحك ثغركِ؟".

"أما بدا لكِ هزلي واضحًا؟ واللهِ، ما كانت قاعاتُ طوكيو يومًا من أمانيّ ولا أحلامي. لكنّني، بعد نظرٍ ومشورةٍ، رأيتُ أنَّ الجامعة الّتي أنتِ مُقبِلةٌ عليها قد تفتحُ لعقلي آفاقًا أرحبَ ممّا يبلُغُه التدريسُ وحده".

في الواقع، كانت عائلة آيامي غارقة في الأوساط الأكاديمية. فقد كان والدها أستاذًا جامعيًّا، ووالدتها مديرة مدرسة إعداديّة، في حين كان

أخواها مدرّسَين في الثّانوية. غير أنّ تسوموغي كانت تعرف جيّدًا أنّ آيامي تطمح إلى العمل في رعاية مرضى الخرف من كبار السّنّ. وكانت الجامعة الّتي خطّطت تسوموغي للالتحاق بها تتضمّن برنامج رعاية قويًّا.

"لا تخيفيني هكذا ثانيةً".

"آه، عذرًا، تسوموغي، عذرًا".

"بالمناسبة..." قالت تسوموغي فجأة بصوت خافت وهي تميل نحو آيامي: "أحقًّا ما يُقال عن أن الجلوس على أحد مقاعد هذا المقهى يمنحُ المرءَ تذكرةً للعودةِ إلى ما قد مضى من الزمان؟".

"هه هه، إي والله، هو كذلك بلا ريب".

كان ردّ آيامي سريعًا، بل فوريًّا تقريبًا؛ كما لو أنّها كانت تتوقّع السّؤال.

"وهذا الكرسيّ المشهور... أيّها هو؟".

"ذاك الذي خلفنا".

فنظرت تسوموغي من فوق كتف آيامي، ورأت كرسيًّا تجلس عليه المرأة ذات الفستان الأبيض.

"ما هذا؟ يبدو أنّ سيّدة من الزّبائن قد استولت عليه".

"هذا صحيح".

"فما العمل إذًا؟".

"يقال إنّ هذه الزبونة لا تقوم من كرسيّها إلا مرّة واحدة في اليوم لقضاء حاجتها".

"قضاء حاجتها!".

"نعم، وحينئذٍ، يكونُ الوقتُ مناسبًا للاستيلاء على الكرسيّ".

"وماذا بعد الاستيلاء عليه؟".

"تُصَبّ القهوة، ويمكنك عندها زيارة الزّمن الذي تختارينه".

"فهمت...".

"تسوموغي، لو كان لك أن تجولي في دهاليز الزّمن، فأيّ زمن ستختارين؟".

"أنا؟ إن كنتِ تسألينني، فإنّني بلا شكّ سأختارُ الأعوامَ بين 1469 و1487".

"أنت تمزحين بالتّأكيد".

"لا، بل هي رغبتي بالفعل أن أذهب إلى تلك الحقبة؛ للحصول على مجرّد لمحة واحدة لقلعة كوماموتو وأسوارها الحجريّة وهي تُشيَّد... ذاك كان حلمي دومًا".

"حلمك عظيم حقًّا. والعودة بالزّمن هي حتمًا السبيلُ الوحيدُ لتحقيقه. واللهِ، لا أظنّ أحدًا غيركِ لديه مثل هذه الأمنية يا تسوموغي".

"وماذا عنك يا آيامي، إلى أيّ زمن ستكون وجهتك؟".

"أنا؟ في الحقيقة، لم أحسم أمري بعد".

"لماذا؟".

"تحيّرني كثرة الخيارات، ويشقّ عليّ انتقاء واحد منها".

"إذًا، عليك أن تتمهّلي قليلًا قبل أن تغامري بالسّفر عبر الزّمن، على الأقلّ حتّى تتّخذي قرارك".

"نعم، ربّما عليّ الانتظار قليلًا".

مع ذلك، وعلى الرّغم من قدرة الزّائر في هذا المقهى على السّفر عبر الزّمن إلى حيث يشاء، إلّا أنّه لا يستطيع أن يبارح الكرسيّ الذي يجلس عليه أو يغادر المقهى. إضافةً إلى ذلك، ثمّة حدّ زمنيّ؛ إذ لا يمكنه البقاء في الماضي أكثر من الوقت الذي يستغرقه فنجان قهوته حتّى يبرد، وهي مسألة دقائق معدودة. لذا كان من المستحيل أن ترى تسوموغي القلعة وهي تُبنى، كما تحلم.

بعد ذلك اليوم، لم تعد الصديقتان إلى ذلك المقهى معًا قطّ.

إذ حلَّت عطلة الرّبيع، وبلغ تسوموغي بعض القيل والقال المزعج.

"من الواضح أنّ هاياتو ناناسي اعترف لآيامي بإعجابه بها، ولكنّها رفضته".

سواء أكانت الشّائعة صحيحة أم لا، فإنّها لم تغيّر شيئًا من مدى انزعاجها. كما أنّ عدم ذكر آيامي للأمر زاد الوضع سوءًا.

لماذا لم تخبرني؟

لم يكن لدى آيامي سبب لإخفاء الأمر عنها. فهي لا تعرف ما قاله ذاك الشابّ الآخر لتسوموغي في الإعداديّة. وحدها تسوموغي تعرف الألم الذي سبّبه لها عيش هذه التّجربة للمرّة الثّانية. فلِمَ إذًا أخفت آيامي عنها اعتراف هاياتو؟

هل لأنّها تعلم أنّني معجبة بهاياتو ولم تشأ أن تؤذي مشاعري؟

تلك هي مفارقات الحياة. منذ أن سمعت تسوموغي الشّائعة، شعرت بانزعاج لا يوصف. ففي مناسبتَين، أعرب الشّخص الذي نال

إعجابها عن ميله إلى آيامي. صحيح أنّها مجرّد مصادفة، وقد فهم عقلها ذلك، لكنّها لم تتقبّل الأمر عاطفيًّا بعد.

لماذا آيامي دائمًا؟

لو كانت أيّ فتاة أخرى، فلربّما تقبّلت الأمر. لو أنّ هاياتو مثلًا اعترف بحبّه لفتاة غريبة، لتمكّنت من البكاء أمام آيامى ونسيانه. لكن لأنّها كانت آيامي، فقد اختلف الأمر.

كلّ شابّ يعجبني ينتهي به الأمر بالوقوع في حبّ آيامي.

آيامي أفضل منّي.

ما الخطأ فيّ؟!

هل لأنّ آيامي جميلة؟ هل أنا ببساطة عديمة الجمال؟

ظلّت هذه الهموم تشغل بالها.

لم ترتكب آيامي أيّ ذنب. ليس الأمر كأنّها تحاول عمدًا سرقة شخص ما منّي. كلّ ما في الأمر أنّ الشابَّ الذي يعجبني يصدف أن يُعجَب بآيامي، ويختارَها بدلًا منّي. مع ذلك، إنّ مشاعري السّلبيّة تجاهها تتراكم رغمًا عنّي. وجزء منّي يتمنّى لو لم تكن آيامي موجودة. ماذا لو تكرّرت تلك التجربة للمرّة الثّالثة؟

كانت تسوموغي تكافح أيضًا مع إحساسَين متضاربَين. فقد تمنّت لو أخبرتها آيامي بذاك الاعتراف، لكنّها في الوقت نفسه خشيت من أن يسبّب ذلك إحراجًا لهما.

من المحتمل أنّ آيامي لم تعرف ببساطة متى وكيف تخبرني. فبغضّ النظر عن الطّريقة الّتي ستخبرني بها، سيجعلني ذلك أشعر بالنّقص فحسب.

وهكذا توصّلت تسوموغي إلى استنتاجها.

لا أريد أن أسمع شيئًا عن هذا الأمر، لم أعد أريد أن أعرف شيئًا.

كانت تسوموغي قد سمعت الشّائعة في عطلة الرّبيع، وقرّرت تجنّب آيامي منذ تلك اللّحظة فصاعدًا. فعلى عكس المرحلة الثّانوية، كانت الموادّ الّتي تدرسانها تُعطى في أقسام مختلفة من الجامعة. وهذا الأمر سهَّل عليها الاستمرار في تجنّبها حتّى بعد استئناف الدّراسة. وبدأت الأيّام الّتي لا تراها فيها تتزايد.

وفي أحد الأيّام، حدث ما يلي:

كانت تسوموغي تتجوّل في الحرم الجامعيّ مع صديق جديد لها، عندما صدف والتقت آيامي. تحدّثت آيامي إلى تسوموغي بأسلوبها القديم المعتاد.

"آه يا تسوموغي! لقد طال العهد منذ لقائنا الأخير، أليس كذلك؟ هل أنت بخير؟".

"آه، نعم".

"لقد اتّخذت قراري".

"بشأن ماذا؟".

"بشأن الماضي الذي أتمنّى العودة إليه في ذلك المقهى. ألا تذكرين؟".

"آه، صحيح، ذاك الموضوع".

"هل ثمّة ما يكدّر صفوكِ؟".

"آه، لا. الأمر فحسب أنّني تأخّرتُ على الأرجح عن حصّتي التّالية".

"آه، أرجوك سامحيني؛ فقد طال فراقنا، وانجرفتُ وراء فرحتي برؤياك".

"آه نعم، حسنًا إذًا".

"حسنًا".

بوجود صديقها يراقب ما يجري، راحت تسوموغي تتخبّط في حديثها، ولم يصدر عنها سوى همهمات فاترة وغامضة. شعرت بشيء من الذّنب لقيامها بذلك، لا سيّما أن آيامي كانت تتصرّف ببساطة كعادتها، لكنّ الشّائعة غير المؤكّدة بأن هاياتو اعترف لآيامي بإعجابه بها كانت لا تزال تؤرق فكرها.

فكَّرت تسوموغي في سرّها: سأحافظ على مسافتي حاليًّا. وبمجرّد أن تهدأ مشاعري، يمكننا أن نعود إلى سابق عهدنا.

لكن بعد ذلك، اتّخذت الأمور منعطفًا نحو الأسوأ.

إذ همس لها صديقها الجديد: "هل هذه الفتاة صديقتك يا تسوموغي؟ إنّها لطيفة، أليس كذلك؟ هلّا تعرّفينني إليها يومًا".

"ماذا؟!".

في تلك اللّحظة، تحطَّم شيء ما في داخل تسوموغي. ليس مجدّدًا. وكانت الغيرة سبب انزعاجها. ما دمتُ مع آيامي، فلن أجد السّعادة.

ومنذ ذلك اليوم، بدأت تسوموغي تتجنّب آيامي أكثر. وبحلول الوقت الذي تخرّجتا فيه من الجامعة، كانتا قد فقدتا كلّ اتّصال مع بعضهما بعضًا.



قالت تسوموغي لتختم القصّة الّتي كانت ترويها لكازو - نادلة المقهى - المشغولة خلف المنضدة: "حدث ذلك منذ ستّ سنوات".

كانت تتوقّع ملاحظة تنمّ عن تفهّمها، مثل: "آه حسنًا، من شأن سوء الفهم أن يؤدّي إلى تباعد الأصدقاء. هذه الأمور تحدث أحيانًا". غير أنّه لم يكن واردًا أن تنطق كازو بكلام كهذا، فهي متحفّظة بطبيعتها. لذا أتى ردّها موجزًا.

إذ قالت من دون أيّ أثر للعاطفة: "أحقًّا؟".

كانت كازو فتاة عاديّة تمامًا، تتمتّع ببشرة فاتحة، وعينين على شكل لوزتين، ومظهر أنيق وغير لافت. وكانت هي المسؤولة عن صبّ القهوة الّتي تسمح للزّائرين بالعودة إلى الماضي.

بدلًا من ذلك، تمتمت امرأة ترتدي كيمونو، وتجلس إلى المنضدة: "هل تدركين كم تبدين سطحيّة؟" كان اسمها يايكو هيراي، لكنّ الجميع ينادونها هيراي.

قبل ثلاث سنوات من الآن، كانت هيراي تدير مطعمًا صغيرًا في الحيّ، وكانت من روّاد هذا المقهى. أمّا اليوم، فهي تدير نزلًا تقليديًّا في حيّ أوبا بمدينة سينداي في محافظة مياغي، بدأ نشاطَه منذ أكثر من مائة وثمانين عامًا. وفي هذا اليوم من كلّ عام، كانت تزور المقهى لبضع ساعات. وقد عادت ذات مرّة إلى الماضي لمقابلة أختها الّتي توفّيت في حادث سير. وكان ذلك في الثاني من أغسطس، قبل ثلاث سنوات بالضّبط.

"ماذا؟!" فوجئت تسوموغي عندما وصفتها هيراي بأنّها سطحيّة، مع أنّها مجرّد امرأة غريبة صدَفَ وجودها في المقهى في هذا الوقت. فهي

لم تكن تروي قصّتها لتسمعها هيراي، ولم تسألها عن رأيها، فما بالك بانتقادها لها بهذه الطّريقة. كان ذلك بعيدًا كلّ البعد عن التّعاطف الذي كانت تتمنّاه.

لا أعتقد أنّ الأمر يعنيك في شيء.

غير أنّ تسوموغي ابتلعت الكلمات الّتي تبادرت إلى ذهنها، فهي لم تكن تملك الشّجاعة للتحدّث عن مشاعرها بصراحة أمام غريبة.

في حين تابعت هيراي: "مهما تكن نظرتك إلى الأمر، فلا بدّ أن صديقتك آيامي أرادت حقًّا الذّهاب إلى الجامعة نفسها الّتي التحقتِ بها، ولا شكّ في أنّها رفضت جامعة طوكيو لتكون معك، كيف لم تفهمي ذلك؟ أنا أشفق عليها لأنّها اختارتك صديقة لها".

"آه، المعذرة...".

كانت تسوموغي - الّتي شعرت بالارتباك من مظهر هيراي المبهرج - تنظر إلى كازو الواقفة خلف المنضدة طلبًا للمساعدة، غير أن كازو لم تُعِرها نظرة واحدة حتّى. عندها، جلست تسوموغي في حيرة من أمرها، ولم تجد الشّجاعة للتّعبير عن رأيها.

فجأة، استدارت هيراي على كرسيّها لمواجهة تسوموغي مباشرة، وواصلت قصفها بوابل من قنابل الحقيقة.

إذ قالت بصراحة: "لقد جُنَّ جنونك لمجرّد أنّ الشابّ الذي كان يعجبك اعترف لصديقتك بأنّه معجبٌ بها. كم أمقت النّساء أمثالك".

عندها، قاطعتها كازو غير قادرة على تجاهل الموقف أكثر من ذلك: "هيراي، هذا يكفي".

غير أنّ عِظة هيراي لم تكن قد انتهت بعد.

"اسمعيني جيّدًا، الحبّ ساحةُ معركة. انظري إلى نفسك، فأنت فتاة خجول إلى حدّ الامتناع عن تقديم هديّة بسيطة مثل شوكولاتة يوم الحبّ، تترك نفسها فريسة لمشاعر الغيرة. فتاة مثلك لن تجد السّعادة يومًا. إذا كنت تحبّينه، فأخبريه بذلك. وإذا لم ينجح الأمر، فانتقلي إلى التّالي! الرّجال في كلّ مكان، وما عليك سوى أن توسّعي آفاقك. ألا ترين أنّه لم يظهر قطّ رجل صالح لامرأة تكتفي بالانتظار؟ فهذه لعبة من يعترف أوّلًا. واعلمي أنّ الرّجال يحاولون هم أيضًا معرفة مشاعرنا؛ لذا كوني صريحة. وتذكّري أنّها لعبة أرقام. كلّما حاولتِ أكثر، تعاظمَت فُرصك. وكلّما تردّدتِ أكثر، تعاظمت خساراتك. هل فهمت؟".

"حـ... حسنًا".

جُرِحت تسوموغي من كلام هيراي الصّريح إلى حدّ مثير للاستنكار، ولكنّه في الوقت نفسه مؤلمٌ على نحو منعش. ومع ذلك، كان الأمر بالنّسبة إليها كمن يرشّ الملح على جرح مفتوح، فعضّت على شفتها، ونظرت إلى الأرض.

"هيراي، كلامُكِ قاسٍ بعض الشّيء، ألا تعتقدين ذلك؟".

إذ لم تستطع كازو أن تتحمّل رؤية تسوموغي بهذه الحال، فتدخّلت على غير عادتها.

"حسنًا، أنا أشعر بالأسف على تلك الفتاة، آيامي. لا أستطيع تحمّل الأشخاص الّذين يدمّرون علاقاتهم بسبب غيرة تافهة. هل أنت سعيدة بكونك أنانيّة إلى هذا الحدّ؟".

"أنا آسفة". قالت تسوموغي ذلك، وقلبها يؤلمها من ملاحظات هيراي الجارحة. ومع ذلك، من الغريب أنّ كلماتها حرّرتها بشكل من الأشكال.

ربّما، في أعماقي، كنت أريد أن يوبّخني شخص ما.

بينما كانت تفكّر في ذلك، شعرت وكأنّ كلمات هيراي أزالت المشاعر المظلمة المتراكمة في أعماقها.

في الواقع، لم يكن من الممكن إيقاف هيراي بعد أن بدأت.

"في رأيي، لو حاولت مواعدة ذلك الرّجل، هاياتو، لربّما وجدته نرجسيًّا، لا يهمّه سوى المظهر الخارجيّ، أليس كذلك؟ فمن غير الممكن معرفة الرّجل إلّا بعد التّجربة. إذ يتصرّف بعض الرّجال ذوو المظهر القويّ تمامًا كالأطفال عندما تكونين بمفردك معهم، وأولئك الّذين يبدون أكثر جدّية بشأن العلاقة هم غالبًا أكثر ارتكابًا للخيانة. وبما أنّ هاياتو اعترف لآيامي وتعرّض للرّفض، ألم تكن تلك فرصتك؟ آه، لكنّ هذا الحديث لم يعد يجدي نفعًا الآن، أليس كذلك؟ حسنًا، ربّما كانت فرصةً في ذلك الوقت، لكن ما الفائدة من البكاء على اللّبن المسكوب؟ هل تعلمين أنّه من السّهل كسب الرّجال المرفوضين باستخدام قليل من اللّطف. فمن يهتمّ إن كان معجَبًا بامرأة أخرى؟ المهمّ هو ما تشعرين به تجاهه، وإلى أيّ مدى تريدينه، أم أنّني مخطئة هنا؟".

"أنتِ لستِ مخطئة".

شعرت تسوموغي أنّ هيراي قد أصابت الهدف. الآن، وهي في الثّامنة والعشرين من عمرها، فهمت أخيرًا. ولو كان بإمكانها فعل الأمور

بطريقة مختلفة، لما تردَّدت في اغتنام الفرصة. فقط لو أنّها سمعت كلام هيراي هذا في الماضي.

لكن في ذلك الوقت، كنتُ مجرّد شابّة صغيرة.

كانت عديمة الخبرة في الحبّ، وفي سنّ تتغلّب عليها عواطفها بسهولة.

نتيجةً لذلك، ها هي هنا الآن، تزور هذا المقهى من جديد، تدفعها الرّغبة في العودة إلى ذلك اليوم.



قبل ثلاثة أيام، حضرت تسوموغي حفل لمّ شمل طلّاب دفعتها في المرحلة الثّانوية للمرّة الأولى.

كانت قد تهرّبت من العديد من الدّعوات السّابقة منذ التّخرج، ويرجع ذلك في الغالب إلى عدم ارتياحها لفكرة مواجهة آيامي. غير أنّها قرّرت الحضور هذه المرّة. من جهة، لأنّ هاياتو ناناسي - منظّم اللّقاء - تواصل معها شخصيًّا. ومن جهة أخرى، لأنّها سمعت أن آيامي لم تحضر سوى اللّقاء الأوّل.

وعلى الرّغم من أنه يسمّى لمّ شمل، إلّا أنّ سنوات عديدة انقضت منذ المرحلة الثّانوية. لذلك لم يكن عدد الحاضرين كبيرًا، بل اقتصر على عشرة أشخاص فقط؛ بمن فيهم تسوموغي وهاياتو. كان معظمهم عُزّابًا، وشعرت أن اللّقاء أشبه بذريعة لتمضية أمسية في الخارج. ومع مشارفتهم على العقد الثّالث من عمرهم، تساءلت تسوموغي عمّا إذا

كان بعضهم يأمل في العثور على شريك.

تحوّل الموضوع حتمًا إلى من أحبّ كلّ منهم في الثّانوية. وبطبيعة الحال، لم تستطع تسوموغي أن تكون صادقة بوجود مَنْ شغل قلبها أمامها مباشرة؛ لذلك ذكرت اسم شخص عشوائيّ لم يحضر. فتتالت عبارات الدّهشة والاستغراب.

وقال أحد الحاضرين: "تسوموغي، كنت أظنّ أنّك وآيامي مقرّبتان".

فقال آخر: "نعم، أنا أيضًا".

وردّد آخرون: "نعم".

"أنا وآيامي؟".

"آه، كنتما معًا على الدوام، وتخوضان محادثات غريبة مثل بالله عليكِ، وصدقتِ، ألا تذكرين؟".

"نعم، لكن كان ذلك مجرّد...".

تنهّدت تسوموغي. من الطّبيعيّ لطلّاب المدارس الإعداديّة أو الثّانويّة أن يُكوِّنوا صداقات عابرة.

تساءل أحد الرّجال: "كنتما لا تفترقان، فما الذي استجدّ بينكما؟".

وقالت إحدى النّساء: "عادةً ما يكون الشبّان سببًا لفراق الصّديقات".

"هذا هو التّعريف الحقيقيّ للتحيّز، هل تدركون ذلك؟".

لم تكن لدى تسوموغي أيّ ذكريات عن اختلاطها بهؤلاء الزّملاء - هي المهووسة بالقلاع - في المدرسة الثّانوية، ومع ذلك، جعلوا الآن صداقتها مع آيامي موضوعًا للثّرثرة.

ربّما ذكروا الأمر لمجرّد تنشيط المحادثة، وإنكار ذلك سيلفت الانتباه أكثر. فتنهّدت تسوموغي بصمت مجدّدًا.

قالت وهي ترفع يدها اليسرى: "أنا متزوّجة الآن، وهذا ما شغلني عن صداقاتي القديمة".

"ماذا؟ أنتِ متزوجة! لماذا لم أتلقَّ دعوة إلى حفل الزّفاف؟".

"لم نُقِم حفل زفاف أساسًا".

"ولِمَ لا؟".

"لا تناسبني مثل هذه الأشياء".

كانت تسوموغي تواجه دائمًا صعوبة مع الاحتفالات، بما في ذلك حفل تخرّجها من الثّانوية. لذا عند زواجهما، قاما بتقديم الأوراق، لكن حتّى ذلك اعتبرته إجراءً شكليًّا غير ضروريّ.

"كفى، ألا تحلم معظم النّساء بحفل زفاف فاخر؟".

"أحقًّا؟".

"أنا شخصيًّا أرغب في ذلك".

"وهل قابلت الشّريك المناسب؟".

"حسنًا، ما زلت أبحث عنه".

مع استمرار الثّرثرة، شعرت تسوموغي بانفصال غريب.

لا أحد يهتمّ بماضيّ مع آيامي الآن. فعلى الرّغم من أنّنا كنّا جميعًا زملاء في الدّراسة ذات يوم، إلّا أنّنا لم نتواصل لسنوات. في يوم التّخرّج، كم منهم بكى لعدم رغبته في الافتراق عن أصدقائه؟ ربّما نسوا حتّى أنّهم بكوا ذات يوم، وطردوا تلك الذّكرى من أذهانهم. حتّى مشاعري تجاه

هاياتو - الشّابّ الذي كنت معجبة به - تلاشت. ولا أعرف لماذا لا يزال اعترافه لآيامي يجرحني. هل كنتُ معجبةً به إلى هذا الحدّ؟ عندما أفكّر في الأمر، أشعر أنّ الماضي مع آيامي كان مجرّد تاريخ قديم. ولو كانت آيامي هنا، لضحكَت وقالت: "لا أصدّق أنّنا فعلنا كلّ ذلك". لا بدّ أن آيامي مضت قُدُمًا في حياتها. فأنا مجرّد صديقة قديمة لم تتحدّث معها منذ عقد من الزّمان. كلّ هذا أصبح من الماضي، وربّما كنت أبالغ في انزعاجي منه. عليَّ نسيانه، فأنا لا أستطيع تغيير أيّ شيء...

ابتلعت تسوموغي جرعة من شرابها، وقرّرت أن تنسى كلّ هذه الأمور الّتي تشغل بالها وتستمتع بالأمسية.

في تلك اللّحظة، قال أحدهم: "بالمناسبة، أجرينا الحديث نفسه مع آيامي في لمِّ الشّمل الأوّل".

"الحديث نفسه! ماذا تقصد؟".

"عنكما".

"ماذا؟".

فقاطعه هاياتو: "آه، كفى، فلننسَ الأمر".

"ما الخطأ في التحدُّث عن ذلك؟ كنتَ هناك، أتذكر؟ تمامًا مثل اللّيلة، شارك الجميع في الحديث.. ثمّ انفجرت آيامي بالبكاء فجأة...".

ماذا؟

"حسنًا، انتهى النّقاش!".

صفّق هاياتو بيديه لتغيير الموضوع.

"فلننتقل إلى الاحتفال!".

"الاحتفال؟ هيّا بنا! إلى أين سنذهب؟".

بدا أنّ الرّجل الذي ذكر آيامي لم يعد بكامل إدراكه مع مشارفة السهرة على نهايتها. غير أن تسوموغي لم تتذكّر اسمه على الإطلاق، وكانت لا تزال تكافح لتَذَكُّرِهِ. مع ذلك، أزعجها كلامه. أمّا هو، في المقابل، فقد انصبّ تركيزه على ما سيفعلونه بعد العشاء.

"إذًا"، همّت تسوموغي بسؤال هاياتو عن سبب بكاء آيامي، لكنّ هذا الأخير أوقفها.

"سأخبرك لاحقًا".

بعد انتقالهم إلى المكان الذي سيحتفلون فيه، وانتظار تحسّن مزاج الحاضرين، نادت تسوموغي هاياتو إلى خارج القاعة لمواصلة الحديث. كانت السّاعة قد تجاوزت التّاسعة مساءً. بدأ هاياتو بمقدّمة قصيرة حول خروجه عادةً مع هذا الحشد، قبل أن يعود إلى موضوع آيامي.

قال في البداية: "مجرّد سؤال سريع...".

"تفضّل".

"كم تعرفين بالفعل عن آيامي؟".

"ماذا تقصد؟".

بدت تسوموغي في حيرة واضحة، وهي ترى هاياتو ينظر حوله بشكّ مطوّلًا، وكأنّه يتأكد من أنّ آيامي لم تكن تتنصّت.

"في الواقع، اعترفتُ لآيامي بإعجابي بها، بعد تخرّجنا من الثّانوية مباشرة، في عطلة الرّبيع".

"أحقًّا؟".

وبينما كانت تسوموغي تجيبه، فوجئت حقًّا بردّ فعلها. فقد بدا هدوؤها الحاليّ سرياليًّا مقارنة بالاضطراب الذي عانت منه في ذلك الوقت لمجرّد سماعها الشّائعة. لم يكن في الأمر ازدراء لهاياتو، لكنّ سماعها اعترافه مباشرةً الآن كان عديم الأثر عليها.

بدلًا من ذلك، كانت مشاعرها مركّزة على آيامي، "وماذا حدث؟".

"حسنًا، في الواقع، كانت آيامي تعجبني منذ أن كنّا في الفصل نفسه في عامنا الثّانويّ الأوّل".

"آه، لم أكن أعرف".

حاولت تسوموغي التّظاهر بالدّهشة، ولكنّها لم تكن مُقنِعة.

لم يعد ذلك يهمّني الآن. مع أنّني لو سمعت هذا الاعتراف في ذلك الوقت، لانزعجت حتمًا.

"لذا درستُ بجدّ للالتحاق بالجامعة نفسها الّتي ستنضمّ إليها آيامي. وبصعوبة تمّ قبولي في جامعة طوكيو، لأفاجأ بأنّها رفضت الانضمام إليها. هل كنت تعلمين؟".

"أجل...".

عادت إليها ذكريات تلك الأيّام دفعة واحدة. كانت آيامي تتمتّع بكلّ ما رغبت فيه تسوموغي. فقد كانت جميلة، وذكيّة، وبارعة في كلّ شيء من دون عناء. في ذلك الوقت أيضًا، كانت آيامي محبوبة من قبل الشّابّ نفسه الذي كانت تسوموغي تُكِن له الإعجاب. بدأت مشاعر الغيرة المكبوتة تزحف مجدّدًا إلى قلبها.

"لقد أصبتُ بالصّدمة. فهل من شخص يتمتّع بعقل سليم يرفض جامعة طوكيو؟ كنت أنوي الاعتراف لها بعد أن نلتحق بالجامعة، ونصبح صديقَين مُقَرّبَيْن أكثر".

هزَّ هاياتو كتفيه مستسلمًا، ممّا يشير إلى أنّه تجاوز خيبة الأمل القديمة، بما فيه الكفاية للضّحك.

"لذا، أُصبت بالذّعر، وأخبرتها بما أشعر به، غير أنّها رفضتني...".

في تلك اللّحظة بالذّات، رنّ هاتف هاياتو. تحقّق من الشّاشة وقال: "آه، المعذرة هل تمانعين لو أجبت على هذه المكالمة؟".

"لا، تفضّل".

"ماذا؟ ما الأمر؟ أخبرتكِ أنّني ذاهب للقاء زملائي القدامى اللّيلة، أليس كذلك؟".

من نبرة صوت هاياتو، بدا أن صديقته هي المتّصلة.

شعرت تسوموغي بالانزعاج لأنّها لم تفهم حتّى الآن ماهيّة العلاقة بين تعرّض هاياتو للرّفض وبكاء آيامي في ذلك اللّقاء.

مع ذلك، ثمّة أمر واحد أدركته بوضوح.

ما هذا الشّعور الغريب بالرّضا الذي انتابني عندما سمعت عن بكاء آيامي؟

كانت قد سمعت مقولةً عن أنّ "بؤس الآخرين حلو كالعسل"، وكان هذا إحساسَها تمامًا. إنّها تحاول أن تستمدّ شعورًا بالسّعادة من سماعها عن بؤس آيامي، وهذا ما أزعجها.

لماذا بكت؟

أتمنّى لو أنّه وصل إلى هذه النّقطة. لماذا بكت آيامي؟

أدركت، من نفاد صبرها مع هاياتو، أنّ مشاعر الغيرة والحسد المظلمة الّتي قمعتها في أعماق قلبها جعلتها تتوق إلى بؤس آيامي؛ ظنًّا منها أنّ ذلك سيشفي غليلها.

لا أستطيع تحمّل ذلك.

كانت قد تجنّبت مواجهة هذه المشاعر. فقد جعلتها مقارنة نفسها بآيامي تشعر بالظّلم. وكان هذا الجزءُ القبيحُ من نفسها هو الذي أبت الاعتراف به. لذا وجدت في الابتعاد عن آيامي الحلَّ الوحيد لمعاناتها.

غير أن ذلك لم يُجدِ نفعًا.

كنت أكبت مشاعري الحقيقيّة فحسب.

فجمر الغيرة لا يزال مشتعلًا.

لكن في تلك اللّحظة، تذكّرت أمرًا.

لقد أردتُ حقًّا أن أكون صديقةً لآيامي. أردت أن أضحك معها، وأن نكون صديقتين مقرّبتين طوال حياتينا، من دون أن تُفسِد الغيرةُ صداقتَنا. أردتُ مشاركتها كلّ شيء؛ بما في ذلك ما يؤلمني ويزعجني. وكنت أظنّ أنّنا قادرتان على الحفاظ على هذا النّوع من العلاقة، على الأقلّ خلال المرحلة الثّانوية.

لكن هذه الصّداقة لم تدُم. فهي لم تتحدّث إلى آيامي منذ سنوات، ولا تعرف حتّى أين هي الآن.

تنهَّدت بعمق.

لا أحتمل كلّ هذا البؤس. قد أكسب بعض الرّضا السّطحيّ من معرفتي سبب بكاء آيامي، ولكنّني في المقابل سأفقد جزءًا من إنسانيّتي. إذا تلذّذتُ الآن بمصائب الآخرين من شدّة حسدي، فمن المؤكّد أنّني سأشعر بالذّنب لاحقًا عندما أتمنّى أن أنجب أطفالًا طيّبين.

فجأة، شعرت بالإرهاق، وتبخّر انزعاجها من هاياتو.

نظرت إلى السّماء، ثمّ قالت بصوت عالٍ عن غير قصد: "لقد اكتفيت في هذه اللّيلة، سأعود إلى البيت".

وبينما كانت تُخرج محفظة نقودها من حقيبتها لدفع ما يجب عليها من أجل الحفلة الّتي لم تحضرها تقريبًا، عاد هاياتو وقد أنهى مكالمته الهاتفيّة.

"آسف، آسف، أين توقّفنا؟".

"لا يهمّ، دعنا ننسَ الأمر. سأعود إلى المنزل الآن...".

"أوه... صحيح، وصلت إلى الجزء الذي رفضَتني فيه آيامي، أليس كذلك؟".

ثمّ واصل هاياتو حديثه كما لو أن كلمات تسوموغي لم تبلغ مسمعه.

لم يتغيّر على الإطلاق. فهو لم يكن يصغي إلى غيره في ذلك الوقت أيضًا.

فتنهّدت تسوموغي بهدوء.

"بعد أن اعترفتُ لها، أخبرتني أنّها تحبّ شخصًا آخر".

"ماذا؟".

لم تصدّق تسوموغي أذنيها.

منذ أن كنّا زميلتَين في الإعدادية، لم أسمع قطّ أنّ آيامي أُعجِبت بأحد.

كانت ثمّة أوقات اهتمّت فيها تسوموغي بشبّان آخرين، بمن في ذلك كبار وصغار تعرّفت إليهم في ناديها. لكن حتّى في ذلك الوقت، كانت آيامي تكتفي بالإصغاء إلى قصص تسوموغي مبتسمة.

هل كانت آيامي معجبة بأحدهم ولم تخبرني؟

على الرّغم من أن المسألة ترجع إلى عقد من الزّمان تقريبًا، إلّا أنّ تسوموغي عجزت عن إخفاء دهشتها.

"ومَن كان؟".

طرحت السّؤال من دون أن تدرك. وكانت لا تزال ممسكة بورقة نقديّة أخرجتها من محفظتها، بحيث بقيت يدُها مُتجمِّدةً في الهواء، وهي تنتظر ردّ هاياتو.

"اسمعي، تقبّلي منّي ذلك من دون انزعاج؛ لأنّه مجرّد حدس، ولكن...".

حكّ هاياتو رأسه وهو يشيح بنظره، وتلعثم في كلماته.

"ماذا؟".

"هل يمكن أن تكوني أنت السّبب؟".

"عفوًا؟".

قبل لحظات، أوقف هاياتو حديثًا حول آيامي وتسوموغي. والآن، ها هو يعاود طرح الموضوع، فشعرت تسوموغي برأسها يدور.

"ماذا تعني؟".

"فكّري في الأمر، كانت تتمتّع بشعبيّة لا مثيل لها. فكيف تفسّرين ذلك؟".

"هاه؟".

ومن نظرة هاياتو الجادّة، أدركت تسوموغي أنّ هذا الموضوع كان له غرض مختلف عن المحادثة السّابقة.

"أتقصد أن آيامي رفضتك بسببي؟".

إذا كانت آيامي قد رفضت هاياتو لعلمها أن تسوموغي معجبة به، إذًا كان عليها أن تصارحها بذلك، بدلًا من ترك النّاس يتكهّنون حول أسباب الجفاء الذي حلّ بينهما.

"لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا".

"ولكنّها بكت في اللّقاء، وطلبت منّي عدم إخبارك. لذا ربّما لم ترغب في أن تعرفي؟".

تجنَّب هاياتو قول ذلك صراحةً، لكن تسوموغي فهمت مقصده.

وعلى الفور، شعرت أن الأرض تميد من تحتها، وهي تفكّر كم ظلمت آيامي.

"مستحيل...!".

كانت تسوموغي تعد آيامي صديقة. ونظرًا إلى ولعهما المشترك بالتاريخ، فقد رأت فيها توأم روح تتمتّع بالذكاء، وكانت ترغب في عدِّها صديقة مُقرَّبة لو سمحت لها غيرتُها بذلك.

وبينما خيّم الصّمت على تسوموغي، أطلق هاياتو تنهيدة صغيرة.

وتمتم كأنّه يتحدّث إلى نفسه: "لكن، حسنًا، ما من طريقة لمعرفة ما تشعر به الآن".

"ما الذي تعنيه بقولك إنّه ما من طريقة لمعرفة ذلك؟".

"ماذا؟".

"هل تعني أنّك لا تعرف عنوانها؟".

ردًّا على ذلك، بدا على هاياتو عدم ارتياح واضح.

"ألا تعرفين؟".

في تلك اللّحظة، راودها إحساس غير مريح، وشعرت أنّها لا تريد سماع المزيد.

"... أعرف ماذا؟".

لكن، لم يكن لديها خيار سوى سماع الإجابة، فتسارع قلبها وهي تنتظر الردّ.

"لا أعرف التّفاصيل، لكن أعتقد أنّه كان سرطانًا".

"سرطانًا!".

"أعتقد أن ذلك حدث في العام التّالي لِلَمِّ الشّمل، أي ربّما منذ سبع أو ثماني سنوات".

أنا أذكر.

"قل لي إنّك تكذب".

"أنا آسف، لم أكن أعلم أنَّكِ تجهلين ما حدث. في الواقع، اكتشفتُ ذلك لاحقًا أنا أيضًا. لم تتمّ دعوة أيّ شخص أعرفه إلى الجنازة؛ لذا افترضتُ أنكِ كنتِ...".

"أنا مصدومة للغاية...!".

"هل أنتِ بخير؟".

غير أن تسوموغي غطّت وجهها بيديها وتأوّهت، ثمّ نظرت إلى السّماء.

كان ذلك في الوقت الذي تلقّيتُ فيه رسالة من آيامي.

لديَّ شيء مهمّ أودّ أن أحدّثك عنه. سأنتظرك في ذلك المقهى الغامض الذي نعرفه.

ما أرادت آيامي إخبارها به في ذلك الوقت ظلّ مجهولًا، غير أن تسوموغي أساءت فهم النيّة من الرّسالة.

أخيرًا، شعرت بالرّغبة في إخباري عن اعتراف هاياتو؟

هذا ما فكَّرَتْ فيه آنذاك.

لقد فات الأوان.

وهكذا، تجاهلت الرّسالة.

كم كانت مخطئة!

في ذلك المساء، هربت تسوموغي عمليًّا من هاياتو، ومن الحفل الذي تلا اللّقاء.



قالت تسوموغي: "لم يكن بوسعي أن أعرف حقيقة وضع آيامي، لكنَّ هذا ليس عذرًا لتجاهلي رسالتها من دون مراعاة مشاعرها. إذا كانت تنتظرني، فأنا أريد العودة إلى الماضي لمقابلتها". أضافت مع

انحناءة عميقة: "من فضلك، أعيديني إلى ذلك اليوم، اليوم الذي كانت تنتظرني فيه هنا، في هذا المقهى".

"أمم، أمم، فهمتُ، فهمت". وقفت هيراي الّتي كانت تستمع من حيث تجلس على كرسيّها عند المنضدة، واقتربت من تسوموغي.

"إذًا، من الأفضل أن تذهبي إليها قريبًا".

"هاه؟".

"أعني، هذا سببٌ مهمّ، وكان عليكِ ذِكره منذ البداية. ما الذي كان يمنعك؟ أرسلَت لكِ رسالة تخبرك فيها أنّها تنتظر، أليس كذلك؟".

"نـ... نعم".

"عليكِ الذّهاب إذًا. وكلّما أسرعتِ كان ذلك أفضل".

قبل قليل، كانت هيراي توبّخ تسوموغي، ولكنّها الآن بدت مستعدّة للمساعدة، وراحت تدير الموقف بفاعليّة.

كانت تسوموغي مُتَحَمِّسة هي أيضًا للسّفر عبر الزّمن للقاء آيامي، لكن كانت ثمّة عقبة.

"للعودة إلى الماضي، يجب أن أنتظر حتّى تنهض تلك المرأة لاستخدام الحمّام، أليس كذلك؟".

نظرت تسوموغي إلى امرأة ترتدي فستانًا أبيض، وتجلس في أقصى ركن من المقهى.

"يا إلهي! أنت تعرفين كلّ شيء".

"كلّ ما في الأمر أنّني سمعت بذلك عندما أتيت إلى هنا أيّام الثّانوية".

ثـمَّ حوَّلـت تسـوموغي نظرهـا إلـى صـورة في إطـار لكـي توكيتـا موضوعةٍ على ماكينة تسجيل المدفوعات، فعادت إليها ذكرياتها عن كي وهي تتحدّث بلغة السّاموراي.

"فهمت، فهمت". لم تضطرب هيراي، فقد كانت تعرف القواعد جيِّدًا مثل أيّ شخص آخر.

ومن فوق المنضدة، أشارت إلى كازو. "كـازو، آه، هـل يمكنـك... ما رأيك في أن...؟" وقامت بإشارة صبّ.

لم يكن لدى تسوموغي أيّ فكرة عمّا تقصده هيراي، لكنّ كازو اختفت بهدوء في المطبخ.

"ما الذي ستفعله بالضّبط؟".

"في الواقع، ثمّة طريقة لجعلها تقوم رغمًا عنها".

"وكيف ذلك؟".

عندها، حدَّقَت هيراي الّتي فاح منها عطر جيمي تشو إلى المرأة ذات الفستان الأبيض وابتسمت بمكر.

"لا تقلقي، ستعودين إلى الماضي قريبًا".

بعد هنيهة، خرجت كازو من المطبخ، حاملةً إبريقًا مليئًا بالقهوة.

وقفت بجانب المرأة ذات الفستان الأبيض وسألتها: "هـل تـرغبين في المزيد من القهوة؟".

فألقت تسوموغي نظرة استفهام على هيراي، وبدت في حيرة من أمرها. فما كان من هيراي إلّا أن هزَّت رأسها كأنّها تقول: "شاهِدي ما سيحدث".

"نعم، من فضلك".

أغلقت المرأة ذات الفستان الأبيض الكتاب الذي كانت تقرأه بعناية، ثمّ شربت فنجان القهوة الموضوع أمامها بأكمله جرعة واحدة. فأعادت كازو ملء الفنجان الفارغ، في حين لم تفهم تسوموغي شيئًا ممّا جرى.

"هل ترغبين في فنجان آخر من القهوة؟".

لم تستطع تسوموغي إلّا أن تصرخ: "ماذا؟".

لم تكن المرأة ذات الفستان الأبيض قد تناولت حتّى رشفة واحدة من فنجانها الذي أُعِيد ملؤه.

"اممم، آه...".

حاولت تسوموغي التّدخّل لا إراديًّا، لكن هيراي أوقفتها.

"هس، لا بأس".

"لكن، لكن...".

وبينما كانت تسوموغي لا تزال متشكّكة، تناهى إليهما صوت المرأة مجدّدًا.

"نعم، من فضلك".

"ماذا؟".

تمامًا كما حدث من قبل، شربت المرأة ذات الفستان الأبيض فنجانها دفعة واحدة.

يا له من أمر غريب!

قبل أن يُتاح لتسوموغي الوقت لتصاب بالصّدمة، أعادت كازو على الفور ملء الفنجان الفارغ، وسألت من جديد: "هل ترغبين في فنجان آخر من القهوة؟".

وفي حين كانت تسوموغي تنظر مذهولة، انتهى الفنجان الثّالث كسابقَيه.

"ماذا يجري؟".

"لا يمكنها أن ترفض عندما تعرِض عليها كازو القهوة".

"لماذا؟".

"إنّها قاعدة".

"قاعدة!".

"نعم. سبق أن سمعت عن القواعد الأخرى، أليس كذلك؟ كقاعدة أنّه ما من شيء يمكنك فعله في الماضي من شأنه أن يُغيِّر الحاضر، أو أنّ الأشخاص الوحيدين الّذين يمكنك مقابلتهم في الماضي هم أولئك الّذين زاروا المقهى... أنتِ تعلمين أنّها قاعدة كغيرها من القواعد".

"لا يمكن أن تكوني جادّة!".

كان نظر هيراي مُركّزًا على المرأتين العالقتين في حلقة مُفرغة من إعادة صبّ القهوة.

"انظري، وستعرفين".

وفي اللّحظة الّتي همست فيها هيراي بذلك، تناولت المرأة ذات الفستان الأبيض فنجانها الخامس من القهوة، ووقفت فجأة.

تمتمت قائلة: "... حمام".

"ماذا قالت؟".

كان صوتها خافتًا للغاية بحيث لم تتمكّن تسوموغي من سماعه، واكتفت بالعبوس. غير أنّ الوجهة كانت واضحة. عبرت المرأة ذات

الفستان الأبيض المساحة الفاصلة بين تسوموغي وهيراي، واندفعت إلى الحمّام.

"ها قد أصبح الكرسيّ شاغرًا".

شدَّت هيراي يد تسوموغي المرتبكة، ودفعتها إلى الكرسيّ الذي سيسمح لها بالسّفر إلى الماضي.

"أنت تعرفين القواعد، أليس كذلك؟".

"اممم، آه، نعم".

"عظيم".

"لكن، ماذا سأقول لها؟".

"حسنًا، إنها تنتظرك، أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

"كانت تنتظر، طوال هذا الوقت".

نظرت هيراي بعينيها الكبيرتين، ورموشها المرفوعة إلى الأعلى، مباشرةً إلى عينَي تسوموغي. كان في أعماقهما أكثر من مجرّد جدّيّة؛ كان ثمّة ثقل، أو ربّما حزن عميق.

"اذهبي إليها إذًا".

"لماذا أصبحتِ فجأة...".

أرادت تسوموغي أن تعرف سبب تحوُّل هيراي - تلك المرأة الغريبة - إلى امرأة متعاونة للغاية.

"كانت أختي تنتظرني أنا أيضًا، انتظرتني طويلًا".

"آه!".

"ثمّ ماتت، في حادث سيّارة".

"كم هذا مفجع!".

أدركت تسوموغي الآن مصدر الحزن الذي رأته في أعماق عينَي هيراي.

"ما زلت أشعر بالنّدم. لماذا لم أكن أكثر لطفًا مع أختي؟ لماذا لم أستمع إليها كما ينبغي؟ كنت أختًا فظيعة".

ترقرقت الدّموع في عينَي هيراي وارتجف صوتها، ولكنّها قالت الحقيقة. ربّما رأت ندمها في ندم تسوموغي.

"لم أستطع إنقاذ أختي حتّى عندما ذهبتُ لرؤيتها. ومع أنّني كنت أعلم أن الاعتذار لن يعيدها إلى الحياة، لكنَّني ذهبت. أردتُ أن أرى وجهها مرة أخرى. فعلى الرّغم من كلِّ الأشياء الفظيعة الّتي فعلتها بها، إلّا أنّني ما زلتُ أحبّها".

عضَّت تسوموغي على شفتيها، وهي تتأمّل في كلام هيراي.

"على الرّغم من غيرتك، فقد كنتِ تهتمّين لأمرها حقًّا، أليس كذلك؟".

"نعم، هذا صحيح".

"أنت نادمة بالتّأكيد على ما فعلتِ، أليس كذلك؟".

"نعم".

"إذًا، اذهبي إليها. لن يتغيّر الواقع مهما قلتِ، لكن أخبريها بكلّ ما تشعرين به".

وابتسمت هيراي ابتسامة عريضة؛ على الرّغم من الدّموع الّتي كانت تملأ عينَيها.

"حسنًا، سأفعل".

جلست تسوموغي بظهر مستقيم على الكرسيّ الذي سيحملها إلى الماضي، ثمّ زفرت بعمق.

أمّا هيراي، فعادت إلى كرسيّها عند المنضدة ما إن أتت كازو من المطبخ. على صينيّتها، كانت ثمّة ركوة فضّية، وفنجان قهوة ناصع البياض.

"هل نبدأ؟".

وقفت كازو بجانب تسوموغي، ووضعت فنجان القهوة الأبيض الفارغ أمامها، ونظرُ عينيها اللّوزيّتَين الرفيعتَين مثبّتٌ على تسوموغي.

"سأصبُّ القهوة الآن".

في هذه اللّحظة فقط، لاحظت تسوموغي الهواء البارد قليلًا الذي أحاط بها، وشعرت أيضًا بحضورٍ أكبر ينبعث من كازو الّتي كانت بالغة التّواضع حتّى الآن. وفجأة، أصبح الجوّ في المقهى مشحونًا ومهيبًا.

واصلت كازو شرحها.

"تبدأ الفترة الّتي يمكنك العودة فيها إلى الماضي من لحظة ملء الفنجان بالقهوة وتستمر إلى أن يبرد تمامًا. هل هذا واضح؟".

"نعم".

أجابتها تسوموغي من دون أن تفهم تمامًا، ولكن بحسب تقديراتها، ستستغرق القهوة نحو عشر إلى خمس عشرة دقيقة حتّى تبرد. كانت فرصة ضيّقة، لكن تلك هي القاعدة، ولم يكن الجدال مُجدِيًا.

لا أتوقّع أن يُسامحَني أحد.

وعلى الرّغم من أن هذه الفكرة جعلت تسوموغي تشعر بعدم الارتياح، لكن كان ثمّة أمر واحد لم تشكّ فيه.

إذا لم أذهب، أشعر أنّني سأندم طوال حياتي.

التقت نظرات تسوموغي بنظرات كازو وأعلنت قرارها.

"فلنبدأ".

أومأت كازو برأسها قليلًا، ويبدو أنّها فهمت تصميم تسوموغي.

لذا، حسّنت من وضعيَّتِها، ووضعت يدها على الركوة الفضّيّة، ثمّ همست قائلة: "إذًا، قبل أن تبرد القهوة".

امتلأ الفنجان بالقهوة بصمت، وعكَسَ سطحها آبنوسي اللّون وهو يرتفع مروحة السّقف بوضوح.

جميل!

كانت عينا تسوموغي مُعلّقَتَيْنِ بالفنجان الذي يمتلئ.

في النّهاية، امتلأ الفنجان، وبدأ خيط من البخار يتصاعد. ثمّ غمر تسوموغي شعورٌ لا يمكن تفسيره؛ لا هو نعاس، ولا هو دُوار.

كيف يمكنني أن أشعر بالنّعاس في وقت كهذا؟

رغبتها التّلقائيّة في فرك عينَيها قادتها إلى اكتشاف صادم.

"آه!".

ما ظنّته يدها امتزج بالبخار المتصاعد من القهوة. وقبل أن تُدرِك، بدأ المشهد المحيط بها يتشوه.

هل أنا... أطفو؟

فوجئت جدًّا، بحيث لم تتمكّن من فهم الموقف تمامًا، فصرخت:

"مهلًا! مهلًا!".

لم تكن تعرف حتّى لمن كانت تقول: "مهلًا"، فقد كان عقلها في حالة ذعر تامّ. وسرعان ما انخفضت المشاهد المتغيّرة حولها إلى الأسفل بسرعة لا تصدّق. شعرت أنّها عالقة في تحوّل غير متوقّع للأحداث، فصرخت وكأنّها في قطار ملاهٍ:

"النجدة!".

وعندما بدأ وعيها يتلاشى، ومضت في ذهنها سلسلة ذكريات للأيّام الّتي قضتها مع آيامي.



"هل وقعتِ في قبضة الحبّ الحلوة؟".

فنفت تسوموغي قائلة: "لا!".

"أنت معجبة بهاياتو، أليس كذلك؟".

"كـ - كـ - كلّا، كيف استطعتِ...؟".

"يمكن للمرء أن يعرف ذلك بمجرّد النظر".

"لا".

"كان ذلك واضحًا وضوح الشمس".

"لقد تراجعت".

"إن كان الحال كذلك، فلماذا لا تقدّمين له الحلوى في يوم الحبّ في الشّهر القادم؟".

"حلوى، أهذا ما تقولينه؟".

"أجل. فيومُ فراقنا - تخرُّجنا - قريب، ويوم الحبّ هو آخر فرصة جيّدة لك، فهل ستفوّتينها؟".

"بالفعل". بدأت تسوموغي تُعجَب بالفكرة.

"سنفترق عندما ننتقل إلى الجامعة، فما الذي يدعو للقلق؟".

"بالفعل، بالفعل".

"استعدّي وانطلقي".

لدى التفكير في الأمر الآن، يا لها من مفارقة أن تكون آيامي هي الّتي تقول ذلك بابتسامة! لم أكن أدرك حقيقة مشاعرها.

فقط لو كنت جميلة بقدرها.

كانت تحسدها.

هكذا كان الأمر ببساطة. فقد كانت تسمع شائعة ما.

"هل سمعت؟ لقد تشجّع أساكورا من الصّف الثّالث، واعترف لها؟".

لا يمكنها أن تُنكِر أنّ سماعها مثل هذه الشّائعات كان مزعجًا.

هل سيكون هاياتو واحدًا منهم؟

كان القلق يتجدّد باستمرار.

"لكن، يبدو أن أساكورا رُفِض".

"أمُجدَّدًا؟".

لا يبدو أنّ آيامي مهتمّة بالحصول على صديق.

لماذا؟ ألأنّ معاييرها عالية؟

كان هاياتو ينظر إلى آيامي.

هل تعجبه هو الآخر؟

لماذا ينظر جميع الشبّان الّذين يعجبونها إلى آيامي باستمرار؟

أنا لست آيامي.

أنا لست جميلة بقدرها.

ومع الوقت، تحوّل حسدها إلى غيرة.

أنا أكرهها، مع أنّها صديقتي.

أشعر بقلبي يظلم باستمرار.

"يبدو أن هاياتو ناناسي اعترف لآيامي، لكنّها رفضته".

كيف يمكنها الاستمرار في حبّ هاياتو بعد أن تعرَّض للرّفض، ومع علمها أنّه يحبّ آيامي؟

قال لها عندما كانا في الإعداديّة: "آيامي تعجبني". وتلك الجملة لم تفارق ذهنها قطّ، لم تفارقه قطّ. ثمّ أعيدت الكرَّة.

ما دمتُ مع آيامي، فسيتعيَّن عليَّ مواجهة مشاعري الأكثر بؤسًا.

ليت آيامي ترحل بعيدًا.

لم ترتكب آيامي أي خطأ.

مع ذلك...

بعد أن أصبحتا في الجامعة، استمرّت آيامي بالتحدّث على طريقة السّاموراي؛ لذلك انتهى بها الأمر بالقول: "اسمعي، نحن لم نعد في الثّانوية، هلّا تَكُفّين عن ذلك".

ابتعدتُ عنها. كنتُ أنا السّبب.

كنت أعرف في ذلك الوقت... أنّ غيرتي هي السّبب.

لهذا السّبب تجاهلتُ رسالة آيامي الأخيرة.

والآن، أريد أن أراها وأتحدّث إليها شخصيًّا.

آيامي تنتظر.

في ذلك المقهى الغامض، إلى الأبد...



فتحت تسوموغي عينيها ببطء، كمن يستيقظ من النّوم.

وقع نظرها على المقهى المألوف نفسه؛ مصابيح مُظلَّلة تتدلّى من السّقف، وثلاث ساعات بندوليّة عتيقة كبيرة مُثبَّتة على الحائط، ومروحة سقف خشبيّة تدور ببطء في الأعلى.

مع ذلك، لم تكن كازو - الّتي صبَّت لها القهوة - في الجوار. وبدلًا منها، وقفت كي توكيتا خلف المنضدة، مُحدِّقة إلى تسوموغي بعينَيها الكبيرتَين، وقد بدت عليها الدّهشة. كانت ترتدي سترة بلون بيج فاتح، ومئزرًا أحمر يغطّي الصّدر.

"آه".

"أهلًا وسهلًا".

وعلى عكس كازو الّتي تتكلّم بنبرة رتيبة وخالية من المشاعر، كانت مشاعر كي واضحة دائمًا على وجهها. استقبلت تسوموغي الّتي وصلت للتّوّ بابتسامة صادقة وغير مُتَحَفِّظة، وتلألأت عيناها وكأنّها تقول: كنت بانتظارك!

"آه، اممم".

أشارت كي بسبّابتها إلى الأعلى قائلة: "إنّها في الخارج، تتحدّث على الهاتف الآن. فكما تعلمين، الإشارة لا تصل إلى هنا".

عانت تسوموغي من هذه المشكلة عدّة مرّات هي الأخرى عندما كانت ترتاد هذا المقهى الواقع تحت الأرض.

"فهمت".

استغربت تسوموغي من ردّ كي. فقد بدا لها كما لو أنّ كي كانت تعلم أنّها ستأتي من المستقبل.

"هل أناديها؟".

"لا، لا بأس".

وعلى الفور، ندمت تسوموغي على إجابتها المتسرّعة. فلو كانت تعيش في الماضي، لأمكنها انتظار عودة آيامي بارتياح، إلّا أنّ الوضع مختلف الآن، فثمّة مهلة زمنيّة، وعليها أن تُنهِي قهوتها قبل أن تبرد. لمست الفنجان، فوجدته دافئًا بما فيه الكفاية، مع أنّه ليس ساخنًا، حتّى إنّه بمقدورها شربه دفعة واحدة لو أرادت. لا شكّ في أنّه أقلّ سخونة ممّا توقّعت.

ماذا أفعل؟ ربّما يجب أن أطلب منها مناداة آيامي في النّهاية...

سألت كي فيما كانت تسوموغي تفكّر وهي تتحسّس الفنجان براحة يدها: "هل عصفت بكما الخلافات، أم ماذا؟".

"ماذا قلتِ؟".

فرفعت تسوموغي رأسها، وقد فوجئت بإدراك كي الغريب للجفاء بينها وبين آيامي. لكنّ سماع كي وهي تتحدَّث بلغة السّاموراي كان أشبه

بطعنـة في الصّـدر. شـعرت تسـوموغي بـألم الـذّكريات يخـترق قلبهـا، وعادت إليهـا الدّردشـات المرحـة في هـذا المقهـى. تـذكّرت يـوم قالـت: "اسمعي، نحن لـم نعد في الثّانوية، فهلّا تكُفّين عن ذلك". ومنذ أن دفعت آيامي بعيدًا، نبذت خطاب السّاموراي.

ماذا إن لم تعد آيامي؟

فجـأة، قـرّرت تسـوموغي التّراجـع عمـا قالتـه، بعـد أن انتابهـا القلق.

"امـمـم، ربّما...".

وحالمـا التقـت نظراتهمـا، قالـت كـي: "سأستدعيها علـى الفـور!" واندفعت نحو الباب.

"امـمـم، ربّما...".

طن - طن

حدث كلُّ شيء في غمضة عين!

"آسف، لا بدّ أنّك على عجلة من أمرك". خرج ناغاري توكيتـا - صاحب المقهى - من المطبخ، مرتديًا زيَّ الطّاهي. كـان ناغـاري رجـلًا طويل القامة، يبلغ طوله نحو مترين. وضاقت عيناه النحيفتان بتعبير اعتذار، وكأنّه آسفٌ على تدخّل كي. "زوجتي تفكّر في ضيق الوقت، وتريد أن تمنحها فرصة مقابلتك في أقرب وقت ممكن".

لفت انتباهها شيء في كلامه: "أن تمنحها فرصة مقابلتك".

ليس أن تمنحني فرصة مقابلتها؟

كان فارقًا دقيقًا، ولكن إذا كان ما قاله ناغاري صحيحًا، فهذا يعني أنّ كي تُكِنّ قدرًا كبيرًا من المودّة لآيامي. وحين لاحظ ناغاري ردّ فعل تسوموغي، شرح بسرعة.

"لقد انتظرتك هنا خمس ساعات...".

"ماذا؟".

"ونظرًا إلى طبيعة زوجتي اللّجوجة، فقد بذلت قصارى جهدها لإشراكها في الحديث. مع ذلك، وعلى الرّغم من جهودها، لم تتمكّن حتّى من إخراج ابتسامة منها".

فانقبضت تسوموغي عند سماعها شَرْحَ ناغاري، وضاق صدرها.

لقد جعلتُ آيامي تنتظر مدّة خمس ساعات.

واصل ناغاري: "ثمّ ظهرتِ من المستقبل. والأشخاص الّذين يقرّرون العودة إلى الماضي، على الرّغم من معرفتهم بالقواعد المعقّدة والمخاطر الّتي يشتمل عليها ذلك، لا بدّ أن يكون لديهم سبب وجيه. من المحتمل أنّكِ أهملتِ المجيء في هذا اليوم إلى المقهى وندمتِ على ذلك. هل أنا على حقّ؟".

فأخذت تسوموغي نفسًا عميقًا، ولم يسعها سوى القول: "... نعم".

نظرت إلى السّاعات البندوليّة الثّلاث. كانت قد سمعت في أيّام دراستها الثّانوية أن السّاعة الوسطى فقط تعمل بدقّة. وهي الآن تشير إلى الرّابعة عصرًا.

لا بدّ أنّ آيامي بقيت حتّى موعد إغلاق المقهى.

وبمجرّد تَخَيُّلِها ذلك، غضبت بسبب الوقاحة الّتي ارتكبتها. والآن، شعرت بالنّدم لدفعها آيامي إلى هذه النّقطة بسبب أمرٍ تافه للغاية.

لكن، كما لو كان ناغاري يقرأ أفكارها، تمتم بهدوء: "كما هو الحال مع أيّ شخص آخر اختار الجلوس على هذا الكرسيّ، أنا متأكّد من أنّ ثمّة الكثير في ذهنك".

فاعتقدت تسوموغي أنّ ناغاري رأى على الأرجح نصيبه العادل من النفوس النّادمة في هذا المكان.

ليس أنا فقط.

أضفى هذا الاكتشاف الصّغير بعض البهجة على معنويّاتها الهابطة.

"هل ستكون محادثةً طويلة؟".

"عفوًا!".

"حديثك معها".

لم يكن ناغاري يسأل عمّا سيناقشانه، بل بالأحرى كم من الوقت سيستغرق اللّقاء. وكان ثمّة سبب واحد فقط لذلك؛ فهي لا تملك من الوقت إلّا حتّى تبرد القهوة تمامًا.

ماذا سيحدث؟

من شأن حتّى أبسط الأسباب أن تؤخّر إصلاح العلاقة. فغالبًا ما يرفض كلٌّ من الطّرفين ادّعاءات الطّرف الآخر، وقد تبقى العلاقة متوتّرة سنوات عديدة. في الواقع، قلوب البشر معقّدة، وغالبًا ما تفوتهم الحلول البسيطة. إذ كلّما زادت ثقتك بشخص ما، اشتدّ غضبك أو حزنك عندما تشعر أنّك تعرّضتَ للخيانة. هل ينتهي اللّقاء باعتذار من جانب واحد،

أو أنّه سيزيد الأمور تعقيدًا؟ ربّما ينتهي الأمر بإطلاق آيامي العنان لاستيائها. في الواقع، لم يكن لدى تسوموغي أيّ سبيل لمعرفة ذلك.

لكن...

لم تعتقد تسوموغي أنّ من الممكن إصلاح علاقة معقّدة في الوقت القصير الذي يستغرقه فنجان قهوة ليبرد. لذلك أجابت بصدق: "لا يمكنني أن أعرف على وجه اليقين".

فردّ ناغاري وكأنّه كان يتوقّع إجابتها: "فهمت. في هذه الحالة، دعيني أضع هذه في قهوتك".

كان يقف بجانب تسوموغي ممسِكًا بشيء يشبه عود الأسنان. لكن، لدى التّدقيق، بدا كذلك بيد ناغاري الكبيرة، غير أنّه كان في الواقع أداةً معدنيّة فضّيّة.

"ما الغرض منها؟".

"سأضعها في فنجانك، وستبدأ بإصدار تنبيه قبل أن تبرد القهوة تمامًا. عندما يحدث ذلك، أنهي قهوتك على الفور من فضلك، حتّى لو كنت في وسط الحديث".

"أهذا مُنبِّه؟".

"نعم".

أمسك ناغاري بالأداة المعدنيّة أمام تسوموغي، ثمّ وضعها في فنجان القهوة الممتلئ. كانت بحجم ملعقة صغيرة تقريبًا.

"أنت تدركين ما سيحدث إذا بردت قهوتك قبل إنهائها، أليس كذلك؟".

كانت تسوموغي قد سمعت عن ذلك أثناء زيارتها للمقهى مع آيامي عندما كانتا في الثّانوية.

شيء عن التّحول إلى شبح، والاضطرار إلى الجلوس على هذا الكرسيّ إلى الأبد.

في ذلك الوقت، ظنَّته اعتقادًا سخيفًا. لكن بعد السّفر عبر الزّمن، بدأت تتساءل عمّا إذا كان ذلك حقيقيًّا.

شبح؟

سرت قشعريرة في عمودها الفقري.

"هل أنتِ بخير؟".

فنظرت تسوموغي إلى الأعلى، ورأت أمارات القلق على وجه ناغاري.

أجابت: "أنا بخير".

طن - طن

التفتت تسوموغي إلى المدخل، وقد جذب انتباهها صوت الجرس.

كان الباب الخشبيّ الكبير للمقهى يقع خارج نطاق الرّؤية، خلف قنطرة المدخل، وقد عُلِّق عليه جرس يشبه جرس البقرة. لذا في هذه المرحلة، لم تكن آيامي قد ظهرت بعد. وعلى الرّغم من ذلك، توتّرت كتفا تسوموغي، وراح قلبها ينبض بقوّة وهي تضغط بقبضتيها على ركبتيها.

"اسمعي، نحن لم نعد في الثّانوية، فهلّا تكفّين عن ذلك".

كانت هذه الجملة الّتي ألقتها في وجه آيامي الّتي استمرّت باستخدام أسلوب السّاموراي في الجامعة هي الّتي تؤرقها. فقد جعلتها تتذكّر من جديد الحزن الذي تسبّبت به لآيامي.

نادى صوت من خلف القنطرة: "تعالي إلى الداخل".

كانت على بعد خطوات قليلة.

تدفَّق الأدرينالين في عروقها.

كانت تسوموغي في سنتها الثانية في الجامعة عندما تلقّت رسالة من آيامي تخبرها فيها أنّها ستكون بانتظارها في هذا المقهى.

هذا يعني أن آيامي الآتية من الجانب الآخر من القنطرة تبلغ من العمر عشرين عامًا. أمّا تسوموغي، فقد أصبحت الآن في الثامنة والعشرين من عمرها. ثماني سنوات كاملة تفصل بينهما الآن. ومن ثَمَّ لن تكون آيامي أكثر جمالًا فحسب، بل أصغر سنًّا أيضًا؛ الأمر الذي أضاف سببًا وجيهًا لتحفّظات تسوموغي بشأن رؤيتها. ففي أيّام الثّانوية، عندما كانتا في نادي السّباحة نفسه، حافظت آيامي على بشرتها الفاتحة بشكل استثنائي، حتّى صيفًا. وجمالها اللّافت - الذي لم يكن بحاجة إلى مساحيق تجميل - ميّزها أساسًا عن الطّالبات الأخريات في المدرسة.

لا شكّ في أنّها أكثر جمالًا.

إنّ التّقييم الصّادق لمشاعر تسوموغي في تلك اللّحظة سيكون عبارة عن شدّ وجذب بين الرّغبة وعدم الرّغبة في رؤية آيامي.

الحياة غير عادلة.

تمتمت تسوموغي بهذه الجملة أمام المرآة مرّات عديدة: في الثّانوية، وفي الجامعة، وفي أوّل وظيفة لها، وفي أوّل موعد لها مع زميل في العمل، وحتّى بعد انفصالهما. فكلّما نظرت إلى المرآة اجتاحتها مشاعر معيّنة، في حين كان وجهها المستدير، المليء بالنمش وبقع الشّمس، والذي يتوسّطه أنف صغير، يحدِّق إليها بعينين منتفختين.

فقط لو كان بإمكاني أن أكون بجمال آيامي.

تختلف الأذواق، بالطبع. وليس الجمال دائمًا سببًا لوقوعنا في حبّ شخص ما. فعندما تفكّر تسوموغي في تلك الفترة، لا تعرف حتّى سبب إعجابها بهاياتو. لكن، ما الذي جمع بينهما هي وآيامي؟

أهو هوسنا بالقلاع؟

لكن، أليس هذا حال أيّ مُتحمِّس للقصور القديمة؟

تسلَّلت أفكار أخرى إلى ذهنها.

لو كنتُ رجلًا، لوقعتُ حتمًا في حبّ آيامي. فهي مهووسة بالقلاع وجميلة، وسيكون من الغريب ألّا أقع في حبّها. لكنّني سأتعرّض للرّفض بالتّأكيد، شأني شأن غيري من الشبّان الّذين حاولوا التقرّب منها...

في تلك اللّحظة، تناهى إليها صوت.

"لقد طال الفراق، أليس كذلك؟".

آيامي.

كانت تحمل معها خطاب السّاموراي الغريب بنبرة مبالغ فيها؛ تمامًا كما في الثّانوية. وكان صوتها رنّانًا وشجيًّا.

"اسمعي، نحن لم نعد في الثّانوية، فهلّا تكُفّين عن ذلك".

منذ ذلك اليوم، لم تكن تسوموغي قد سمعت آيامي تتكلّم بخطاب السّاموراي. وعند سماعها مجدّدًا، عادت إلى ذهنها على الفور ذكريات الثّانوية، لكن للحظة عابرة فحسب.

"... هاه!".

عادت إلى الواقع عندما رأت آيامي واقفة أمام المدخل.

"آيامي!".

"ما هذه النظرة الّتي لاحت على وجهك؟".

ومرَّرت يدها على رأسها وهي تجلس على الكرسيّ المقابل لتسوموغي.

لا ينبغي لي أن أحدِّق.

مع ذلك، عجزت تسوموغي عن إبعاد نظرها عن رأس آيامي. لم تستطع أن تنظر بعيدًا.

فبشرتها الّتي كانت ذات يوم بيضاء وشفافة مثل الخزف، أصبحت الآن شاحبة بشكل مخيف. صحيح أنَّ عينيها لا تزالان كبيرتين، ولكن بخلاف ذلك، لم يكن ثمّة شيء يذكّر بآيامي، صديقة تسوموغي المُقرَّبة في الثّانوية. فشعرها الأسود الرائع الذي كان يشبه الحرير ذات يوم، تساقط بالكامل. غير أن الأمر لم يقتصر على شعرها، بل كانت ذراعاها المكشوفتان عند أطراف كمَّي سترتها نحيلتَين وضعيفتَين. وحتّى من خلال ملابسها، كان واضحًا أن جسدها العضليّ بفعل السّباحة قد ذبل كثيرًا.

لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا.

أصبح عقل تسوموغي فارغًا.

"يا إلهي! هل ساقَكِ القدر من دون علم منكِ بحالتي؟".

قالت آيامي ذلك بابتسامة لطيفة، لكن الشّعور بالوحدة طغى على تعبيرها. بعبارة أخرى، قرأت من وجه تسوموغي أن تسوموغي المستقبليّة لن تتواصل معها في السّنوات القادمة.

لا أتحمل النّظر.

وعلى الرّغم من أن تسوموغي سمعت عن وفاة آيامي، إلّا أنّها لم تتوقّع أن تراها قد تغيّرت إلى هذا الحدّ. في تلك اللّحظة، شعرت بالحاجة إلى ابتلاع قهوتها والفرار.

"كم من السّنين قد بلغتِ؟".

"ماذا؟".

"عمرك".

"ثـ... ثمانية وعشرون".

"ماذا؟ ثمانية وعشرون؟ ما تغيَّرتِ قطّ".

هذا غير صحيح، فمن المستحيل إخفاء فارق ثماني سنوات. لا شكّ في أن تسوموغي تقدّمت في السّنّ. لكن، كيف يمكنها الرّدّ على تعليق عن الشّكل الخارجيّ بعد رؤية آيامي وقد تحوّلت إلى هذا الحدّ؟

"همم... ما هذا؟!".

وقع نظر آيامي على يد تسوموغي.

"هل تزوَّجتِ؟".

"هاه؟ آه...".

وعلى الفور، أخفت تسوموغي بنصرَها اليسرى.

فقد تذكّرت تسوموغي الكلمات الّتي سمعتها من هاياتو، وخشيت أن تحزن آيامي عند رؤية الخاتم.

لقد أخطأتُ.

حوَّلت تسوموغي نظرها عن آيامي، وأخفت يدها اليسرى تحت الطّاولة، ثمّ رفعت فنجان القهوة بيدها اليمنى عن غير قصد، فراقبتها آيامي وتنهّدت بهدوء.

"ما الذي سبّبَ لك هذا الاضطراب؟ أرجوك، لا تخبريني أنّك تزوّجت من هاياتو".

"ماذا؟ وهل يُعقَل ذلك!".

وقبل أن تدرك ذلك، ردّت بأسلوب السّاموراي نفسه. فعلت ذلك من دون تفكير، ربّما لصرف الانتباه عن خطئها في كشف الخاتم.

انفجرت آيامي ضاحكة عند سماعها إنكار تسوموغي الفوريّ، فانتقلت عدوى الضّحك إلى تسوموغي، من دون أن تعرف السبب وراء رفضها القاطع.

"لطالما تساءلتُ عمّا سحرك في هاياتو آنذاك".

"كنتُ شابّة. أنا أيضًا تساءلت عن ذلك عندما التقينا في لَمّ الشمل".

وانفجرت الاثنتان بالضّحك مجدّدًا.

"أيُّ نوع من الرّجال زوجك؟".

"مجرّد مهووس".

"أحقًّا؟".

"لديه معرفة بالتّاريخ أكثر منّي".

"إنجاز رائع، إن كان ذلك حقيقيًّا".

"نعم، بمجرّد أن يبدأ بالحديث عن المحاربين العظماء، فلا يمكن أن يوقفه شيء".

"أيٌّ من المحاربين العظماء يفضّل؟".

"ماغارا ناوتاكا العملاق".

"المحارب الشّامخ الذي يحمل سيفًا يبلغ طوله ثماني أقدام؟".

"هو بعينه".

"حقًّا، إنّه مهووس بلا شكّ".

"أجل".

ضحكتا مُجدَّدًا، وفوجئت تسوموغي بمدى سهولة تغيير حديثها إلى لغة السّاموراي. شعرت بطريقة ما أن الأمر مناسب، فقرّرت الاستمرار في ذلك.

غير أنّ أمرًا مهمًّا غاب عن ذهنها.

بيب، بيب، بيب... بيب، بيب، بيب...

تردَّد صوت المنبِّه الذي يشير إلى أن القهوة ستبرد قريبًا في أرجاء المقهى.

"آه!" اختفت الابتسامة عن وجه تسوموغي.

لكنّنا لم نحظَ بأيّ وقت للدّردشة، أنا أحتاج إلى قليل من الوقت بعد.

وألقت نظرة مُتوسِّلة على كي وناغاري خلف المنضدة. فأشاحت كي بنظرها، في حين هزّ ناغاري رأسه ببطء مُعتذِرًا.

"هذا ليس عادلًا...".

كانت تسوموغي على وشك البكاء.

لكن...

ماذا؟

كانت آيامي الجالسة أمامها تبتسم. فقد علمتا بأمر قاعدة المقهى أيّام الثّانوية، ولكنّها لم تكن على علم بالمنبِّه الذي أعطاها إيّاه ناغاري.

"وا أسفاه، آيامي...".

"أعلم، لقد حان الوقت".

"أنا، أنا...".

شعرت تسوموغي أنّ عليها الاعتذار، ولكن كلّما حاولت، أفلتت منها الكلمات. وألحّ عليها سؤال: ما فائدة الاعتذار؟

بيب، بيب، بيب، بيب...

الوقت لا ينتظر أحدًا. مِن على المنضدة، أخبرتها نظرات كي القلقة أنَّ الوقت ينفد. حتّى إنّها تخيّلت أن كي قد تصبُّ القهوة بالقوّة في حلقها.

من الأفضل أن تشرب فنجانها الآن.

أمسكت تسوموغي بالفنجان، لكن مع ذلك...

لا يمكنني الرّحيل هكذا!

... لم تستطع أن تحمل نفسها على رفعه إلى شفتيها.

همست آيامي بهدوء: "اشربيه بسرعة".

"من أين حلّت عليك هذه السّكينة؟".

"إذا كنت ستصبحين شبحًا هنا، فلن يعرف النوم سبيلًا إلى جفنَيّ ليلًا؟ لم يتبقَّ من حياتي سوى القليل؛ لذا من فضلك، وَفّري عليّ مزيدًا من العذاب". قالت آيامي ذلك وهي تضحك من قلبها.

كفى! لا خيار لديَّ الآن سوى شرب هذا الفنجان!

"أنا آسفة، تسوموغي".

بدا كما لو أنّ آيامي عرفت بما تشعر به تسوموغي. لقد تعمّدت قول ذلك.

"هذا ليس عادلًا!".

فأغمضت تسوموغي عينيها، وشربت القهوة.

"لذا، وداعًا نقول". همست آيامي بذلك، وأخرجت علبة مربوطة بشريط من حقيبتها، ثمّ وضعتها أمام تسوموغي.

"ما هذا؟".

قاومت تسوموغي إحساس العوم الذي يلفّها، وأخذت العلبة.

"إنها شوكولاتة".

"شوكولاتة!".

"في النّهاية، هذا يوم الحبّ".

كانت هذه الحقيقة قد غابت عن ذهن تسوموغي الّتي أتت من المستقبل. فقد نسيت أنّ لقاءهما كان مُقرَّرًا في الرّابع عشر من فبراير.

"أهي لي؟".

"لأعبّر عن صدق مشاعري".

"أوه...".

بالنّظر إلى أذنَي آيامي المحمرّتين، من الواضح أنّه لم يكن من المعهود تبادل الشوكولاتة بين الفتيات هذه الأيّام.

قالت آيامي: "نعم".

"لكن... لكن...".

"أنا أفهم. أنا لا أنتظر شيئًا مُعَيّنًا... كلّ ما في الأمر أنّني أردت التّعبير عن نفسي فحسب".

"ولكن في مثل هذا التّوقيت...".

"سيكون من العدل أن تطلقي عليَّ لقب الماكرة، لكنّني انتظرت هذه اللّحظة. إذ لم يتبقَّ لي وقت لاستعادة صداقتنا، أليس كذلك؟".

لم تكن ثمّة كلمات مناسبة للرّدّ على ملاحظة آيامي الحادّة.

"لكن هنا، في هذا المقهى، يمكنني الانتظار إلى الأبد. كنت أعتقد أنّه حتّى بعد وفاتي، قد تأتين من المستقبل ذات يوم لرؤيتي".

"لماذا... لماذا لم تقولي شيئًا في وقت سابق؟".

"كنت أعلم يقينًا أنَّكِ غير مستعدّة لقبول ما قلته".

"لكن...".

"أنتِ لم تتمكّني حتّى من منح هاياتو الشوكولاتة".

"هذا مختلف".

"بل هو نفسه".

"كيف؟".

قالت آيامي وهي تحاول الابتسام رغمًا عنها: "ألمُ خسارة ودّك مشابه". ثمّ أضافت بصوت أكثر حزنًا: "لكنَّ الموت من دون أن أفصح

عمّا في نفسي عذابٌ أشدّ وأقسى". ربّما كانت نبرة صوتها الأكثر انخفاضًا تهدف إلى تجنيب تسوموغي الألم؛ لأنّ الأخيرة لم تستطع أن تبادلها سوى مشاعر الغيرة، ولكنّها بلغت مسمع تسوموغي، مع ذلك.

"آه...".

شعرت تسوموغي أنها تائهة في الفضاء، عندما بدأ جسدها يتحوّل إلى بخار.

"مـ... مهلًا!".

مدَّت يدها نحو آيامي، لكن حتّى يدها فقدت شكلها. والآن، بعد أن أصبحَت بخارًا بالكامل، بدأ السّقف يمتصّها.

"آيامي!".

"الوداع".

"آيامي!".

"اطمئنّي، لن أتوقّع شيئًا منكِ في المقابل في اليوم الأبيض!".

كانت هذه آخر كلمات آيامي، قالتها شبه ممازحة وشبه صادقة. وعلى الرّغم من أنّها ابتسمت ابتسامة عريضة، وهي تشاهد تسوموغي ترتفع إلى السّقف، إلّا أنّ دموعًا غزيرة سالت من عينيها.

"آيامي! آيا..." اختفت تسوموغي تمامًا، ولم يبقَ منها سوى صوتها الخافت: "... مي...".

ثمّ ما لبثت المرأة ذات الفستان الأبيض أن جلست مكان تسوموغي.

"لقد اختفت!".

حدَّقت آيامي إلى السّقف الذي اختفت تسوموغي عبره، وغطّت وجهها بكلتا يديها، في حين ارتعشت كتفاها بشدّة.

"تسوموغي...".

كانت كي هي الّتي دعمت آيامي وهي على وشك الانهيار.

"لقد أحسنتِ".

فأفرغت آيامي كلّ حزنها بين ذراعَي كي.



"إذًا تسوموغي تنتظر في الجانب الآخر من هذا الباب، أليس كذلك؟".

وقفت آيامي أمام الباب الكبير للمقهى الواقع في الطّابق السّفليّ، وطرحت هذا السّؤال على كي الواقفة خلفها. كانت آيامي تضع شعرًا مستعارًا لإخفاء رأسها الأصلع.

فقالت كي: "نعم..." وعندما رأت آيامي تتنفّس بصعوبة، بعد أن ركضت على الدّرج، وهي بهذه الحالة من الضّعف، سألتها: "... لكن، هل أنت بخير؟".

"أنا بخير".

وضعت آيامي يدها على صدرها لإبطاء تنفّسها، ثمّ قالت كأنّها تتحدّث إلى نفسها: "شعرتُ أنّها توأم روحي منذ اليوم الذي تَعَرَّفْتُ فيه إليها للمرّة الأولى".

وتابعت قائلة: "في اليوم الذي انتقلتُ فيه إلى مدرسة جديدة، كانت تسوموغي تجلس في صفّ المقاعد الأخير. بدت لطيفة للغاية".

أمسكَت بيدها مقبض الباب، بتردّد، ولكن بإصرار.

"ومنذ ذلك اليوم فصاعدًا، لم أعد وحيدة. حتّى إنّني تظاهرت بأنّني مهووسة بالقلاع مثلها. في المرّة الأولى الّتي تحدّثت فيها معها، أدركتُ أنّه باتت لديّ صديقة حقيقيّة أثق بها. فلطالما حال جمالي دون امتلاكي صديقة مُقرَّبة. كانت تلك أسعد لحظة في حياتي. لكن، عندما اعترف لي هاياتو بإعجابه بي، شعرتُ بحزن شديد. فقد تسبَّبتُ لها أساسًا بخيبة أمل مشابهة في المدرسة الإعداديّة".

فعلى الرّغم من أن تسوموغي لم تخبر آيامي قطّ بسبب رفضها ذاك الشابّ في الإعداديّة، إلّا أنّ آيامي عرفت على أيّ حال.

"في الواقع، أنا نادمة لأنّني لم أعترف لها بما حدث في وقته. فقط لو أخبرتها بما جرى في يوم الحبّ. آه، أعلم أنها كانت ستحزن، ولكن على الأقلّ، ربّما ما كانت لتفقد ثقتها بي. أنا أدرك ذلك الآن. فوجودي وحده كان سببًا في ضيقها. لذا أنا هنا لأعتذر عن الأذى الذي سبّبته لها".

اشتدّت يدها على مقبض الباب، ولكن قبل أن تتمكّن من تحريكه، قاطعتها كي.

إذ قالت بنبرة اعتراض واضحة: "أنتِ مخطئة".

"مخطئة! وكيف ذلك؟".

التفتت آيامي وقد بدت الدّهشة في عينيها من كلام كي غير المتوقّع.

"لو اعترفتِ حينها، أليس من المحتمل عندها أن تبتعد عنك تسوموغي؟ وتحديدًا لأنّك لم تفعلي، استطعتِ تكوين ذكريات حقيقيّة معها، أليس كذلك؟".

"ذكريات حقيقيّة؟".

"نعم. لو أخبرتها، فربّما كنتِ ستتجنّبين التسبّب لها ببعض الضّيق، ولكن ما كنتما - لا أنت ولا تسوموغي - ستملكان شيئًا تتذكّرانه".

"أتسوموغي أيضًا؟".

"لا شكّ في أنّها تفضّل امتلاك ذكريات معك. أنا واثقة من ذلك، وإلّا فلماذا تذهب إلى هذا الحدّ لرؤيتك بهذه الطّريقة؟".

"فهمت...".

"في الحياة، يعيش المرء الخير والشرّ، وكلّها ذكريات".

انهمرت الدّموع من عينَي آيامي لدى سماعها كلام كي.

"لا وقت للدّموع، إنّها تنتظر".

"هذا صحيح".

مسحت آيامي وجهها المُبَلَّل بالدّموع، ونزعت شعرها المستعار الذي انزاح قليلًا.

"شكرًا لك، فقد كنت على وشك التّراجع في اللّحظة الأخيرة. سأُظهر لها ذاتي الحقيقية، وسأعطيها هذه الهديّة الّتي لم أتمكّن من تقديمها لها قطّ...".

ثمّ أخرجت آيامي من حقيبتها الّتي كانت تحملها على كتفها علبةً صغيرة. كانت مُغَلَّفة بورق قرمزيّ مع شريط ذهبي، وكانت ثمّة بطاقة مطويّة مرفقة فيها.

"أودّ أن تحصل عليها". قالت آيامي ذلك، ثمّ فتحت باب المقهى الكبير ودخلت.



عادت تسوموغي إلى الواقع ببطء، وكأنّها تستفيق من حلم. لم تعد آيامي أمامها. تأمّلت المقهى بنظرة فاحصة، ووجدت أنّ كي الّتي كانت تراقبهما بقلق من خلف المنضدة قد اختفت، وحلّت مكانها كازو. وخلافًا لكي الّتي بدت كأنّها قد تنفجر باكية في أيّ لحظة، لم يظهر أيّ تعبير على وجه كازو الّتي اكتفت بمشاهدة الأحداث وهي تتكشّف بانفصال بارد.

هل كان كلّ ذلك حلمًا؟

حاولت تسوموغي أن تصدّق ذلك، لكن العلبة المزيّنة بالشريط بقيت بين يديها، ولم تسمح لها بذلك. وما لبثت أن أدركت أنّ خدّيها كانا مُبَلَّلَيْن بالدّموع.

"قومي".

رفعت رأسها، ورأت المرأة ذات الفستان الأبيض - الّتي عادت الآن من الحمّام - تقف أمامها.

"آ... آه، آسفة".

قامت تسوموغي عن كرسيّها على عجل، وأخذت مكانَها المرأةُ ذات الفستان الأبيض الّتي انزلقت في الفراغ الفاصل بين الطّاولة والكرسيّ. انتقلت تسوموغي إلى الكرسيّ التّالي، ووضعت العلبة المزيّنة بالشّريط الّتي أعطتها إيّاها آيامي على الطّاولة، ثمّ أخرجت منديلًا من حقيبتها، ومسحت دموعها.

سألتها هيراي من حيث تجلس على كرسيّها عند المنضدة: "كيف سارت الأمور؟".

وعندما سمعت السّؤال، بدأت الدّموع الّتي اعتقدت أنّها مسحتها تسيل مجدّدًا على خدّيها.

فأجابت تسوموغي من دون أن تلتفت إلى هيراي: "لم أستطع فعل أيّ شيء".

لم أخبرها حتّى بأنّني آسفة.

كانت مهووسة بشيء تافه للغاية. ليتها فقط وافقت على مقابلة آيامي عندما استلمَت رسالتها النصّيّة الأولى بشأن انتظارها في هذا المقهى. فلو فعلت، لربّما علمت في وقت سابق بمرضها، وربّما ما كان فراقهما الأخير مؤلمًا إلى هذا الحدّ. لقد سرقت منها تفاهتُها ما كان يمكن أن يكون بضعة أشهر ثمينة معًا. وكلّما فكرت في الأمر، اشتدّ ندمها، وفاض على شكل دموع بلا رحمة.

قالت هيراي بلطف من خلفها: "لكنَّكِ ذهبت لرؤيتها، أليس كذلك؟".

"أنا...".

حدَّقت تسوموغي إلى علبة آيامي المزيّنة بالشّريط، ورأسها محنيّ بألم. لقد اعترفت آيامي بمشاعرها الصّادقة، وكشفت عنها في لحظاتهما الأخيرة. وفي مواجهة هذا الاعتراف غير المتوقّع، ذُهِلت تسوموغي، ولم تعرف ما عليها فعله. إذ لم تكن راغبة في صدّ آيامي، ولكن لم يكن لديها أيضًا أيّ فكرة عن كيفيّة الإجابة. وعلى الأرجح، سبّب تردّدها مزيدًا من الأذى لآيامي.

قالت تسوموغي، وكلّ كلمة تخرج من فمها تُثقِل كاهلها أكثر: "إذا لم تكن جهودي ستغيّر الحاضر المحتوم، أما كان الأجدى عدم رؤيتها على الإطلاق؟".

"إنّه احتمال، ولكن..." صمتت هيراي، وأخذت نفسًا من سيجارتها وهي تقف عند المنضدة، ثمّ تابعت: "قد لا يبدو عالمك مختلفًا كثيرًا عن ذي قبل، ولكن ألم تُسعِد تلك اللّحظة قلبها؟".

"ماذا تعنين؟".

"لقد أخبرَتك أنّها كانت تنتظرك، أليس كذلك؟".

وبدلًا من الإجابة، حدَّقت تسوموغي إلى العلبة.

"لذا مَن برأيك وجدت السّعادة: الفتاة الّتي لم تحظَ بفرصة رؤيتك أم تلك الّتي فعلت؟".

"الفتاة الّتي لم تحظَ بفرصة رؤيتي، أم تلك الّتي فعلت...؟".

غير أن هيراي زفرت الدّخان كما لو أنّها تقول: اكتشفي الباقي بنفسك.

قلب آيامي؟

لدى التّفكير في الأمر، كان الاختلاف هائلًا.

فقد قالت لها آيامي نفسُها: "الموت من دون أن أفصح عمّا في نفسي عذابٌ أشدّ وأقسى".

ومدَّت تسوموغي يدها إلى العلبة وفتحتها. كانت تحتوي على الشّوكولاتة الّتي بدا أنّ آيامي أعدّتها بنفسها. نظرت إلى البطاقة المدسوسة بين العلبة والشّريط، وشهقت: "آه...".

إذ كُتِب على البطاقة:

تسوموغي إيتو،
هل تقبلين بأن نكون صديقتَين؟
14 فبراير 2004 م. آيامي ماتسوبارا.

فارتجفت كتفا تسوموغي من شدّة الانفعال.

كان التاريخ المدوّن على البطاقة يسبق بكثير الفترة الّتي أصبحتا فيها صديقتَين مقرّبتَين. كان ذلك قبل أحاديثهما عن القلاع، وقبل أن تتحدّثا بلغة السّاموراي. كانت آيامي قد لاحظت تقاربهما الروحي منذ لقائهما الأوّل.

في النّهاية، مشاعرها تلك كانت...

"آيامي...".

تردَّد صدى نشيج تسوموغي في المقهى، لكن لم يلمها أحد. وفي حين واصلت كازو عملها، انكبَّت المرأة ذات الفستان الأبيض على قراءة كتابها بهدوء.

تتبَّعت هيراي دخان السّيجارة بنظراتها، وقالت: "كازو، هل يمكنني الحصول على فنجان آخر من القهوة؟ وواحد لها أيضًا...".

"نعم، بالتّأكيد".

وبحلول الوقت الذي بدأتا فيه بارتشاف الفنجانين اللّذين أعدّتهما كازو، كانت القهوة قد بردت تمامًا.

في زقاق خلفيٍّ صغير في طوكيو، ثمّة مقهى يقدّم قهوة مخمّرة بعناية منذ أكثر من مائة عام. يعرف الرّواد الدّائمون أسطورة المقهى عن ظهر قلب: إذا اتّبعوا القواعد، فسوف تُتاح لهم فرصة فريدة للسّفر عبر الزّمن، شرط العودة إلى الحاضر قبل أن تبرد قهوتهم.

في الكتاب الخامس من سلسلة قبل أن تبرد القهوة، تلك السلسلة الدافئة والشائقة، المترجمة عن اليابانية، يستقبل المقهى الغامض الذي يقصده الزّبائن على أمل السّفر عبر الزّمن أربعة ضيوف جدد:

- أب عارض زواج ابنته.
- امرأة لم تستطع التعبير عن مشاعرها في يوم الحبّ.
- صبيّ يريد أن يبتسم في وجه والديه المُطلّقين.
- زوجة تحمل طفلة بلا اسم.

رواية أخرى مؤثّرة ودافئة من تأليف توشيكازو كاواغوتشي، بعنوان قبل أن ننسى الطّيبة، يسعى فيها زوّارُنا الجدد للعودة إلى ماضيهم من أجل إيجاد الرّاحة وإغلاق صفحة الماضي؛ للتّمكّن من الشّروع في مستقبل جميل.



توشيكازو كواغوشي

وُلد في أوساكا باليابان عام 1971. سبق له أن أنتج وأخرج وكتب للمجموعة المسرحية سونيك سنيل. رواية قبل أن تبرد القهوة مقتبسة من إحدى مسرحياته، وهي فائزة بالجائزة الكبرى للدراما في مهرجان سوغيناما. من أعماله الأخرى الثنائي، وأغنية الغروب، ووقت العائلة.

صدر له أيضاً:





شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

مكتبة
t.me/soramnqraa